الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة ـ
كلّية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

مجالس النساء في الأدب العربي القديم
مقاربة تداولية

أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه علوم في اللّغة والأدب العربي
تخصص : اللغة والأدب العربي

إعداد الطالبة :
فائزة بن عمور

إشراف الأستاذ الدكتور:
أحمد قيطون

السنة الجامعية
1440 – 1441 هـ / 2019 – 2020 م

الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة ـ –
كلّية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

مجالس النساء في الأدب العربي القديم
مقاربة تداولية

أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه علوم في اللّغة والأدب العربي

تخصص : اللغة والأدب العربي

إعداد الطالبة :
فائزة بن عمور

إشراف الأستاذ الدكتور:
أحمد قيطون

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ. العيد جلولي	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	رئيسا
أ.أحمد قيطون	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي النعامة	مشرفا ومقررا
أ.هاجر مدقن	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	مناقشا
أ.أحمد موساوي	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي النعامة	مناقشا
أ.بوداود وذناني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأغواط	مناقشا
د. فائزة زيتوني	أستاذ محاضر(أ)	جامعة ورقلة	مناقشا

السنة الجامعية

1440 – 1441 هـ / 2019 – 2020 م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ
وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ
أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًاۖ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١
قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ
وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَۖ ٣٢ ﴾

سورة يوسف: 31-32

شكر وعرفان

أقدم خالص شكري للمرأة العربية التي أشركتني حياتها وفتتحت لي خدرها، وبيتها، وقصرها، ومتنزهها وأطلعتني في كثير من الأحيان على شجونها وحدثتني عن أحلامها ومعتقداتها، وساعدتني على أن أصغي للغتها الوارفة الظلال وأثبتت لي معنى الحضور الأنثوي الباذخ في الفكر والأدب.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات.....137

مقدمة.أ.د

مدخل: مجالس النساء الإطار المفاهيمي والاصطلاحي.....14

1- الأدب النسائي المصطلح والخطاب.....14.

2- تحديدات لغوية واصطلاحية.....26

3- منهج الدراسة.. 28

الفصل الأول: مجالس النساء آدابها وأنواعها 23

المبحث الأول: تمثلات المرأة في التاريخ والفكر.....24

1- تمثلات الأنثى/ المرأة في الأساطير والحياة البدائية 14

2- في الشرائع السماوية.....16

3- في الثقافة العربية القديمة ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

المبحث الثاني: آداب المجالس النسائية.....29

أ- **التوسعة في المجالس** 32

ب- **حسن الإصغاء**..... 33

ت- **الاستئذان والتستر**..... 35

ث- **الدعوة إلى المجالس والإكرام** 37

ج- **التحلي بمكارم الأخلاق** 38

ح- **صور معاكسة للآداب العامة**..... 39

المبحث الثالث: أنواع المجالس النسائية 43

1- المجالس النسائية النثرية 43
أ- مجالس النثر الاجتماعي 44
ب- المجالس النثرية السياسية والدينية 47
ت- المجالس النثرية التعليمية 51
2- المجالس النسائية الشعرية 52
أ- المجالس الشعرية الذوقية والحوارية 52
ب- المجالس الشعرية النقدية 56
ت- المجالس الشعرية الغنائية 60
أ- مجالس جميلة المغنية 61
3- المجالس النسائية السجعية 63
أ- مسوغات التصنيف. 63
ب- مجالس المفاضلة والوصف 64
ت- سجع الكواهن..... 65
ث- المقامات..... 66
خلاصة:..... 68
الفصل الثاني: المبادئ التداولية وآليات إدارة الحوار 70
المبحث الأول: مفهوم الحديث والمحادثة ومقصديات التواصل..... 73
1- مفهوم الحديث و المحادثة: 73
2- المقصدية ومقامات التواصل:..... 74
أ- المقاصد النقدية والتعلمية 75
ب- المقصدية الجمالية والفنية 77
ت- المقصديات الاجتماعية 79
ث- المقصديات الدينية والسياسية 81
المبحث الثاني: التناوب وأدوار الكلام 83
1- أعراف المبادلات الحوارية 83

أ- الأعراف النقدية والعلمية 83
ب- الأعراف الأدبية السجعية والشعرية الذوقية 86
ج- الأعراف الاجتماعية 89
ت- الأعراف الدينية والسياسي..... 92
2- مكونات الحوار و وظائفه 94
أ- المبادلة في الحوار..... 96
ب-المداخلة في الحوار..... 98
أ- وظائف ابتدارية..... 98
ب- الوظائف الارتدادية (ركسية) 99
المبحث الثالث: الاستلزام الحواري في محاورات المجالس 100
1- مبدأ التعاون.....100
أ- الكم Quantity.....100
ب- النوع Quality.....103
ت- قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال.....107
2- مبدأ الحال manner.....108
3- مبدأ التأدب واعتبار جانب التهذيب.....111
أ- قاعدة التعفف.....111
ب- قاعدة التشكك.....113
ت- قاعدة التودد.....114
المبحث الرابع: الأفعال الكلامية 117
1- الملفوظات التقريرية الوصفية (Constative Sentences Descriptive) ..117
2- الملفوظات الإنجازية:.....119
أ- فعل القول (Locutionary Act) 119
ب- الفعل المتضمن في القول(Illocutionary Act).....121
ت- الفعل الناتج عن القول (Perlocutionqry Act).....123

خلاصة:.....**126**

الفصل الثالث:حجاجية القيم والجماليات الفنية 127

المبحث الأول: أحكام القيم.....**129**

1- أحكام القيم النقدية: **131**

2- أحكام القيم الاجتماعية:.....**132**

أ- **قيمة الكرم والإكرام والإجارة:** 133

ب- **قيم اختيار الزواج**.....134

ت- **قيمة النسب والجوار..** 136

3- أحكام القيم الدينية والسياسية **138**

4- قيم المفاضلة (مواضع الأفضل).....**140**

5- قيم الهجاء والسخرية.....**144**

المبحث الثاني: مبدأ الكفاءة وحجة السلطة **146**

1- الكفاءة العلمية **146**

2- السلطة الدينية والاجتماعية **150**

أ- **سلطة الكاهنة والمتصوفة (السلطة الروحية)**.....151

ب- **سلطة المرأة المخطوبة**.....155

المبحث الثالث: حجاجية السرد والتمثيل والشاهد **157**

1- حجاجية السرد.....**157**

أ- **بنية الاستهلال**..... 158

ب- **بنية الاستهلال ومحددات الزمن والمكان**.....161

ت- **السرد التاريخي والسرد القصصي**.....162

ث- **السرد في المجالس النثرية الاجتماعية**.....164

2- الشاهد والمماثلة والمثل.....**165**

أ- **حجاجية الشاهد**.....166

ب- حجاجية المماثلة.....168
ت- حجاجية المثل.....169
المبحث الرابع: حجاجية الخطاب الوصفي والكنائي والسجعي 171
1- حجاجية الوصف.....171
2- حجاجية الكناية 174
3- حجاجية السجع 178
أ- أنواع النصوص السجعية:.....178
ب- الأجزاء العارضة.....180
ت- الوحدات المسجوعة..... 181
خلاصة:.....184
الخاتمة.....187
الملاحق.....192
أولا: المجالس النثرية 284
ثانيا: المجالس الشعرية 196
ثالثاا:المجالس السجعية 192
رابعا: تراجم النساء الوارد ذكرهن في البحث 221
ببليوغرافيا البحث 261

مقدمة

مقدمة :

أصبحت الدراسات الأدبية النسوية مركز استقطاب العديد من الباحثين المحدثين، خاصة بعد ظهور النسوية كتيار ثري انبثقت من خلاله العديد من التوجهات الفكرية التي أخذت على عاتقها البحث والتنقيب في الإنتاج النسوي بمختلف تخصصاته وفروعه، وإن كانت أغلب الدراسات التي مرت بنا قد اهتمت اهتماما بالغا بالمنتج الحديث والمعاصر، خاصة عندما نتحدث عن الأدب النسوي فالملاحظ عموما أن أغلب الدراسات توجهت صوب الفن الروائي النسوي الحديث بالدرس والتحليل والمكاشفة، أدى هذا الاهتمام البالغ بالرواية والأدب النسوي المعاصر إلى الإزراء بالقديم منه، وحتى لو تعدت إليه فهي لا تخرج عن دائرة ضيقة جدا، مقتصرة على بعض الشاعرات ونتف من الخطيبات، مادفعنا إلى محاولة جديدة لمساءلة نوع آخر من الأجناس الأدبية التي غيبت فيه المرأة ألا وهو المجالس، فالتاريخ الأدبي يقدم لنا العديد من المجالس الرجالية كمجالس: (الرشيد) و(المأمون) و(الحجاج) وغيرهم، ولكن قلما نجد في الدراسات ما اهتم بمجالس النساء أمثال: (سكينة بنت الحسين) و(ولادة بنت المستكفي) و(هند بنت الخس الإيادية) والكثير من الأسماء النسوية البارزة التي كان لها دور كبير في العديد من المجالات الفكرية المتنوعة، وإذ نذكر المجالات الفكرية هنا لنبين أن البحث لن يقتصر على المجالس الأدبية وحسب ولكننا وسعنا دائرته لتشمل العديد من الأنواع، ونستند في ذلك إلى رأي الناقد سعيد يقطين، الذي عد الخبر بمختلف أنواعه جنسا أدبيا؛ وبالتالي فإن اهتمام البحث لن يقتصر على المجالس ذات الموضوعات الأدبية(شعرية، نقدية) فقط؛ بل يشمل حتى تلك التي تكون خطاباتها سياسية واجتماعية ودينية إلخ... وبناء على هذه المعطيات حدد عنوان البحث بـ: «**مجالس النساء في الأدب العربي القديم مقاربة تداولية**».

وتبلورت الإشكالية التي يسعى البحث لمناقشتها من خلال تحليل خطاب المرأة في المجالس بكل أنواعها على النحو الآتي:

- ما طبيعة وتشكلات الخطاب الذي قدمته المرأة المحاورة في المجالس النسائية؟

وانبثق من خلال ذلك مجموعة من الإشكاليات الفرعية منها:

- ما أنواع هذه المجالس؟
- فيمن تمثلت أطراف الحوار فيها وكيف تمت إدراته؟
- ما هي أنواع القيم والأساليب الحجاجية المختلفة التي حملتها هذه الخطابات؟

ولتحقيق الغاية المنشودة من البحث وتفكيك إشكاليته، ارتأينا بسط مادة المدونة المجموعة في ثلاثة فصول؛ حيث نمهد في **الفصل الأول** منه بمهاد نظري ومصطلحي، ثم نحدد بعد ذلك أنواع المجالس النسائية بحسب ما توفر من مادة مجموعة، وكل ذلك يتمفصل في مبحثين؛ الأول يؤطر البحث مفاهيميا ونظريا والثاني يصنف المجالس إلى الأنواع التي ارتأيناها مناسبة.

وفي **الفصل الثاني**، عالجنا المبادئ التداولية وآليات إدارة الحوار، بداية بالمقصديات وأدوار الكلام، ثم ماينتج في الحوارات النسائية من استلزام حواري؛ وعرجنا بعد ذلك إلى الأفعال الكلامية في المبحث الأخير.

أما **الفصل الأخير** فقاربنا فيه حجاجيات الخطاب؛ حيث وسمنا المبحث الأول بحجاجية أحكام القيم، والمبحث الثاني يعالج مبدأ الكفاءة وحجة السلطة، لنلج في المبحثين الأخيرين إلى حجاجية الجماليات الخطابية.

ثم أدرجنا المجالس النسائية كملاحق في آخر البحث، بعدما ختمناه بأهم النتائج التي توصلنا إليها، وفهارسه المناسبة.

وبالنظر إلى طبيعة الإشكالية وهيكلة الخطة، ارتأينا اعتماد المنهج التداولي لكونه مناسبا جدا لمعالجة هذه الإشكالية بكل فروعها؛ فالمنهج التداولي كما هو معروف يعالج الحوار وتداوله ويحدد أطرافه وظيفيا، وكل ذلك في إطار السياق المرجعي للخطاب من جانب، ومن جانب آخر فالحجاج يدرس ويحدد محمولا ت الخطاب الحواري في جانبه الإقناعي؛ إذ يحمل مجموعة من القيم الأخلاقية، والاجتماعية والجمالية الفنية، والأدبية، و بوصفه جزءا من التداولية، ومكملا لها؛ إذ لا يمكن اختزال البحث في

الجانب التقني الميكانيكي في تحديد آليات الحوار التداولية وسياقاته، دون أن نكشف عن الجوانب الفنية الأخرى.

وفيما يخص أهم المصادر والمراجع التي اعتمدناها في البحث، فقد كان أهمها كتاب الأغاني للأصفهاني، وكتاب الأمالي والذيل للقالي، وقصص العرب لإبراهيم شمس الدين كمصادر لجمع كثير من نصوص المدونة، وغيرها من كتب التاريخ الأدبي، مع بعض من النصوص المبثوثة بين ثنايا الكتب غير المتخصصة، أما فيما يخص تحليل الخطابات فقد اعتمدنا ما نستنير به في ذلك من مثل (التداولية لجورج يول)، و(التداولية من أوستين إلى غوفمان لفيليب بلانشيه) على سبيل التمثيل.

ومما ذكرناه سابقا أن الدراسات الحديثة صبت جل اهتمامها على الأدب النسوي الحديث، ودرست الخطابات النسائية المعاصرة، أما ما تعلق بالأدب القديم فقد كان قليلا جدا؛ غير أنه يمكن أن نذكر بعض الدراسات التي قاربت موضوعات الأدب النسوي القديم مثل:

- (أدب النساء في الجاهلية والإسلام) للدكتور "محمد بدر معبدي" وتعتمد الدراسة على قسمين قسم نثري وآخر شعري؛ حيث جمع فيه الباحث مجموعة من الأشعار والخطب لأديبات العصر الإسلامي والجاهلي. غير أن تركيز الدراسة كان على جمع المدونة ما جعل الجانب التطبيقي ينحو نحو التعليقات الجانبية والخطابات الإنشائية.
- (أدب المرأة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الأول الهجري)، مخطوط لـ: "عتاب بسيم مشكل السوداني". ولا تختلف كثيرا في طريقة الدراسة عن الكتاب السابق كما أن الكتاب لا يضع منهجا مناسبا للدراسة.

- كما يقدم "عبد الله الغذامي" مجموعة من الدراسات حول المرأة في الأدب العربي القديم وارتباطها باللغة والجسد والمجتمع، من منظور النقد الثقافي. وما لاحظناه على دراسات الغذامي تأثره بالفكر الاستشراقي الذي يغيب دور المرأة في جانبه العلمي والحضاري.

- وصدر حديثا (2018م) كتاب (ظاهرة المجالس الأدبية النسائية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري) للباحثة "هاجر حراثي" ،وهي من أكثر الدراسات التي تتوافق مع موضوع البحث، ولكن للأسف تعذر علينا الاطلاع على الكتاب بسبب الأوضاع العالمية والإغلاق الكلي للحدود والمرافق المعرفية والعلمية.

وبالرغم من أنني ألزمت نفسي في بداية البحث بالتغاضي عن ذكر صعوبة جمع المدونة؛ لتحملي تكلفة اختيار الموضوع، غير أن البحث واجه صعوبة تقنية بسبب ذلك؛ إذ إنني بعد أن أرسيت قواعده وانطلقت في كتابته صادفتني العديد من المجالس التي تستحق الإدراج في البحث فكان ذلك مدعاة إلى تغيير مستمر في خطته وفي التصنيف وحتى في الدراسة، كما أن الجمع استنزف الكثير من الوقت خاصة وأنه يعتمد على مصنفات بمجلدات كثيرة.

ويسعدني في الأخير أن أتقدم بخالص تقديري وامتناني لمشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور أحمد قيطون لموافقته الكريمة بالإشراف على الموضوع، وللجنة الموقرة التي وافقت على تتبع وقراءة البحث وتقديم النصائح التي من شأنها سد الثغرات المغفل عنها في مساري البحثي وإثرائه، وأتقدم للأستاذ الفاضل أحمد بالخضر بموفور الشكر والامتنان على ما قدمه من مساعدة وإرشاد، كما أتقدم بمحبتي واعتزازي لكل من ساعد وساند ودعا بالشهود وبظاهر الغيب. والله من وراء القصد.

فائزة بن عمور

غرداية: 2020/09/10

faizaghardaia@gmail.com

مدخل:

مجالس النساء الإطار المفاهيمي والاصطلاحي

مدخل: مجالس النساء الإطار المفاهيمي والاصطلاحي

1- الأدب النسائي المصطلح والخطاب:

تندرج الدراسة كما هو واضح من خلال عنوانه، ضمن ما يعرف في الدراسات الأدبية والنقدية بالأدب النسائي، وقد عُرف هذا المصطلح وانتشر في الأدب الحديث والمعاصر خاصة غير أن بوصلة بحثنا تتجه صوب الأدب القديم في محاولة لاستنطاق المسكوت عنه في مظان ونصوص ما خلفه القدماء، أو المغفل عنه إن صح التعبير.

ولا غرو أن مصطلح الأدب النسائي قد طرح العديد من الإشكالات واشتغل عليه ثلة من المفكرين والنقاد، كل ينطلق من إيديولوجية فكرية محاولين في ذلك إما تقويض المصطلح، بسبب ما يحمله من جندرية تحاول الفصل بين خطابات إنسانية في عمومها تصدر من مشكاة واحدة وهي الإنسان أي كان جنسه وينبغي أن تحتكم في الأخير إلى المعايير الإبداعية من منطلق النص دون الرجوع إلى المبدع وجنسه. وهذا ما يؤكده الناقد سعيد يقطين من خلال قوله" أن هذا التصنيف لا يخدم الأدب بقدر ما يضره، فكل تاريخنا الحديث يركز بالدرجة الأولى والأخيرة على محتوى الإبداع ومنتِجه ومن هو،أما الجوهري في الإبداع الفني والأدبي هو طابعه الجمالي الذي لم نعره كبير اهتمامنا لذلك لم ينضج النقاش الجمالي في فكرنا الأدبي"[1]. فطبيعة الإنسان عموما تميل إلى تقصي الجمال والإبداع في النصوص الأدبية عموما بغض النظر عن منتجه، إذ البحث في المنتج يبعدنا عن جوهر الإبداع وبالتالي فإن البحث عن صاحب الإبداع لا طائل منه خاصة مع ظهور نظريات حداثية تركز توجهها على النص بعيدا عن مؤثراته الخارجية.

في حين رأى آخرون أن المصطلح شرعي، وحجتهم في ذلك أن هذه الإبداعات النسوية تعرضت لفترة طويلة من الزمن إلى التهميش والإهمال في ظل مجتمع ذكوري يهيمن فيه خطابه ويقصي الخطاب الأنثوي، ولا يتعلق الأمر بما تنتجه المرأة من إبداع أدبي وحسب بل

[1] - سعيد يقطين، الأدب والمؤسسة والسلطة، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 2002، ص48.

يتعدى الأمر ليشمل كل ما تنتجه من فكر وثقافة، فغاب كل ذلك بفعل هذا العامل وبسبب عوامل عديدة أخرى أقصت المرأة من الفاعلية الفكرية والحضارية، والإنتاج المعرفي، واضمحل الصوت النسائي خلف حجاب الالتزامات المنزلية ومشاق الأمومة والتربية، ويحدث كل ذلك بسبب " ذاكرة ذكورية تأبى أن تنظر إلى منطلقاتها الحميمية فتنكر الانتماء لتجسد الولاء، وتجعل من الأنوثة لحظة ضعف تخطيها أمر مقضي لتبني أبراجا عاجية أساسها ذاكرة ذكورية نقية تلغي منطلقاتها الأنثوية إجلالا لمركزية فكرية تنطق لغة « ر»، رجل راجح، راق، رئيس، يحتاج إلى لغة « م» امرأة مرؤوسة، مندسة، منسية، منقوصة الملكات"[1].فكان الإبداع الأدبي الذي تكتبه المرأة في صدارة المتضررين من هذا التهميش. لذلك كان من الضروري فصل الأدب النسائي عن غريمه التقليدي لإعادة الاعتبار لما تكتبه المرأة، والذي يختلف في كثير من آليات الإنتاج والكتابة وشحناتها الانفعالية والفنية وحتى الموضوعاتية.

والمصطلح عند الرافضين له إقرار صريح بهامشية ما تكتبه المرأة ومركزية ما يكتبه الرجل، وهو يسم ما تكتبه المرأة بالضعف ويستند إلى " تغليب الهوية الجنسية (رجولية / نسائية) على العمل الإبداعي مما يؤدي إلى تغييب الإنساني العام والثقافي القومي والتجربة الشخصية والوعي بها"[2].

ويبقى الحديث في هذه القضية النقدية مستفيضا بالنظر إلى تعقد المسألة وتشعبها، ولا ننكر رجاحة حجج كل رأي سواء كان مناقضا أو مرافعا عنها، وبالنظر إلى الواقع وطبيعة المجتمعات مع كل اختلافاتها التركيبية وتوجهاتها الإيديلوجية، يتبين لنا أن مركزية الرجل وهامشية المرأة أمر نسبي يختلف من مجتمع إلى آخر، بل ويختلف من عصر إلى آخر، فبعض المؤرخين ودارسي الأنثربولوجيا يقرون بأن التجمعات الإنسانية في تكونها الأول كانت

[1] - نادرة سنوسي، الذاكرة الذكورية للفلاسفة الغربيين ضد قابلية المرأة للتفكير، الفلسفة والنسوية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2013، ص 21.

[2] - مسعودة لعريط، إشكالات الأدب النسائي، الملتقى الدولي الثامن للرواية عبد الحميد بن هدوقة، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، 2004، ص 19.

تركيبتها أمومية، وبالتالي يبقى أمر مركزية الرجل فيه الكثير من التحامل والانحياز غير المبرر في نظري الخاص، ويكفي أن نبحث في بعض الموسوعات التاريخية وفي ثقافات الشعوب فنجدها حافلة بأسماء نسائية خالدة في الفكر والأدب والتاريخ.

وسنحاول من خلال بحثنا هذا التعرف على جانب من هذه الإبداعات النسائية في الثقافة العربية القديمة ألا وهي خطابات المرأة ولغتها الحوارية، ونقف قبل ذلك عند بعض التحديدات اللغوية لعنوان البحث « **مجالس النساء في الأدب العربي القديم – مقاربة تداولية** ».

2- تحديدات لغوية واصطلاحية:

اتفقت أغلب المعاجم العربية على أن المجلس من جلس، وجلس يرادفها القعود مع فرق بينهما، حيث أن القعود والمقعد يعرف على أنه "الجلوس أو هو من القيام، والجلوس من الضجعة ومن السجود"[1]، فالفرق بين القعود والجلوس يأتي من الوضعية التي يكون فيها الإنسان قبل ذلك، فالقعود حالما كان واقفا، والجلوس إذا كان مضطجعًا أو ساجدًا، على أن الكلمتين استعملتا في الغالب دون الالتفات لمعناها الدقيق في كل أحوال الجلوس، وقد يخرج من معناها الأصلي إلى معاني أخرى تستشف من خلال سياق الكلام ومقامه. "والمجلس: موضع الجلوس(...) وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ (سورة المجادلة،الآية 11).

[1] - الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تع: أبو الوفا نصر الهويني، دار الكتب العلمية،ط2، لبنان، 1971، ص 335.

قيل يعني مجلس النبي ﷺ وقرئ "في المجالس" وقيل: يعني بالمجالس مجالس الحرب، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (121) ﴾ (سورة آل عمران، الآية 121) "[1].

وعند الفيروز أبادي: " جلس يجلس جلوسًا ومجلسًا، كمقعد، وأجلسته والمجلس: موضعه، كالمجلسة"[2].

فالتعريفان يتفقان على أن المجلس تعني "الموضع" موضع الجلوس وقد يكون انعقاده دوريًا و متكررًا مثل مجلس النبي ﷺ وقد لا يكون كذلك فيشار به على أي موضع يجتمع فيه اثنان ويقع بينهما حوار ونستشف ذلك من قولهم أن المجلس هو المقعد واستشهدوا على ذلك بقول الله تعالى الوارد في سورة آل عمران السالف الذكر فالمقاعد هنا بمعنى "أماكن" للمتحاربين، حيث جاء في تفسير الآية " واذكر يا محمد حين غدوت من أهلك، تتخذ للمؤمنين معسكرا وموضعا لقتال عدوهم"[3] مما يعني أن التكرار ليست سمة لتسمية المجلس، كما أن المجلس قد يجمع الجماعة أو الاثنين وقلما يشار به إلى موضع الرجل الواحد وفي ذلك قول الرسول ﷺ: "مثل الجليس الصالح مثل الداري إن لم يحذك من طيبه علقك من ريحه، ومثل الجليس السوء كمثل الكير إن لم يحرقك بشرار ناره علقك من نتنه"[4] إذ يتضح جليًّا تأثير المتجالسين في بعضهم البعض وهذا التأثير بطبيعة الحال لا ينشأ من فراغ، بل من خلال الخطاب والسلوك بين الحضور.

---

[1]- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ، لسان العرب، دار صادر، ط 8، بيروت، 2014، ج 3، مادة جلس.

[2]- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة جلس.

[3]- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، مختصر تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: محمد علي الصابوني، صالح أحمد رضا، مكتبة الرحاب، ط2، 1987، الجزائر، ص121.

[4]- الحديث كما ورد في البخاري: (حدثني موسى بن إسماعيل : حدثنا عبد الواحد: حدثنا أبو بردةبن عبد الله قال: سمعت أبا بردة بن أبي موسى، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه، أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك، أو ثوبك، أو تجد منه ريحا خبيثا. أخرجه البخاري، دار الغد الجديد، المنصورة، ص380.

وخلاصة القول أن المجلس هو كل مكان أو موضع يجتمع فيه مجموعة من الأفراد، سواءً أكان بصورة منتظمة ومتكررة أو غير متكررة، ويحدث خلاله تبادل للحوار بين أطرافه وينتج من خلال هذا الحوار تأثير وتأثر بين أطرافه.

وقد تنوعت هذه المجالس بتنوع العصور والثقافات منها: مجالس العلم والعلماء، مجالس المناظرات، مجالس الخلفاء ومجالس اللهو والغناء الخ... وبين كل ذلك مجالس للنساء تنوعت بتنوع المقامات والخطابات والمتحاورين فيها.

وكما هو مبين في العنوان؛ فقد نسبت المجالس للنساء، وتعتبر كلمة (النساء) من الألفاظ التي اختلف فيها حين نقرنها بالأدب. فمنهم من أطلق عليه مصطلح الأدب النسائي ومنهم من قال بالنسوي وغيرهم فضل أدب المرأة، كما فضل آخرون مفهوم الأدب الأنثوي.

والأكيد أن لكل مصطلح من هذه المصطلحات إشارة إلى معنى محدد، "فمصطلح النسائية ليس سوى اسم جنس يدل على المرأة، لا واحد له من لفظه ولا ينتمي إلى مدرسة، أو يوحي بمذهب فني في الكتابة، أما مصطلح أنثوي فهو دال على مجموعة من الخصائص البيولوجية والثقافية التي تكتبها المرأة من الواقع نتيجة للتنشئة والتربية، ومنها الخجل والحياء أما مصطلح النسوية فإنه دال على إحدى نظريات ما بعد الحداثة القائمة على أسس إيديولوجية، وتهدف إلى إعادة النظر في العلاقة القائمة بين قطبي الجنس البشري(ذكر، أنثى / رجل، إمرأة)[1].

وعليه كان استعمال مصطلح النسائية الأصح فالبحث لا يخوض في مسائل الجندر ولا يتحدث عن النسوية كمذهب، ولا يتتبع الخصائص الأنثوية في الأدب العربي القديم؛ بل إن ما نرومه في هذا البحث هو التنقيب في طبيعة الخطاب الذي قالته المرأة في لقاءاتها وفي أساليبها الحوارية.

3- منهج الدراسة:

[1]- ينظر: عصام واصل، النسوية والنسائية، مجلة فكر العربية، جمعية مدرسي اللغة العربية للتنمية والثقافة،ع2، الدار البيضاء، ماي2016، ص2.

اختلفت مناهج دراسة الأدب العربي عبر مختلف العصور من سياقية تهتم بجوانب النص المختلفة من صاحبه ، وظروف إنتاجه، و أسبابه، بل وقد اقتحمت حتى العوالم الاجتماعية و النفسية لصاحب النص من خلال نصه، وأخرت مقاربة النص ذاته وجمالياته وتأثيره في المتلقين إلى مرتبة تالية، ولم تسخر له من أدوات الدرس ما سخرته لسياقاته، فظهرت بفعل ذلك مناهج مناقضة شيئا ما لهذا التوجه؛ اهتمت بالنص أكثر وانفتحت من جانب آخر شيئا فشيئا على أدوات ومفاهيم لمناهج متعددة، وأطلق عليها اصطلاحا بالمناهج النسقية، إذ اهتمت بَدْأً وبصورة كبيرة بنسق النص، ورفعت شعار موت المؤلف واهتمت ببنية النص أولا. كما ظهرت في الساحة النقدية مناهج أخرى حاولت الموازنة بين المنهجين الدراسيين، فلم تغفل لا المؤلف ولا نصه، واستطاعت أن تجمع بينهما في محاولة لإعطاء نفس آخر للدراسات النقدية بعيدا عن تطرف المناهج السابقة ، وتعد التداولية من بينها حيث تعد منهجا عابرا للتخصصات .

أ- تعريف التداولية:

بعد رواج المناهج النقدية النسقية من مثل البنيوية والشكلانية الروسية وانتشارها في تطبيقاتها على الفنون والآداب، أدرك المفكرون والنقاد قصور هذه المناهج بسبب انغلاقها على النص وتسييج حدود الدراسة داخل نمطية أهملت جوانب عديدة في الخطاب، جاءت التداولية لترأب هذا الصدع وتعيد لظروف إنتاج الخطاب حضورها ووزنها، فالتفتت إلى الجوانب الثقافية والاجتماعية والنفسية التي تولد فيها ذلك الخطاب بوصفه عملا أساسيا في إنتاجه والتأثير فيه وحينما نقف عند تعريفها لغة نجد ما يلي:

- **التداولية لغة:**

جاء في لسان العرب لابن منظور " تداولنا الأمر أخذناه بالدول وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر... ودالت الأيام أي دارت والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرة

وهذه مرة... وتداولن العمل والأمر بيننا بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرة وهذا مرة"[1] و" التداولية في الدراسات الغربية ....إلى الكلمة اللاتينية PRAGMATICUS المبنية على الجذر PRAGMA ويعني العمل أو الفعل ACTION[2] و "تداول الناس كذا بينهم يفيد معنى تناقله الناس وأداروه فيما بينهم ، ومن المعروف أيضا أن مفهوم النقل ومفهوم الدوران مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة، فيقال: نقل الكلام عن قائله بمعنى رواه عنه، كما يقال: نقل الشيء عن موضعه أي حركه منه، ويقال: دار على الألسن بمعنى جار عليها...فالنقل والدوران يدلان في استخدامهما اللغوي على معنى التواصل، وفي استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين... فيكون التداول جامعا بين اثنين هما التواصل والتفاعل، بمقتضى التداول إذا أن يكون القول موصولا بالفعل[3].

- **التداولية اصطلاحا:**

والتداولية منهجا هي " تلك الطريقة اللسانية النقدية الفاحصة للظواهر اللغوية الخطابية والأدبية، حيث تدرس التداولية الخطاب الأدبي والنص في علاقته بالسياق التواصلي، متجاوزة بنية الجملة النحوية والتركيبية، إلى مقصدية المرسل وحالة المرسل إليه في أثناء تلقفه للخطاب، كما يركز هذا التحليل على الأفعال الكلامية وعلى المعنى في السياق التواصلي واستنطاق العلامات الحجاجية المنطقية في الخطاب"[4] فمدار التداولية إذا حول تبادل الكلام بين المتخاطبين وما يحيط بهذا التداول من مجال اجتماعي ومستوى ثقافي وطبيعة الخطاب والمتخاطبين وآليات التداول وحيث أننا نطرح الموضوع على أنه مرتبط بالمجالس النسائية فإن ذلك يقتضي بالضرورة وجود هذا التداول اللغوي المباشر

[1] - ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص252-253.

[2] - نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة، ط1، الجزائر، دت، ص18.

[3] - ينظر: طه عبد الرحمن تجديد المنهج في تقويم التراث،المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، دت، ص 244.

[4] - الرحموني بومنقاش، البناء التداولي للممارسة التفسيرية/ قراءة في إمكانات التحقق، مجلة جيل الدراسات الفكرية والأدبية، ع5، الجزائر، فبراير 2015. ص113

بين المتخاطبين في هذه المجالس، ويعتمد المنهج التداولي على آليات في التحليل اللغوي منها الأفعال الكلامية وتقسيماتها ومبادئ التحكم في الحوار بين المتخاطبين كمبدأ التعاون وقواعد المحادثة وغيرها من الفروع التي استجدت بعد أن عدت اللغة ليست مجرد وصف للوقائع الحالية؛ وإنما هي أفعال كلامية إنجازية وسنتعرف على هذه الآليات من خلال ما سيأتي من فصول هذا البحث.

ب- مفهوم الحجاج:

- **الحجاج لغة:**

والحجاج من الحجة جاء في لسان العرب: " الحجة البرهان؛ وقيل: الحجة مادوفع به الخصم؛ وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل محجاج أي جدل. والتحاج: التخاصم؛ وجمع الحجة حجج وحجاج...»[1] وقد تلازم المفهوم اللغوي للمصطلح مع المفهوم الوظيفي مدة من الزمن قبل أن يتشكل منهجا قائما بذاته يتوسل به لتحليل الخطابات الأدبية وورد متواترا في الثقافة العربية القديمة والغربية.

- **الحجاج اصطلاحا:**

وقد تعالق مفهوم الحجاج في القديم تعالقا كبيرا بفن الخطابة والبلاغة بوصفها فنا نثريا عموده الإقناع والتأثير في المتلقي وقد" اشتهر السفسطائيون وهم حسب تسميتهم محترفو الذكاء والمعرفة وأصحاب الحكمة والكفاءة المتميزة في كل شيء، باعتمادهم سلطة الخطابة لنشر آرائهم وإتقان الاحتجاج بها، وقد كان مقصدهم اكتساح أغلب فضاءات الفكر والاجتماع في مدينة أثينا، وتأمين قاعدة واسعة من الأنصار والمشايعين لذلك غلبت عليهم صفة الخطباء"[2] أما الجاحظ في الثقافة العربية فقد عدَّ "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته

[1] - ابن منظور، لسان العرب، م4، مادة حجج.

[2] - عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر،1434هـ، 2013، ص29.

ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل"[1] وإن البعد المذهبي للجاحظ وولهه بأئمة الحجة والكلام دفعاه إلى ربط البلاغة بأهداف إقناعية محددا للكلام أدوارا في الخصومة ومنازعة الرجال ومناقلة الأكفاء ومناضلة الخصوم وفي الاحتجاج على أرباب النحل ومقارعة الأبطال وفي العلو على الخصم"[2] وتتابع بعد ذلك الدراسات التي تحمل في عمقها معاني الحجاج مع منظري البلاغة العربية والإعجاز القرآني.

أما في العصر الحديث فقد أعيد إحياء هذا المصطلح وبعث آلياته " وصار موضوعا خاصا قائما بذاته، ويتفاعل مع مجالات خاصة كذلك كاللغويات والفلسفة،... ففي منظور بعض هذه الكتابات نجد الحجاج أو التدليل يشيران إلى ذلك الخطاب الصريح أو الضمني الذي يستهدف الإقناع والإفهام معا مهما كان متلقي هذا الخطاب، ومهما كانت الطريقة المتبعة في ذلك .

وكان ذلك بمثابة الركيزة التي قامت عليها نظرية الحجاج المعاصرة وعند أبرز منظريها شاييم برلمان CH.PERELMAN، ميشال مايير M. MEYER، جان ميشال آدم J.MICHEL ADAM، ورولان بارث R.BARTHES"[3] .....بعد ذلك النقاد واللغويين العرب على هذه الدراسات الحديثة في محاولة لإثراء الدرس النقدي اللغوي العربي يتقدمهم (طه عبد الرحمن) " في كتابه اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، أين يضع نظرية للحجاج انطلاقا من كونه صفة للخطابة، إن الأصل في تكوثر الخطابة هو صفته الحجاجية بناء على أنه لا خطاب بغير حجاج" تأتي الدراسات من بعده لتوسع من منهج الحجاج وآلياته من مثل ما قدمه (محمد العمري) ولقد اعتمدنا منهج الحجاج لأنه يعتبر أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية (Intrinsèque) وظيفة حجاجية"[4] إن هذه النظرية التي وضع أسسها اللغوي

[1] - عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتبين، دار ومكتبة الهلال، دط، دب، ، دت، ص82.

[2] - عبد اللطيف عادل، المرجع نفسه، ص 61.

[3] - هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2013، ص60

[4] - أبوبكر العزاوي،اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، دط، الدار البيضاء، 2006، ص14.

الفرنسي أزفاد ديكرو منذ 1973 نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغة الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير"[1] فنحن في الأصل "نتكلم لنثبت صحة فكرة أو موقف، لنعدل رؤية الآخر أو تصوره أو تمثله للعالم، لنقنعه بصواب موقفنا، وبضرورة مشاركتنا رأينا وتأييدنا، لنهزأ منه لتفاهة رأيه وضلال مسلكه ومنطقه، لنخرسه. وإذا ما فعلنا أيا من ذلك، فإن خطابنا هو برهاني أو حجاجي"[2].

وبعد أن أحطنا بالجوانب الاصطلاحية التي تحدد الإطار العام للدراسة ومنهجها، ننتقل إلى مفاصل الدراسة وتطبيقاتها من خلال الفصل الأول.

[1] - المرجع السابق .

[2] - نبيل أيوب، النقد النصي وتحليل الخطاب نظريات ومقاربات، مكتبة لبنان، ط1، لبنان،2011، ص246.

الفصل الأول:

مجالس النساء آدابها وأنواعها

تمهيد:

حري بنا في بداية هذا البحث أن نقف عند تمثلات المرأة في التاريخ والفكر؛ للنظر في مدى حضور المرأة في الجوانب الحضارية والفكرية، وفي ثقافات الشعوب وشرائعها الوضعية والسماوية؛ ثم ننتقل بعد ذلك في المبحث الثاني إلى محاولة التعرف على آداب المجالس النسوية. أما المبحث الثالث فسنقسم فيه ونصنف هذه المجالس إلى أنواعها.

المبحث الأول: تمثلات المرأة في التاريخ والفكر

1- تمثلات الأنثى/ المرأة في الأساطير والحياة البدائية:

تعدّ الثنائية نظاما من الأنظمة الكونية التي خلق الله سبحانه وتعالى بها هذا الكون، إذ جعل فيه من كل زوجين اثنين، سواء في جانبه المحسوس المادي أو المعنوي؛ النور والظلام، السموات والأرض، الحق والباطل، الخير والشر... وخلق الزوجين الذكر والأنثى وميز الرجل والمرأة بالعقل والنطق لعمارة الأرض وتحقيق سنة الاستخلاف وحمل الأمانة

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿72﴾ ﴾ (سورة الأحزاب، الآية 72).

نزول آدم من الجنة عقابا على الخطيئة سنة خلقية أسالت الكثير من الحبر، وانبنت عليها العديد من النظريات، واختلفت في تفاصيلها تاريخ الحضارات والأمم التي ذكرتها كجزء من تاريخ الإنسانية على وجه هذه البسيطة؛ وكان لها أثر بالغ في علاقة المرأة بالرجل وفي نظرة كل واحد منهما للآخر.

وتعد الأساطير القديمة أول تمظهر لهذه العلاقة الإنسانية، بالرغم من الاختلاف في تحديد قيمة كلا الجنسين التراتبية والقيمية في مضمونها، ففي كثير من الأساطير كانت الآلهة أنثى لها تأثير كبير في مقدرات البشر وتصرفاتهم، وتملك سلطة حتى على باقي الآلهة حتى وإن كانت ذكرانا، والعكس بالعكس أيضا " لقد كانت الآلهة الأنثى تمد الذكر بالحكمة

الأصلية، هذه الحكمة التي كانت سر نجاح (زيوس) إله الحكمة عند اليونان، فزيوس لم يكن يملك حكمة أصلية، بل إن حكمته كانت مستمدة من الإلهة (ميتس)، وهي أولى زوجات (زيوس) التي وصفها (هزيود) صاحب أصول الآلهة بأن لها من الحكمة أكثر مما كان لكل الآلهة مجتمعة"[1]. وبالمقابل تعرف باندورا على أنها إلهة الأرض والخصب في الميثولوجيا الإغريقية، حذرها الإله الأكبر (زيوس) من رفع غطاء صندوق، لكنها فعلت، فكان ذلك إيذانا بانتشار الشرور والآلام والأمراض في أنحاء العالم؛ ويقر الدكتور "بوناب" بأن هذا قد يكون بداية مسار استعدت بموجبه النساء للاستدماج في الحكم المسبق السلبي ضد كل ماهو مؤنث[2].

وقد نقف عند تمظهرات تكاملية للعلاقة بين الأنثى والذكر، ففي أسطورة من الأساطير الأمازيغية مثلا؛ اعتبرت المرأة رمزا للخصب وهي التي تستدر الإله (أنزار) فتكون سببا في نزول المطر، وذلك من خلال استدعاء بعض الطقوس القربانية التي عرفها سكان منطقة القبائل؛ وتتمثل هذه الأسطورة في أن جمعا من النساء يجتمعن في أحد المنازل لتنظيم مراسيم الاحتفال، ابتداء من شهر أيار حين يحل القحط بالبلاد بتحديد الموعد، ثم اختيار الحماة التي تقدم ابنتها عروسا (لأنزار)[3] وبهذا تتعدد القراءات وتطوع بحسب ميولات الناقد والقارئ، إما دفاعا عن الهيمنة الذكورية في الأساطير أو عن سيطرة الإلهة الأنثى، وكل طرف يحجم زاوية النظر الخاصة به تضييقا وتوسعة.

كما أُخْتُلف واقعا أيضا في العصور البدائية حول مكانة كل واحد منهما، إذ كان الرجل في منظور البعض صاحب الصدارة والإدارة، فهو قوام الأسرة وربها المسؤول عن حياتها ورزقها وشؤونها، وهو المكلف بالدفاع عنها والذود عن حماها، وكان لابد للرجل من الحصول على العديد من النساء، سواء عن طريق الاسترقاق أو السبي، دون أن يكون

[1] - نعيمة شومان، المرأة منذ العصر الحجري والمرأة في الإسلام، دار الفرابي، ط1، بيروت، 2011، ص10.

[2] - ينظر: كمال بوناب، المرأة العربية وأسطورة اللعنة الأبدية: أسباب التطبيع ومتطلبات الممانعة، ضمن كتاب المرأة العربية بين فكي الهيمنة الذكورية والتدين، المركز الديمقراطي العربي، ط1، برلين ألمانيا، 2019، ص47.

[3] - ينظر: سالم بن لباد، رمز المرأة في الأسطورة الأمازيغية الجزائرية – أسطورة أنزار نموذجا-، مجلة معارف، البويرة ع12، جوان 2017، ص295.

لنظام الزواج في ذلك الوقت أي اعتبار[1]، في حين يرى (إبراهيم الحيدري) أن الإباحية الجنسية التي عرفت بها هذه المجتمعات البدائية كانت سببا في تأصل عادة انتساب الأطفال إلى أمهم وليس إلى أبيهم، لأنه ليس بالمستطاع في تلك الحالة تحديد الأب لعدم وجود تنظيم للعلاقات الجنسية، وسيطرت بموجب ذلك على المجتمع ما اصطلح عليه بخط الانتساب إلى الأم Matrilinearitat ، في حين أطلق على الانتساب إلى خط الأب Patrilinearitat.[2]

2- المرأة والشرائع السماوية:

"وقال لها الرب: سأضاعف آلامك وأحزانك مضاعفة كبيرة وستلدين الأطفال بالآلام وحدها وستكون حياتك خاضعة لمشيئة زوجك وسوف يظل زوجك حاكما عليك" هذه عبارة من العبارات التي وردت في التوراة، بالرغم من أن هناك تسليم بأن الديانات السماوية قد منحت المرأة قيمة لم تمنحها لها الشرائع الانسانية المختلفة، إلا أن الباحث في تاريخ الديانة اليهودية يقف عند العديد من المسلمات الدينية، التي تبين من خلالها امتهان اليهود للمرأة – ونتحفظ عن القول بأنه الدين اليهودي السماوي هنا- باعتبار أن العبارة الواردة أعلاه، إشارة إلى حادثة الولادة التي تعد في منظورهم عقابا للمرأة[3]. يذكر التاريخ الذي يتحدث عن العبرانية أن اليهود الأوائل كانوا يعتبرون المرأة لعنة؛ ونرى أن بعض الطوائف اليهودية قد اعتبرتها دون مرتبة أخيها ومكانته في الحياة الاجتماعية؛ بحيث ليس في مقدورها أن ترث إذا كان لها ذكور، وقد أعطت الحكمة اليهودية الأب حق بيع ابنته القاصر![4].

[1] - ينظر:باسمة كيال، تطور المرأة عبر التاريخ، عز الدين للطباعة والنشر، دط، بيروت، 1981، ص6

[2] - إبراهيم الحيدري وإشكالية الجنس عند العرب، دار الساقي، ط1، بيروت، 2003، ص29.

[3] - الصادق النيهوم، الحديث عن المرأة والديانات، تالة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 2002، ص8.

[4] - باسمة كيال، تطور المرأة عبر التاريخ، ص 47.

وعندما انتشر الدين المسيحي، كان لظهوره في ربوع الدولة الرومانية وبين شعوبها الموزعين في أطراف المعمورة أثر كبير على المرأة؛ حيث منحها الدين الجديد الثقة بالنفس للعمل على تطوير مركزها الاجتماعي لتتمكن من التخلص من القيود التي كانت تحد من حيويتها[1]. إلا أن التأثر بفكرة اللعنة الأبدية بقي متجدرا في عقيدة بعض رجال الدين، فقد اعتنق (بولس) " فكرة مسؤولية المرأة عن الخطيئة البشرية الأولى فهو يقول: ولكن لست آذن للمرأة أن تعلم، ولا تتسلط على الرجل بل تكون في سكوت لأن آدم جبل أولا ثم حواء، وآدم لم يغو، ولكن المرأة أغويت"[2]. وبالرغم من محاولات الخطاب الثقافي المتحيز بأن يجعل من مريم عليها السلام نموذجا للبراءة والطهر ،فإن ذلك لم يكن في سياق التحول عن مفهوم (المرأة / الخطيئة) إذ ظلت هذه العقيدة موحية في تجليات الثقافة في الغرب، فإذا كانت مريم عليها السلام تمثل الحد الأقصى من الخيرية الروحية، فإن حواء عليها السلام زوج آدم عليه السلام هي الأكثر شؤما في مادية البشر[3].

وبالانتقال إلى العقيدة الإسلامية، نجد أن حِفظ المصحف الشريف من التحريف جعل من الإسلام الدين السماوي الذي رفع قيمة المرأة؛ حيث نلاحظ أن الآيات القرآنية كانت صريحة العبارة في تحميل آدم مسؤولية المعصية الأولى؛ يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿121﴾ ﴾ (سورة طه، الآية 121).

والخطاب في هذه الآية صريح ومباشر في قوله وعصى آدم ربه.

وفي تحريم قتل الأبناء والموؤودة:

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿8﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿9﴾ ﴾ (سورة التكوير، الآية 8-9).

---

[1] - المرجع السابق، ص49.

[2] - أنفال جاسم الكندري، محمد أحمد الخطيب، المرأة في الخطاب المسيحي القديم والمعاصر، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، م28، ع2، غزة، ص258.

[3] - ينظر: رياض القرشي، النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، دار حضرموت للطباعة والنشر، ط1، اليمن، 2008، ص19.

كما تشير العديد منها أيضا إلى قيمة المرأة اجتماعيا في مساواة عادلة بالرجل في الحقوق والواجبات، وكذلك نصت العديد من الأحاديث النبوية الشريفة.

غير أن أثر الفلسفة الغربية وتأثر المفكرين بالأساطير والتاريخ المحرف لم تسلم منه حتى الثقافة العربية الإسلامية؛ يظهر ذلك جليا في تقهقر وضعية المرأة في المجتمعات العربية بعد صدر الإسلام فيما يليه من عصور خاصة؛ إذ بقي النظام الأبوي مكرسا بالرغم من أن الإسلام فصل في عديد من قضايا العلاقات والمعاملات، ومنح القيمة الكبرى لمفهوم التكليف الأسري للرجال والنساء على السواء. وقدس الأم ولم يمنع المرأة من العمل، ولم يكلفها مالا تطيق، نلاحظ أثر التقهقر في بعض الخطابات الدينية المنغلقة، وبعض الممارسات والعادات والتقاليد التي مازالت تفضل و تحتفل بالمولود الذكر وتقيم له الولائم، وتمتعض من المولود الأنثى في أولى صور التمييز الاجتماعي.

وساهم في ذلك أيضا كثير من دراسات بعض المستشرقين للدين الإسلامي، يقول "(إدوارد وليام لين): «إن الجانب المهلك للإسلام حطه من قيمة المرأة»، إن وصف وجهة نظر الإسلام عن المرأة بأنها حط من قيمتها تشويه متعمد للحقيقة، فالإسلام لا يقول عن المرأة إنها أقل شأنا من الرجل، بل جل ما يقوله هو: إنها تختلف عن الرجل، فالقضية هنا تقتصر على أوجه التباين بينهما وهي لا تتعلق بتحديد من هو الأفضل بينهما" [1]

وخلاصة القول أن الأديان السماوية اعتبرت المرأة جزءا من هذا الكون يكتمل بوجودها عمارة الأرض وسنة الاستخلاف، ولم تضع للمرأة أو الرجل مراتب، وما كان هذا التمييز إلا نتاج ثقافة اجتماعية وسياقات تاريخية بحتة.

3- المرأة والحركة النسوية:

ولكن لا يمكن أن ننفي استمرار استغلال النص الديني بقوة، من خلال مؤسساته المتمثلة في المجتمع الكنسي في فرنسا وفي غيرها؛ حيث ناقش رجال الدين فيها وفي وغيرها

[1] - وحيد الدين خان، المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية، تر: سيد رئيس أحمد الندوي، دار الصحوة للنشر، ط1، 1994، ص11.

مثلا وفي القرن السادس عشر مسألة هل للمرأة روح أو لا؟! ويبدو أنهم لم يستطيعوا إنكار هذه الروح، فكانت النتيجة بأن لها روحا، ولكنها روح شيطانية!، وهو ما يمثل استمرار الخلفية المعرفية التي تعمق من سلوك الاضطهاد للمرأة[1]، فكان من الطبيعي أن تنشأ بفعل ذلك ردات أفعال تحاول أن تقوض هذا الوضع الثقافي المريض، وتدافع عن المرأة في محاولة لإعادة الاعتبار لها "نشأت الحركات المطالبة بحقوق المرأة في القرن التاسع عشر ثم أطلق عليها النسوية (Feminism)" " وهي عبارة عن جهد نظري أو عملي، يراجع بالنقد والتعديل الأنساق السائدة في بنية المجتمع، حينما يكون الرجل هو المركز الفاعل، والانسان الحائز على الأهلية، والمرأة جنسا ثانيا، مقيدا ومحدودا في منزلته الأدنى"[2]، واكتسبت شكل الحركة السياسية المتماسكة في الستينات والسبعينات من القرن العشرين، من خلال المطالبة بالحقوق السياسية، على رأسها الحق في الانتخاب والحق في المشاركة في الحياة السياسية، ثم عادت بعد ذلك للتنوع مع حلول الألفية الجديدة[3]، ولأن الكتابة انعكاس للثقافة الاجتماعية فإن خلخلة المفاهيم النمطية لاتتم إلا من خلال زعزعة سيطرة الرجل على ميادين الكتابة والتأليف، حيث " تظهر اللغة تاريخيا وواقعيا على أنها مؤسسة ذكورية، وهي إحدى قلاع الرجل الحصينة. وهذا يعني حرمان المرأة ومنعها من دخول هذه المؤسسة الخاصة بالرجل. مما جعل المرأة في موضع هامشي بالنسبة لعلاقتها مع صناعة اللغة وانتاجها"[4]، وعلى هذا الأساس تشكلت مفاهيم الكتابة النسوية من منظور النسوية الجديدة، المتحمسة لبناء كينونتها الواعية الخاصة في الكتابة أو الأدب، على أساس أن كل ما تكتبه المرأة على خلفية وعي متقدم ناضج[5]، ويبقى السؤال

[1] - ينظر: رياض القرشي، النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، ص18.

[2] - رفقة رعد، النقد الثقافي والنسوية محاولة في تأسيسات فلسفية خارج النسق الذكوري، الفلسفة والنسوية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2013، ص165.

[3] - ينظر:سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية دراسة ومعجم نقدي، تر: أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر2002، ص21.

[4] - عبد الله الغذامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، ط5، الدار البيضاء، 2015، ص111.

[55] - حسين مناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2007، ص 67.

الذي يحتاج إلى إجابة مقنعة: هل استطاعت هذه الحركة النسوية الغربية حلحلة الوضع القائم، وتغيير النظرة الدونية التي أحاطت بالمرأة ردحا من الزمن؟! والأكيد أن الإجابات هنا ستختلف باختلاف زوايا النظر والتوجه الإيديولوجي والديني.

4- المرأة في الثقافة العربية:

نولي هنا اهتماما خاصا بوضع المرأة في الحضارة العربية بمختلف عصورها وذلك أن البحث يصب اهتمامه على خطاب المرأة وحضورها في الأدب العربي والثقافة العربية والإسلامية.

يجمع المؤرخون على أن " المرأة في العصر الجاهلي كانت تتمتع ببعض الحرية الناتجة عن الثقة في سلوكها الاجتماعي، مما خولها حق المساهمة في وجوه النشاط الفكري والعقلي والأدبي والشعري، وحتى المساهمة في النشاطات الحربية والعسكرية، التي جسدت مدى شجاعتها في الحروب والمعارك القبلية، والغزوات فخاضت غمارالمعارك واكتوت بلهيبها"[1] وقد صنفت النساء في هذا العصر بحسب شوقي ضيف إلى نوعين: "إماء وحرات، وكانت الإماء كثيرات، وكان منهن عاهرات يتخذن الأخذان وقينات يضربن على المزهر وغيره في حوانيت الخمارين، كما كان منهن جوار يخدمن الشريفات، وقد يرعين الإبل والأغنام، وكن في منزلة دانية[2]. ولا تعد هذه الظاهرة حطا من قيمة المرأة وحسب، بل يعتبر الرقيق على العموم ظاهرة اجتماعية مستهجنة عرفتها كل الحضارات الإنسانية على اختلافها وكما كانت المرأة أمة كان الرجل عبدا بل يمتد ذلك ليشمل حتى الأبناء من هؤلاء. أما النوع الثاني فكانت النساء الحرات " وكانت الحرة تقوم بطهي الطعام ونسج الثياب وإصلاح الخباء، إلا إذا كانت من الشريفات المخدومات، فإنه كان يقوم لها بهذه الأعمال بعض الجواري، وتدل دلائل كثيرة على أن بنات الأشراف والسادة كان لهن منزلة سامية، فكن يخترن أزواجهن، ويتركنهم إذا لم يحسنوا معاملتهن، وبلغ من منزلة بعض شريفاتهن أن كن

[1] - باسمة كيال، تطور المرأة، ص54.

[2] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، ط11، مصر، دت، ص72

يحمين من يستجير بهن ويرددن إليه حريته إذا استشفع بهن[1] إلا أن ظاهرة المؤودة وقتل المولود الأنثى تبقى من الصور التي أساءت كثيرا إلى المجتمع الجاهلي.

حرم الإسلام بعد ذلك قتل الموؤدة وحرض على تحرير العبيد؛ بأن جعل كفارة العديد من الذنوب تحرير رقبة، وحرم مظاهر الفحش والعهر التي كانت تمتهن فيها المرأة بالدرجة الأولى، واستمر ذلك في صدر الإسلام وما يليه من العصر الأموي، ولكن رغم كل ذلك استمر وجود مايسمى بالجواري، لأن الإسلام لم يقطع في تحريم العبودية. فعادت ظاهرة الإماء بقوة في العصور التي تلت.

وكان لانتشار الجواري خاصة في العصر العباسي أثره السلبي على هذا التقهقر، حيث صار كثيرا ما ينظر للمرأة باعتبارها جسدا للمتعة وحسب. يقول ابن حزم في قسمة ضيزى بين الرجال والنساء «وما أعلم علة تمكن هذا الطبع من النساء إلا أنهن متفرغات البال من كل شيء، إلا من الجماع ودواعيه والغزل وأسبابه...لا شغل لهن غيره ولا خلق لهن سواه»[2] "هذه شهادة من ابن حزم ليست ضد النساء وليست عن نفسه ولكنها شهادة عن (الثقافة). وهذا الكلام ليس كلام ابن حزم بوصفه عالما فقيها شاعرا وخبيرا بأحوال النساء، فهذا الكلام الوارد هنا لا يحتاج إلى علم وفقه وخبرة.إنه كلام تقوله الثقافة وتشيعه ويتواتر وروده على كل لسان وفي كل جيل"[3] وأخذ هذا التقهقر في النظر إلى المرأة يزداد، خاصة بعد أن تراجع الإسلام في أراضيه مما نتج عنه تدهورا على جميع الأصعدة.

وكما هو الحال مع كل انتكاسة تكون هناك ردة فعل، فانتشرت موجة الدراسات التي تتناول الجانب النسائي خاصة مع التأثر بالحركات النسوية الغربية وتطور عجلة الترجمة، فظهرت في الساحة الفكرية العديد من الأقلام رجولية ونسائية؛ تتناول بالبحث والتنقيب قضايا المرأة وقيمتها الاجتماعية والدينية؛ ومنهن نوال السعداوي من مصر، وفاطمة

[1] - شوقي ضيف، المرجع السابق، ص72.

[2] - ابن حزم أبو محمد علي، طوق الحمامة في الألفة والألاف، مكتبة عرفة، دط، دمشق، دت، ص79.

[3] -عبد الله الغذامي، ثقافة الوهم مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، المركز الثقافي العربي ط4، الدار البيضاء، 2014، ص48.

المرنيسي من المغرب، وألفة يوسف من تونس، ومنهم نصر حامد أبو زيد، وعبد الله الغذامي، وغيرهم كثير، وسواء اختلفنا مع طرح هؤلاء أو اتفقنا مع بعض آرائهم، إلا أن البحث وتعدد الآراء والحركة العلمية الثرية تبقى ظاهرة صحية ودعوة إلى التفكير ومراجعة المسلمات .

المبحث الثاني: آداب المجالس النسائية

و قبل الخوض في خطابات المجالس من المنظور التداولي والحجاجي، لابد من التعرف على الآداب العامة التي كان الحضور بمختلف شرائحه مطالب بالتحلى بها، وكما هو معروف فإن للمجالس أصول وآداب؛ من ذكر الجليس الصالح، وآداب الجالسين، والسلام عند الدخول، والاستئذان قبل ذلك وعند القيام، والتوسعة للوافد، والجلوس في المكان المناسب وإكرام الجليس وغيرها.

وامتثال هذه الآداب رهين بكل الحاضرين فيه، وكل من خالفها أو لم يعمل بها يعتبر مخروم مروءة، يتعرض للتعزير وحتى الطرد في بعضها، والملاحظ أن أغلب المجالس النسائية قد التزمت هذه الآداب عامة، كما انفردت بآداب تخصها، نستعرض من خلال الآتي بعضا منها.

أ- **التوسعة في المجالس:**

والتوسعة في المجلس تعني الإفساح وترك مكان لمن هو أولى به، وقد ورد عن (أبي هريرة) عن (الرسول ﷺ)" لا يوسع في المجالس إلا لثلاثة: لذي علم لعلمه، أو لذي سن لسنه، أو لذي سلطان لسلطانه"[1] وقال (أبي البختري)[2]: " كانوا يكرهون أن يقوم الرجل للرجل من مجلسه ولكن ليوسع له"[3] ونلاحظ أن هذا الحديث قيد الأشخاص الذين ينبغي الإفساح لهم لأسباب اجتماعية أو دينية أو لمنزلة علمية، أو لكبير في السن احتراما لسنه ، أو

[1] - محمد بن عبد البر النميري، بهجة المَجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تح: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، دط، لبنان، دت، ص41.

[2] - سعيد بن فيروز الطائي، من فقهاء الكوفة (28هـ).

[3] - محمد بن عبد البر، بهجة المجالس، ص40.

لصاحب سلطان نزولا عند سلطانه، وإن كان هذا النموذج قليل في المجالس النسائية وذلك لطبيعة هذه المجالس ولكون المرأة في الغالب هي صاحبة المجلس، كما يعزى إلى كون المرأة أولى بالاحترام والتوسعة، ومع ذلك لا نعدم بعضا من الأمثلة:

«...فبينا نحن كذلك إذ أقبل عبد الله بن جعفر ـ وإنه لأول يوم رأيته وآخره وكنت صغيرا كيسا، وكانت جميلة شديدة الفرح ـ فقامت وقام، فتلقته وقبلت رجليه ويديه، وجلس في صدر المجلس»[1].

والكلام هنا على لسان (أبو عباد) الذي زار مجلس (جميلة). والشاهد أن جميلة صاحبة المجلس الذي كانت تعقده في بيتها للغناء ولتعليمه والتحيكم فيه لم يمنعها من كونها سيدته أن تترك صدر المجلس (لعبد الله بن جعفر) [2] وهو صاحب مكانة وعز، وهي التي صرحت يوما بقولها أن " كل إنسان في بيته أمير وليس للداخل أن يتأمر عليه"[3]وهذه القاعدة العامة يشذ عنها من كان في مثل منزلة (عبد الله بن جعفر) لأنه صاحب سلطان، ولم تكتف (جميلة) هنا بالتوسعة في المجلس وحسب بل أمعنت في الإكرام وحسن الاستضافة.

ب- حسن الإصغاء:

ومن أهم الآداب التي تزين المجلس وترفع من قيمته حسن الإصغاء والإنصات بين الجلساء والإقبال على المتكلم، لأن الإنصات في عمومه يدل على اهتمام السامع لما يقوله المتكلم ويعد مهارة اجتماعية قل من يتقنها وقد قال يحي بن خالد موصيا ابنه" يا بني إذا حدثك جليسك حديثا، فأقبل عليه وأصغ إليه، ولا تقل قد سمعته وإن كنت أحفظ له، وكأنك لم تسمعه إلا منه، فإن ذلك يكسبك المحبة والميل إليك"[4] ويعاب الكلام على الكلام

[1] - الأصفهاني أبو الفرج، الأغاني، دار الثقافة،ط4، بيروت، دت، ج8، ص198.

[2] - ينظر: ابن كثير الحافظ، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ط8، بيروت، 1990، ج9، ص33.

[3] - الأصفهاني، المصدر نفسه، ص20.

[4] - محمد بن عبد البر، بهجة المجالس، ج1، ص43.

ومقاطعة الحديث والتسارع إلى ذلك والأحاديث الجانبية والتناجي لما في ذلك من سوء أدب مع المجتمعين ومن تشويش لسير المجلس وتضييع لفائدته، وكان العربي يفخر بحسن الإصغاء للجليس يقول ابن عباس " لجليسي علي ثلاث؛ أن أرميه بطرفي إذا أقبل، وأن أوسع له إذا جلس، وأصغي إليه إذا تحدث"[1] ونمثل لذلك بـ:

«... فاستأذنا فأذنت لنا، فوجدناها جالسة وعليها ثوب قوهي رقيق معصفر، تحته سراويل يرى منها بياض جسدها، ومرط قد جمعته على فخذيها، ومصحف على كرسي بين يديها فأشرجت المصحف ونحته، فسلمنا فردت، ثم رحبت بنا...»[2].

وعلامة الإنصات وحسن الإصغاء هنا قولهم "فأشرجت[3] المصحف ونحته" فواضح أن السيدة قد أقبلت على ضيفيها وأغلقت المصحف الذي كانت تقرأ فيه ووضعته جانبا كي تسمعهما، وما دلالة ذلك إلا حسن سلوك وأدب جم في التعامل مع الغير.

ومن ذلك أيضا ما جاء في مجلس من المجالس النقدية:

«... قالت: هاته فغناها

عوجي علينا ربة الهودج * إنك إلا تفعلي تحرجي**

قالت: هاته أنت يا غريض؛ فغناها إياه؛ فقالت لابن سريج: أعده، فأعاده، وقالت يا غريض، أعده، فأعاده...»[4].

حيث أن التحكيم والمفاضلة بين المتبارين يحتاج إلى الدقة والموضوعية وحسن الإصغاء؛ لذلك عمدت السيدة سكينة في هذا المثال إلى طلب إعادة الغناء بغية الإنصاف في الحكم بعد التدقيق في السماع.

---

[1] - يحي وهيب الجبوري، مجالس العلماء والأدباء والخلفاء، مرآة للحضارة العربية الاسلامية، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 2006. ص25.

[2] - أشرجت المصحف أغلقته وضمت أجزاءه بعضها إلى بعض.

[3] - أحمد بن محمد بن عبد ربه، طبائع النساء، وما جاء فيها من عجائب وغرائب وأخبار وأسرار، تح: محمد سليم إبراهيم، مكتبة القرآن، د ط، د ت، القاهرة ص66.

[4] - الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص239.

ت- الاستئذان والتستر:

من أهم الآداب التي تميزت بها المجالس النسائية في الأدب العربي القديم الاستئذان، قبل الدخول على أصحابها، إذ نلاحظ أن الزائر أو الضيف لا يدخل إليه حتى يؤذن له، والثقافة العربية كما هو معلوم كانت تستنكف حمى المرأة وتذود عن حياضها، وتتجنب كل ما يمكن أن يسيء إلى سمعتها، وشرفها من شرف القبيلة والأهل، فكان الاستئذان خلقا قارا وغالبا، على هذه المجالس ومنها:

« **فدخلنا دار زرارة فإذا هي دار فيها مقاصير، فاستأذنا على أمها، فلقيتنا بمثل كلام الشيخ ثم قالت: وهاهي في تلك الحجرة. قلت: لا تأتها. قال أليست بكرا قالت: بلى، قال: أدخل بنا إليها، فاستأذنا فأذنت لنا ...»**[1] .

ومنها أيضا:

«زار معبد مالك بن أبي السمح؛ فقال له: هل لك أن نصير إلى جميلة؟ فمضيا جميعا فقصداها، فأذنت لهما فدخلا...»[2].

ويعد الاستئذان خلقا عاما يشترك فيه النساء والرجال على السواء؛ وإن وجد في الثقافة العربية الجاهلية فقد أقره الإسلام بعد ذلك، وآية ذلك العديد من الآيات القرآنية التي ذكرته ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿59﴾ ﴾ (سورة النور، الآية59.)

ومن الآداب التي عرفتها المجالس النسائية إضافة إلى ذلك الحجب؛ وهو اتخاذ الإذن بالباب، و وضع حاجب عن الناس يقوم بهذه الوظيفة[3]، وقد عملت النساء بهذا العرف واتخذن حجابا على أبوابهن يأذنون لمن تأذن له، وقد عرفت كثقافة اجتماعية عامة من

---

[1] - ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص66.

[2] - الأصفهاني،الأغاني، ج8، ص201.

[3] - ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار ابن الهيثم، ط1، القاهرة، 1426هـ ، 2005م.

أيام الأمويين، فقد كان لبني أمية بيوت بلا منعة ولا إذن، وإنما كان الناس يقفون على أبوابهم حتى يؤذن لهم أو يصرفوا فلما ولي بنو العباس، وبنى المنصور مدينته اتخذ في قصره بيوتا للإذن[1] فتوسعت هذه الثقافة وشملت الخلفاء والأمراء وكبار العلماء والشرفاء، وكذا مجالس بعض النساء ومن أمثلته:

«... حجت أم عمر بنت مروان، فاستحجبت أشعب، وقالت له: أنت أعرف الناس بأهل المدينة، فأذن لهم على مراتبهم، وجلست لهم مليا: ثم قامت ودخلت القائلة، فجاء طويس فقال لأشعب: استأذن لي على أم عمر...»[2].

وكان التستر والحديث من وراء حجاب، خلق التزمت به النسوة في العصر الإسلامي وما بعده، وأصبح من الآداب التي التزمت به النساء بعد أن حث الإسلام عليه، حيث نجد هذا الخلق يطبع بعض المجالس النسائية من مثل مجالس السيدة سكينة بنت الحسين وقد اجتمع إليها الفرزدق وجميل وجرير لتحكم في أشعارهم:

«... فدخلوا عليها فقعدت لهم حيث تراهم ولا يرونها...»[3].

ومن المجالس التي كان يحضر فيها الشعراء والمغنون من أمثال: نصيب و الغريض وابن أبي ربيعة، نجد هذا الأخير يصف لنا النسوة في هذا المجلس:

«... حتى وقفنا عليهن وهن في أطيب حديث وأحسن مجلس؛ فسلمنا، فتهيبننا وتخفرن منا، فقال الغريض: لا عليكن هذا ابن أبي ربيعة والحارث بن خالد جاءا متشوقين إلى حديثكن وغنائي فجلسنا غير بعيد، وأخذن عليهن جلابيبهن وتقنعن بأخمرتهن... »[4].

---

[1] - ينظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ج3، ص60

[2] - الأصفهاني، الأغاني، ج19، ص111- 112.

[3] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب،دار الكتب العلمية،ط1، لبنان،2002،ج3، 189.

[4] - الأصفهاني،المصدر نفسه، ج6، ص308.

وعلى هذه الشاكلة من الاستتار كثير من المجالس النسائية التي يغشاها الرجال وخاصة منها التي عقدت في الفترة الإسلامية من العصر الإسلامي والأموي، ولكن هذا لا يعني أن كل المجالس النسائية كانت كذلك حيث نجد بعض المجالس التي يهتك فيها الستر خاصة إذا تحدثنا عن مجالس اللهو والمجون والإماء والجواري وسيأتي الحديث عنها بتوسع.

ث- الدعوة إلى المجالس والإكرام:

وهي ثقافة عربية عامة، عرفت بها مجالس وبلاطات الخلفاء والوزراء وميسوري الحال، فقد كانت النساء يدعين إلى مجالسهن ومجالستهن، خاصة إذا كانت المرأة سيدة المجلس من النساء الشهيرات البرزات اللواتي اشتهرت مجالسهن من أمثال سكينة بنت الحسين وجميلة، أو إذا كانت المرأة من حريم الخلفاء وحاشية الملوك والأمراء، وقد جاء في أحد مجالس جميلة قولها:

«... لا تحجبي عنا أحدا اليوم، واقعدي بالباب، فكل من يمر فاعرضي عليه مجلسي، ففعلت ذلك حتى غصت الدار بالناس؛ فقالت جميلة: اصعدوا إلى العلالي؛ فصعدت جماعة حتى امتلأت السطوح...»[1].

وممن دعي إلى المجالس أيضا الشعراء؛ ذاك أن الشاعر كان يحظى بمكانة اجتماعية مرموقة، فقد كانت دعوته إلى المجالس مستحبة وكثير من النساء يستمتعن بالحديث إليهم، ويتشوقن ذلك، كما جاء في أكثر من مجلس. ومن ذلك أيضا مجلس دعي إليه نصيب وكثير والأحوص:

«... حتى رفع لهم سواد عظيم فأموه حتى أتوه، فإذا وصائف ورجال من الموالي ونساء بارزات، فسألنهم أن ينزلوا فاستحيوا أن يجيبوهن من أول وهلة، فقالوا: لا نستطيع أو نمضي في حاجة لنا فحلفنهم أن يرجعوا إليهن، ففعلوا وأتوهن...»[2].

[1] -الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص224.

[2] - المصدر نفسه، ج1، ص232.

وقد ارتبطت هذه الدعوة في الغالب بإكرام أهل المجلس وقراهم، وإطعام الوافدين من أطايب الصنوف والموائد، فضلا عن ذلك فقد تميزت النساء بالكرم الذي عرف به العربي فكن يقدمن الهدايا والعطايا للآمين مجالسهن، ومنها ما ورد في المجلس الذي ذكرناه سابقا:

« ... فخرجا مغضبين واحتبستني فتغديت عندها، وأمرت لي بثلاثمائة دينار وحلتين وطيب، ثم دفعت إلي مائتي دينار، وقالت: ادفعها لصاحبيك؛ وإن قبلاها وإلا فهي لك»[1]

ومن الأمثلة التي تعضد الطرح أيضا:

« فدخل نسوة عليها فأمرت لهن بكسوة وألطاف كانت قد أعدتها لمن يجيئها؛ فجعلت تخرج كل واحدة ومعها جاريتها ومعها ما أمرت لها به عائشة»[2].

والمجلس هو للسيدة عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، التي كرمت ضيفاتها في حجها بالألطاف والهدايا، بل زادت على أن أكرمت الشاعر نصيب الذي كان يقف خارجا أمام الباب.

إن وجود مثل هذه النصوص النسائية التي تشير إلى كرم المرأة يسقط ولو جزئيا فكرة أن الكرم رجل، وأن المرأة تعذل الرجل وتلومه وتحاول منعه من إنفاق ماله والذي استند بالأساس إلى مجموعة من النصوص الشعرية دون الاطلاع على هذه النماذج النثرية[3].

ج- التحلي بمكارم الأخلاق:

وكانت بعض النساء يحرصن حرصا شديدا على أن تتحلى مجالسهن بمكارم الأخلاق والسمعة الحسنة، لدى الناس ومن شأن ذلك أن يضمن الاستمرارية لهذه المجالس وأبرز مثال على ذلك:

[1] -المصدر السابق، ج1، ص233.

[2] - المصدر نفسه، ج 2، ص 248.

[3] - ينظر: عبد الله الغذامي، ثقافة الوهم مقاربة حول المرأة والجسد واللغة، المركز الثقافي العربي، ، ط4، الدار البيضاء،2014، ص98.

« كان الأحوص معجبا بجميلة، ولم يكن يكاد يفارق منزلها إذا جلست. فصار إليها يوما بغلام جميل الوجه يفتن من رآه، فشغل أهل المجلس، وذهبت اللحون عن الجواري وخلطن في غنائهن، فأشارت جميلة إلى الأحوص أن أخرج الغلام...»[1] .

وحين تصام الأحوص عن أمر جميلة وأبى إخراج الغلام الذي أربك المجلس، أمرت بعض من حضر بإخراجه بالشدة، والداعي إلى ذلك الحفاظ على سمعة المجلس كما ذكرنا سابقا، وتجنب وصمة العار التي قد تلحق به إذا خرج هذا الأمر إلى العامة من الناس، وفي مجلس آخر، رفضت جميلة استقبال شاعر بسبب ما عرف عنه من اللهو والطيش " وكانت آلت ألا تغني بشعره ولا تدخله منزلها لكثرة عبثه وسفهه وحداثة سنه"[2].

ومن الأخلاق التي التزم بها الحاضرون في المجالس أيضا؛ احترام الدور الأول يليه الثاني فالثالث.، والسابق أولى بالتحكيم في شعره أو غنائه، وقد تحدث أبو عباد عن هذا الخلق فقال:

« أتيت جميلة يوما وكان لي موعدا ظننت أني سبقت الناس إليها، فإذا مجلسها غاص؛ فسألتها أن تعلمني شيئا؛ قالت لي: إن غيرك قد سبقك ولا يجمل تقديمك على من سواك. قلت: جعلت فداك! إلى متى تفرغين ممن سبقني! قالت: هو ذاك الحق يسعك ويسعهم...»[3].

كما كانت النساء يتلطفن في الاستقبال ويلن في الكلام ويحرصن على راحة ضيوفهن من الرجال والنساء؛ وإذا كانت هذه الأخلاق الفاضلة التي تحلت بها النساء في مجالسهن وفرضنها على الحاضرين ورغبن فيها قاعدة شملت أغلب المجالس إلا أن بعضها الآخر خرج إلى النقيض من ذلك.

ح- صور معاكسة للآداب العامة:

[1] - الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص231.

[2] - المصدر نفسه، ج8، 231.

[3] - المصدر نفسه، ص229.

وكانت بعض هذه المجالس صورة لمراتع اللهو والمجون وخطابها " يعج بالنابي ويوغل في المسكوت عنه من لفظ خارج وصور بذيئة والمرأة في نشاطها الحواري جزء من ثقافة المجتمع، لذا يأتي على لسانها ألفاظ تتفاوت في البذاءة، يحكم ذلك الموقف الذي تساق فيه، ومكانة المرأة اجتماعيا واقتصاديا"[1].

« قال الزبير حدثني عمي قال: ثم إن حسان بن ثابت مر يوما بنسوة فيهن عمرة بعد أن طلقها، فأعرضت عنه وقالت لامرأة منهن: إذا حاذاك هذا الرجل فاسأليه من هو وانسبيه وانسبي أخواله وهي متعرضة له، فلما حذاهن سألته من هو ونسبته فانتسب لها، فقالت : فمن أخوالك؟ فأخبرها، فبصقت عن شمالها وأعرضت عنه...»[2].

فعمرة في هذا المجلس النسائي أرادت أن تكيد لطليقها وتعرض به، ولم تكتف هي بذلك فحسب بل حرضت على ذلك جليستها إمعانا في الأذية والتجريح، وذلك من خلال تذكير حسان بنسبه وقد كان النسب مما يعتز ويفخر به.

كما تميزت خطابات بعض المجالس بالحدة في اللفظ والشدة فيه، خاصة مجالس سكينة بنت الحسين حيث كانت شديدة في النقد سليطة فيه ومن ذلك قولها:

« ...وأخبرني الحسين بن يحي عن عباد عن أبيه عن أبي يحي العبادي: أن سكينة أنشدت أبيات عروة بن أذينة في أخيه بكر؛ فلما انتهت إلى قوله:

على بكر أخي ولى حميدا* وأي العيش يحسن بعد بكر**

قالت سكينة: ومن أخوه بكر؟ أليس الدحداح الأسيد القصير»[3].

[1] - وسمية عبد المحسن المنصور، المرأة المحاورة - قراءة في التراث-، مجلة عالم الفكر، م34، ع2، الكويت، أكتوبر-ديسمبر2005، ، ص76.

[2] - الأصفهاني، الأغاني، ج3 ص18.

[3] - المصدر نفسه، ج7، ص62.

إذ لم تنتقد السيدة (سكينة) في هذا المجلس الشعر في ذاته بل تعدت ذلك إلى نقد الرجل الذي قيل فيه البيت الشعري؛ ووصفته بالسوء حين رأت أن معاني البيت لا تنطبق على الرجل.

وقد اجتمعت ثلاث نسوة يوما، ولم يغب عن مجلسهن القذف والغيبة والشعر الماجن حيث قالت إحداهن:

« قاتل الله ابن الزانية نصيبا حيث يقول:

ألام على ليلي ولو أستطيعها* وحرمة مابين البنية والســـتر**

لملت على ليلي ميـــــلة * ولو كان في يوم التحالق والنحر...»**[1]

حيث لم تتورع المرأة وهي مع صديقاتها عن وصف الشاعر الذي استملحت شعره الذي يذكر فيه رغبته في (ليلى) حتى وإن كان في أيام الحج التي يحرم فيها ذلك (بابن الزانية).

وفي التعريض والسخرية جاء في مجلس (نزهون الغرناطية):

«ومن نوادرها أن ابن قزمان الشاعر جاء ليناظرها، وكان يلبس غفارة صفراء على زي الفقهاء، فلما رأته قالت إنك اليوم كبقرة بني إسرائيل صفراء فاقع لونها، ولكن لا تسر الناظرين فضحك الحضور وثار بن قزمان...»[2].

ويمكننا أن نخرج بنتيجة، وحكم عام حول الآداب النسائية فنقول: أن النساء على العموم استحببن الأخلاق الحميدة، وحافظن عليها في مجالسهن خاصة المجالس المختلطة؛ لأن هذه المجالس في الأغلب كانت لسيدات أشراف لهن ذكر حسن بين الناس، وقد ارتبط المجون في الغالب بالجواري والمغنيات في القصور وبالمجالس الخاصة بالنساء، أما المجالس النقدية فقد كانت أقرب إلى الجدية والجرأة في النقد وتبيين الأخطاء في غير مجاملة ولا تملق.

[1] - الأغاني، الأصفهاني، ج1، ص244.

[2] - محمد بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، منتزم للطباعة والنشر،دط، القاهرة، دت، ص157.

وعند حديثنا عن الخطابات وطبيعتها والسيدات اللواتي كن حاضرات في هذه المجالس، والحوارات التفاعلية التي دارت بين الحضور يستوجب علينا أن ننتقل فيما تبقى من فصول هذه الدراسة إلى تحليل هذه المستويات الخطابية وطبيعتها وما يحيط بها وأطراف التلفظ ومستوياته .

المبحث الثاني: أنواع المجالس النسائية

1- المجالس النسائية النثرية:

ينقسم الكلام في اللغة العربية كما هو معروف إلى قسمين شعر ونثر، وإن كان الشعر قد استوفى ما يكفي من الإحاطة به درسا ونقدا وتمحيصا، إلا أن النثر لم "يرق إلى هذا الطموح وقرأ الناس ما صادفوا أمامهم من نصوص، فكانت قراءاتهم لها مخرومة من التعمق، خالية من النضج غالبا"[1] والمعلوم أن النثر القديم انقسم إلى أنواع عديدة منها الوصايا والحكم والأمثال وسجع الكهان، إن اكتفينا بالتصنيف الأدبي المحض، إلا أن الاختلاف في أسبقية الشعر والنثر خضع إلى كون النثر أوسع من الشعر من منظور البعض حيث يشمل المحادثات اليومية أيضا والتي تدخل في باب النثر، يقول صاحب العمدة في ذلك:«وكان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأبجاد وسمحائها الأجواد؛ لتهز أنفسها إلى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم ، فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلما تم لهم وزنه سموه شعرا؛ لأنهم شعروا به، أي: فطنوا»[2] ومن ذلك يستحيل القول بأسبقية الشعر عليه، ومن خلال هذا اعتبرنا اللقاءات اليومية بمختلف أنواعها حوارات تستحق الدراسة والتأمل. ومعلوم أن المجالس التي تعتبر أهم فضاء تقع فيها هذه الحوارات قد اختلفت أنواعها من عصر إلى آخر، إذ شهدت الحضارة العربية منذ العصر الجاهلي المجالس، فكان كبار القبائل ورؤساء العشائر ورجالها يتجالسون ويتناقشون في أمور حربهم وسلمهم وحلفهم وخصوماتهم، وعلى امتداد الحقب التاريخية عرفت قصور الخلفاء

[1] - محمد مرتاض، قراءة جديدة للنثر العربي القديم من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر،دت، ص3

[2] - ابن رشيق القيرواني أبو الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر،2007، ج1، ص20

والأمراء أشكالًا من المجالس منها مجالس الشعر والمناظرات، ويشتهر في ذلك مجالس (المأمون) العلمية[1].

كما كان للنساء مجالسهن التي عرفتها الحضارة العربية وإن اختلفت في بعض خصائصها عن المجالس السالفة الذكر انطلاقا من طبيعة الاختلاف بين الرجال والنساء نوعا لا مفاضلة، ولذلك ارتأيت في بعض الأحيان أن أعد بيت المرأة مجلسا لها، والصومعة مجلسا وكذلك الفناء والقصر، فكان حديث المرأة مع زوجها وابنها وصديقاتها كلها مجالس تدخل في مجال الدراسة وقد نتج عن ذلك تنوع في هذه المجالس.

كما أن حضور الأدب في الخطاب النسوي القديم كان ظاهرا في مختلف المناظرات والمفاخرات والمفاضلات، و كانت كثير من نساء العصر القديم شاعرات بارزات وفاق شعرهن في جودته كثير من الشعراء ولا يكفي أن نمثل على ذلك (بتماضر بنت عمر بن الشريد)، و(ليلى الأخيلية)، وفي الخطب (بالسيدة عائشة رضي الله عنها) وفي المفاضلات والوصف (بهند بنت الخس الإيادية)، على أن المحاورات في الخطابات اليومية وفي العلاقات الاجتماعية لم تكن بعيدة عن الخطاب المستوفي لشروط التواصل والخصائص الأدبية في الكثير منها.

أ- مجالس النثر الاجتماعي:

وتتنوع هذه المجالس الاجتماعية بتنوع الموضوعات التي تتناولها، وتنوع العلاقات الاجتماعية التي تربط بين المتحاورين، وقد تتداخل في كثير من الأحيان بالمجالس الأخرى كالشعرية والسياسية والدينية، والتعليمية، ومع ذلك حاولنا الفصل بينها من خلال ما رأيناه غالبا على المجلس وقد انقسمت وتنوعت إلى مجالس الصديقات والجواري ومجالس الخطبة، ومجالس النساء مع أزواجهن، ومجالس الكواهن والملكات وغيرها.

[1] - ينظر يحي وهيب الجبوري، مجالس العلماء والأدباء والخلفاء مرآة للحضارة العربية الإسلامية،دار الغرب الإسلامي ط1، دب، 2006، ص275.

- **المجالس النثرية الأسرية:**

وقد كانت صورة للحياة الأسرية والعلاقات الاجتماعية التي كانت تربط بين أفراد الأسر بالرغم من أن المجتمع العربي يتميز بكونه مجتمع قبلي بالدرجة الأولى، بالمفهوم الجامع المتأصل إلا أن الأسرة تعتبر دائما النواة التي تشكل أي مجتمع كان. وتعد المرأة في كثير من الأحيان نبض هذه الأسرة ويعد الحوار من أكثر الأشكال التعبيرية التي تبين طبيعة هذه العلاقات:

« وعن العتبي قال : خطب قربية إبنة حرب أخت أبي سفيان بن حرب أربعة عشر رجلا من أهل بدر فأبتهم وتزوجت عقيل بن أبي طالب

قالت: إن عقيلا كان مع الأحبة يوم قتلوا وإن هؤلاء كانوا عليهم !

ولاحته يوما فقالت: يا عقيل أين أخوالي؟ أين أعمامي ؟ كأن أعقانهم أباريق الفضة !

قال لها : إذا دخلت النار فخذي على يسارك»[1].

كما تتردد مجالس الخطبة بشكل مطرد، وتبين لنا من خلال كثرتها جانبا من الحياة الاجتماعية الذي كان منوطا بالمرأة، وجوانب أخرى كثيرة من طبيعة شخصية المرأة العربية وحياتها الخاصة:

« خطب إلى أعرابي رجل موسر إحدى ابنتيه وكان للخاطب امرأة فقالت الكبرى: لا أريده! قال أبوها: ولم؟ قالت: يوم عتاب ويوم اكتئاب، يبلى فيما بين ذلك الشباب!

قالت الصغرى: زوجنيه! قال لها : على ما سمعت من أختك؟ قالت : نعم يوم تزين ، ويوم تسمن، وقد تقر فيما بين ذلك الأعين »[2].

نلاحظ أن الخطاب في هذه الأمثلة يسلط الضوء على نمطية الحياة العربية والعلاقات الأسرية بين أفراد الأسرة الواحدة، كما أنه يبين اختلاف وجهات النظر نحو الاختيارات

[1]- ابن عبد ربه، طبائع النساء، وما جاء فيها من عجائب وغرائب وأخبار وأسرار، تح: محمد سليم إبراهيم، مكتبة القرآن، دط، القاهرة، دت، ص69.

[2]- المصدر نفسه، ص84.

الممكنة الحرة التي تتمسك بها المرأة في حياتها الاجتماعية يتمظهر ذلك في خطابها الواضح والمباشر.

ويجمع المثال الآتي بين صنفين:

« وأصله ما حدثوا أن إحدى ملكات سبأ، وفد إليها قوم يخطبونها فقالت: ليصف كل رجل منكم نفسه، وليصدق، وليوجز. لأتقدم إن تقدمت، أو أدع إن تركت على علم. فتكلم رجل منهم يقال له مدرك...»[1].

فالنموذج في هذا المجلس النثري يجمع بين موضوع الزواج وهو موضوع اجتماعي، وبين كون المحاورة ملكة حكمت زمام الأمور السياسية في مملكتها، مما يصعب علينا الفصل في كثير من الأحيان قياسا بين المجالس بفعل التداخل الكبير بينها.

والنماذج في المجالس النسائية الاجتماعية كثيرة عددا ومتنوعة موضوعا، يظهر فيها جليا الدور الكبير الذي كانت المرأة تشغله في كل مناحي الحياة؛ لكونها النصف المكون لكمال الوجود الدنيوي، كما كان خطابها في هذه المجالس له طابعه الخاص والمتميز.

كما تورد كتب التاريخ الأدبي العديد من أمثلة النثر الاجتماعي و الحوارات الأسرية الأخرى مثل مجالس المآتم:

«حدثني أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثني يحي بن الحسين العلوي قال: كتب إلي عباد بن يعقوب يخبرني عن جدي يحي بن سليمان بن الحسين قال: كانت سكينة في مأتم فيه بنت لعثمان رضي الله عنه، فقالت بنت عثمان: أنا بنت الشهيد، فسكتت سكينة، فلما قال المؤذن: وأشهد أن محمدا رسول، قالت سكينة: هذا أبي أم أبوك؟ فقالت العثمانية: لا جرم لا أفخر عليكم أبدا»[2].

[1] - محمد بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام

[2] - الأصفهاني، الأغاني، ج16، ص93.

- **مجالس الصديقات النثرية:**

ومن أهم المجالس التي تقدم خطابات المرأة وتتميز عن خطابات أخرى بكونها تتطرق إلى بعض الخصوصيات النسوية في المجتمع العربي القديم؛ نجد مجالس الصديقات، وإن كانت أقل ورودا من أنواع المجالس الأخرى، وهنا نشير إلى أن بعض مجالس الصديقات والجواري صنفت ضمن الأنواع الأجناسية الأخرى خاصة الشعرية والسجعية، بسبب ما يطغى عليها من خصوصيات هذه الأجناس أكثر من تعبيرها عن الجانب الاجتماعي، ومن مجالس الصديقات نذكر:

«...كنا صواحب مجتمعات على الألفة، لا تشرب منا واحدة البارد دون صاحبتها فاختُرمت صاحبة الصورة من بيننا، فنحن نصنع في كل موضع نجتمع فيه مثل الذي رأيت...»[1]

والخطاب مقتطف من مجلس دوري لصديقات يجتمعن عل ذكرى صديقتهن الراحلة، وفيه من الطقوس الحميمية والدينية ما يبرز قوة علاقتها بهن قبل وفاتها.

ويعد أقرب نموذج عن المجالس الاجتماعية للصديقات، إذ يصور بكل دقة بآليتي الوصف والحكي المجلس بكل أطواره، وأحداثه، وحواراته، بين المتجالسات فيه.

ب- المجالس النثرية السياسية والدينية:

- **المجالس السياسية:**

كان للمرأة في المجالس السياسية حضورا بارزا، وحضورها في كثير منها كان محوريا ويعد كتاب «أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان»[2] من أهم المصادر التي وثقت آراء المرأة السياسية، ومجادلاتها القوية في هذا المجال فالمرأة المحاورة تكون في الموقف السياسي دائما قوية، مؤمنة بمعتقدها السياسي، مقتنعة بما لا يقبل التشكيك

[1] - محمد بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، ص171.

[2] - صاحب الكتاب العباس بن بكار الضبي، تح: سكينة الشهابي.

بسلامة ما هي عليه"[1]، كما يمكن أن نجد بعض المجالس السياسية خاصة عندما يتعلق الأمر بالمجال السياسي في العصور الإسلامية المتأخرة، إبان وقوع بعض الحروب بين المسلمين، أو خلال حكم النساء غير المباشر والمباشر، حيث تربعت غير ما امرأة على عرش الحكم من أمثال (بلقيس ملكة سبأ)، و(الزباء ملكة تدمر)، و(الخيزران) التي احترفت السياسة ومارستها عبر عدة خلفاء، منهم زوجها وأبناؤها،حيث يكون للمرأة في السياسة وفي إدارة الحكم دورا خفيا وحتى ظاهرا،[2] وقد تداخلت السياسة كثيرا مع الدين في هذه المرحلة، ما جعل الأحداث السياسية جزءا من معتقدات المجتمع ككل، فبديهي أن يكون للمرأة آراء إزاء ما تعتقده وما تراه مناسبا في أمور دينها ودنياها ومن ذلك:

« ... ولما قدم معاوية من الشام وكان عمر قد استعمله عليها دخل على أمه هند، فقالت له: يا بني، إنه قلما ولدت حرة مثلك! لقد استعملك هذا الرجل فاعمل بما وافقه، أحببت ذلك أم كرهته»[3].

إذ يلفت انتباهنا في هذا المثال فقه الأم ومشاركتها في أمور السياسة، وذلك من خلال حث ابنها على ما ينبغي عليه الالتزام به وقد قلد مسؤولية عظيمة. وإنما الوصية تكون في الغالب من إنسان أنضجته التجارب وخبر الحياة وتقلباتها.

- **الخيزران:**

وتعتبر الخيزران من أشهر النساء اللواتي خضن في ميدان السياسة وكان مجلسها وحضورها في الحكم شاهدا على ذلك، وهي "زوجة المهدي الخليفة العباسي الثالث الذي حكم بين سنة 158- 169، وابنها البكر الهادي وابنها الأصغر هو هارون الرشيد، ومن أبنائها موسى الهادي.

ولدت من أبوين حرين في منطقة من مناطق اليمن تدعى جرش، وصلت إلى قصر بغداد كجارية، واشتراها الخليفة المنصور واستطاعت إقناع الخليفة المهدي بتوريث

[1] - وسمية عبد المحسن ، المرأة المحاورة ص80 .

[2] - ينظر، يحي وهيب الجبوري، النساء الحاكمات من الجواري والملكات، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 2010.

[3] - ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص 37.

الخلافة لأبنائها من بعده دون غيرهم من أبنائه، بالرغم من أن التقاليد تقضي بعدم تولية أبناء الجواري.

عين ابنها (موسى) رسميا وليا للعهد سنة 159هـ ، ولما استقر بالخلافة هم بقتل أمه وأخيه هارون، فاتفقا على القضاء عليه"[1].

إنما يجعل شخصية مثل (الخيزران) على قدر كبير من الحضور التاريخي في مجال السياسة كونها " اتخذت قرارات سياسية على درجة كبيرة من الأهمية، والتي يمكن القول معها بدون مبالغة أنها طبعت أثرها على إحدى الفترات الأكثر أهمية من تاريخ الأسرة العباسية وتاريخ الإسلام[2] .

ومن الأمثلة أيضا:

« كانت الخيزران أم الهادي والرشيد في دارها وعندها أمهات أولاد الخلفاء وغيرهن من بنات بني هاشم؛ وبينما هي كذلك إذ دخلت عليها جارية من جواريها فقالت : أعز الله السيدة! بالباب امرأة ذات حسن وجمال، وفي أطمار رثة، وليس وراء ما هي عليه من سوء الحال غاية، تأبى أن تخبر باسمها وهي تروم الدخول.

فقالت الخيزران للجارية: أدخليها.

قالت: أنا مزنة زوج مروان بن محمد، وقد أصارني الدهر إلى ما ترين، ووالله ما الأطمار الرثة التي علي إلا عارية وإنكم لما غلبتمونا على هذا الأمر، وصار لكم دوننا لم نأمل مخالطة العامة على ما نحن فيه من الضرر. على بادرة إلينا تزيل موضع الشرف؛ فقصدناكم لنكون في حجابكم على أية حال كانت؛ حتى تأتي دعوة من له الدعوة...»[3]

[1] - ينظر: يحي الجبوري، النساء الحاكمات، ص 47- 48.

[2] - ينظر: فاطمة المرنيسي، السلطانات المنسيات، نساء رئيسات دولة في الإسلام، تر: جميل معلى و عبد الهادي عباس،دار الحصاد للنشر والتوزيع، دط، دمشق، دت، ص93.

[3] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص201.

وقد كانت (الخيزران) كما ذكرنا سابقا من النساء اللواتي حكمن حكما غير مباشر من خلال زوجها وأبنائها، وعليه فإن يقين مزنة بمكانة الخيزران في إدارة كفة الحكم وقدرتها على انفاذ رأيها، جعلتها تقصدها لتستدر عطفها عليها وعلى أهلها.

هذا في الجانب السياسي الذي نجده في كثير من المجالس متداخلا تداخلا كبيرا مع الأنواع الأخرى بحيث يعقد من عملية التصنيف.

- **المجالس الدينية:**

أما فيما يخص المجالس الدينية فنجدها هي الأخرى متداخلة، إلا أننا نستطيع أن نفرد هنا مجالس خاصة بالمتصوفات ونذكر على سبيل التحديد مجالس (رابعة العدوية) أشهر النساء المتصوفات في التاريخ العربي:

« قال عبد الواحد بن عامر: أنا وسفيان ذهبنا إلى رابعة للعيادة، ما استجرينا أن نبتدئ عندها بالكلام من غاية مهابتها، قلت لسفيان: تكلم بشيء. قال: يا رابعة، لو دعوت الله في كشف هذه الكربة عنك، وتسهيل الأمر عليك. فتوجهت إليه، وقالت:..»[1]

كما ترصد كتب التاريخ الإسلامي العديد من المحاورات التي تكشف عن عقائد النساء في العصور السالفة، خاصة عندما يتعلق الأمر بالدين الجديد والإيمان به أو بالأحداث التي وقعت خلال الصراعات الإسلامية السياسية والمذهبية، فقد حاورت العديد من الأمهات أبناءهن ترغيبا وترهيبا، وفي كثير من الأحيان زجرا أو دعوة للدين أو الحرب أو تعضيدا وتثبيتا:

[1] - عطار فريد الدين ، تذكرة الأولياء، تح: محمد أديب الجادر، مركز تحقيقات كامبيوترى علوم إسلامي، دط، دب، دت، ص 110.

«أسلم طليب بن عمير في دار الأرقم ثم خرج فدخل على أمه وهي أروى بنت عبد المطلب، فقال: تبعت محمدا وأسلمت لله، فقالت أمه: إن أحق من وازرت وعضدت ابن خالك، والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لمنعناه وذببنا عنه،...»[1]

وقد احتكمت (أروى بنت عبد المطلب) في هذا النص إلى الأخلاق العربية التي كانت تقدس العلاقات الأسرية، وروابط الدم والرحم، وتعدُ الإساءة إليها مذلة، ومن ثمة كانت الآداب العامة التي تتخلق بها المرأة العربية مستمدة من طبيعة المجتمع الذي التزم بالأخلاق القبلية قبل البعثة، أو بما دعا إليه الإسلام بعد ذلك، و انعكست هذه الآداب على هذه المجالس النسائية.

ت- المجالس النثرية التعليمية:

وكثيرا ما غيبت المرأة المتعلمة والمعلمة في سياق الحديث عن النساء في الثقافة العربية القديمة؛ وكان التركيز منصبا على المرأة القينة والجارية والزوجة والأم، والمرأة في أدوارها الاجتماعية العادية، وإن ارتفع بها شأن فهي الكاهنة والعجوز ذات الخبرة الحياتية.

- **مجالس عائشة رضي الله عنها:**

إلا أن التاريخ يحصي العديد من النساء اللواتي كسرن هذه الصورة النمطية، خاصة في العصر الإسلامي الأول؛ حيث نشهد مجلس السيدة (عائشة رضي الله عنها) الذي كان محجا علميا يؤمه الرجال والنساء يسألون عن أمور الدين:

«دخل رجلان على عائشة رضي الله عنها فقالا: إن أبا هريرة يحدث أن الرسول قال: إنما الطيرة في المرأة والدار والدابة، فطارت شفقا، ثم قالت كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم من حدث بهذا...»[1] .

[1] - ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن منيع، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، 1958. ج3، ص123.

ومعلوم أن (عائشة رضي الله عنها) هي زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وابنة خليفته (أبي بكر بن قحافة)، وقد روت عن النبي علما كثيرا طيبا مباركا، وسندها يبلغ ألفين ومئتين وعشرة أحاديث[2].

- **مجالس الوصايا:**

وتعد الوصية فنا من الفنون النثرية التي عرفت انتشارا واسعا خلال العصر الجاهلي وما يليه من حقب، " وكثيرا ما كانت هذه الوصية تتم بين قبيلتين أو شخصين أو طائفتين؛ لكن الذي وصل إلينا بصورة جلية إنما هو تلك الوصايا التي تركها شيوخ محنكون أملوها على أبنائهم أو أقوامهم"[3] وتتجاوز الشيوخ إلى الآباء والأمهات وغيرهم ممن يملك خبرة وتجربة حياتية.

وقد ندرج الكثير من المجالس التعليمية في هذا الباب، مثل مجالس الوصايا لكونها تقترب من مفهوم التعليم والتوجيه، خاصة عندما تصدر من أم لابنتها:

« أي بنية؛ إن الوصية لو تركت لفضل أدب، لتركت لذلك منك، ولكنها تذكرة لغافل؛ ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغني أبويها ، وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه. وسكن الناس خلقن للرجال، ولهن خلق الرجال...»[4]

ويدخل في هذا الباب كل أنواع الوصايا على اختلافها، وقد أدرجناها في هذا الباب لأنها تصدر من شخص خبر الحياة تجربة وعلما فيكون خطابه توجيها وتعليميا.

2- المجالس النسائية الشعرية:

أ- المجالس الشعرية الذوقية والحوارية:

---

[1] - ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، مصر، 1963م، ج1، ص146.

[22] - عبيد بن أبي نفيع الشعبي،أخبار النساء في أعلام النبلاء، دد، دط، 1413هـ، ج1، ص25-26.

[3] - محمد مرتاض، قراءة جديدة للنثر العربي القديم، ص35.

[4] - محمد بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، ص17

كانت الأسواق كما هو معلوم في تاريخ الأدب العربي من أهم الأماكن التي عقدت فيه هذه المجالس ومن أشهرها سوق عكاظ، وفيه ضربت (للنابغة الذبياني) قبة من أدم ليتحاكم إليه الشعراء، وخلف عكاظ مربد البصرة، وهو من أشهر محالها، وبه كانت مفاخرات الأشراف، يتوافدون إليه من النهار للحديث والمناشدة والمفاخرة ويجتمع إليهم الناس فيهدر الشعراء ويخطب الخطباء ويتكلم العلماء، ولهم مقامات مأثورة ومواقف مشهورة[1].

- **المجالس الشعرية الذوقية:**

لم تكن المرأة بمعزل عن حياض الشعر لأنه كان بمثابة الشريان للحياة العربية في تلك الفترة، وكانت كثيرات منهن الشاعرات، كما كن يلتقين ويتذاكرن الشعر والشعراء، ويستشهدن به ويجعلنه ملحا في أحاديثهن، ويسعين إلى دعوة الشعراء إلى مجالستهن والحديث معهم وإنشادهن، وقد ورد تمثيلا على ذلك قول (سحيم بني عبد الحسحاس) أنه: " جالس نسوة من بني اليربوع وكان شأنهن إذا جلسوا للتغزل أن يتعابثوا بشق الثياب وشده والمغالبة على إبداء المحاسن، فقال سحيم:

كأن الصبيريات يوم لقيننـــا*** ضباء حنت أعناقها في المكانس

فكم شققنا من رداء منيـــر*** ومن برقع عن طفلة غير ناعس

إذا شق برد شق بالبرد برقع *** على ذاك حتى كلنا غير لابـس"[2]

وفي الأبيات تصوير لمدى محبة النساء للشعر، وتأثرهن بالغزلي منه خاصة، وجلوسهن للاستماع إليه رغم ما فيها من مبالغة. وقد كان (عمر بن أبي ربيعة) كما هو معروف " شاعر المرأة وهو المتحدث بلسانها، والناطق باسمها والواصف لجمالها، الذي أخلص حياته وفنه لها. وإذا كان الرجل العربي مشغوفا بحب الغزل لأنه صافي الذهن متوقد الطبع، رقيق العاطفة، فالمرأة العربية أكثر شغفا لأنها أكثر صفاء وأشد توقدا وأقوى حساسية[3]:

[1] - ينظر: الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، ط5، لبنان، 1999، ص97.

[2] - الأصفهاني أبو الفرج، الأغاني، ج22، ص306.

[3] - خليل محمد العودة، صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1988، ص82.

«أخبرني الحسن بن يحي عن حماد عن أبيه قال، قال أبو عبد الله مصعب الزبيري: اجتمع نسوة فذكرن عمر ابن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن مجلسه وحديثه وتشوقن إليه وتمنينه؛ فقالت سكينة: أنا لكن به، فبعثت إليه رسولا ووعدته الصورين لليلة سمتها، فوافاها على رواحله ومعه الغريض، فحدثهن حتى وافى الفجر وحان انصرافهن...»[1].

وقد استمر هذا الولع بالشعر وتذاكره بين النسوة في العصور التي تلي أيضا، ولم يخبو أو يضعف؛ حيث جاء على لسان الزبير بكار قال: حدثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت: مررت بجدك (عبد الله بن مصعب) وأنا داخلة منزله وهو بفنائه ومعي دفتر فقال: ما هذا معك؟ ودعاني فجئته وقلت: شعر عمر بن أبي ربيعة، فقال ويحك! تدخلين على النساء بشعر عمر بن أبي ربيعة! إن لشعره لموقعا من القلوب ومدخلا لطيفا، لو كان شعر يسحر لكان هو: فارجعي به. قالت: ففعلت"[2]

والشاهد في هذا الخبر رغبة النساء في الشعر وقراءته، ولما كان في شعر (عمر بن أبي ربيعة) أثرا في النفوس رفض عبد الله بن مصعب أن تدخل به على النساء، لما يحمله من تهتك واستهتار من ناحية المضمون، ومن جمال وسحر في اللغة والتصوير، كما سيدرج من خلال البحث كثير من النماذج حول المجالس التي احتفت بالشعر.

كما شهد العصر الأندلسي ازدهارا لمجالس الأدب وعرفت أسماء العديد من النسوة أكثرهن شهرة (ولادة بنت المستكفي) حيث كان " مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها، وعلى سهولة حجابها، وكثرة منتابها"[3] ومنهن أيضا العبادية

[1] - الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص246.

[2] - المصدر نفسه، ج1، ص78.

[3] - المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، دط، بيروت، 1408هـ- 1988م، ج4، ص209.

جارية المعتضد، وقد كانت أديبة ظريفة كاتبة شاعرة ذاكرة لكثير من اللغة،وفي غرناطة عرفت زينب بنت زياد الوادي آشي، وأختها حمدة وغيرهن كثير وقد قال (ابن سعيد): يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة (العربيات) لمحافظتهن على المعاني العربية[1].

ومن أمثلة المجالس النسائية الشعرية أيضا:

«وحمدة هذه هي القائلة وقد خرجت إلى نهر منقسم الجداول بين الرياض مع نسائها فسبحن في الماء وتلاعبن:

أباح الدمع أسراري بوادي...»[2]

- **المجالس الشعرية الحوارية:**

اعتمدت بعض المجالس على المحاورة بالشعر ، وتعد هذه الخاصية مما يلفت الانتباه إلى البداهة والسليقة التي تمتعت بها المرأة في حسن الابتداء وفتنة الرد، وحسن التخلص في كثير من المواقف ومن أمثلة ذلك:

«سمعت علي بن الجهم يقول: كنت يوما عند فضل الشاعرة، فلحظتها لحظة استرابت بها فقالت:

رب رام حسن تعرضه * يرمي ولا يشعر أني غرضه**

فقلت:

أي فتى لحظك لا يمرضه * وأي عقد محكم لا ينقضه**

فضحكت وقالت: خذ في غير هذا الحديث»[3]

وفي حسن الرد جاء في مجلس :

«سهر عباد ليلة لأمر حزبه وهي نائمة، فقال:

تنام ومدنفها يسهر * وتصبر عنه ولا يصبر**

[1] - ينظر: المقري، المصدر السابق، ص289.

[2] - المصدر نفسه.

[3] - الأصفهاني، الأغاني، ج19، ص259.

فأجابته بديهة بقولها:

لئن دام هذا وهذا له* سيهلك وجدا ولا يشعر»[1].

والمرأة المحاورة في هذا المثال هي (العبادية) جارية المعتضد عباد، والد المعتمد إذ عرف عنها أنها كانت أديبة ظريفة، كاتبة، شاعرة وذاكرة لكثير من اللغة"[2] وحسبنا من كل ذلك سرعة مجاراتها للمعتضد وقد فطن لقدرتها على المحاورة الشعرية والرد.

ب- المجالس الشعرية النقدية:

- **إرهاصات النقد وارتباطه بالمرأة:**

ارتبط النقد في الثقافة العربية بنقد الشعر والغناء على السواء، وعقدت مجالس في نقد هذه الفنون، وانبرى لها أربابها بالتمحيص والتعليق وتبيان المحاسن والمآخذ، وقد كان للمرأة عبر العصور دور بارز في هذا المجال بمختلف مشاربه، حيث تنقل لنا موسوعات الأدب والتاريخ أول محكمة نقدية قضت فيها امرأة وترد هذه الحادثة "عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن عمر بن شبة قال: تنازع (امرؤ القيس بن حجر) و(علقمة بن عبيدة)، وهو علقمة الفحل في الشعر: أيهما أشعر؟ فقال: كل واحد منهما: أنا أشعر منك، فقال علقمة: قد رضيت بامرأتك (أم جندب) حكما بيني وبينك، فحكماها؛ فقالت: أم جندب لهما: قولا شعرا تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة وروي واحد، فقال إمرؤ القيس: (الطويل)

خليلي مرا بي على أم جندب*** نقض لبانات الفؤاد المعذب

وقال علقمة: (الطويل)

ذهبت من الهجران كل مذهب ***ولم يك حقا طول هذا التجنب

[1] - المقري، نفح الطيب، ج4، ص283.

[2] - المصدر نفسه.

فانشداها جميعا القصيدتين ، فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك قال: وكيف؟ قالت: لأنك قلت:

فللسوط ألهوب وللساق درة *** وللزجر منه وقع أحرج مهذب

فجهدت فرسك بسوطك في زجرك، ومريته فأتعبته بساقك، وقال علقمة:

فأدركهن ثانيا من عنانه *** يمر كمر الرائح المتحلب

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه ولم يضربه ولم يتعبه"[1]

حيث أن الاختلاف الذي وقع بين الشاعرين في أيهما أشعر، قادهما إلى تحكيم أم جندب وهي إذ ذاك زوج امرؤ القيس، وقضت لغير زوجها في الفحولة الشعرية، ولم تكتف بالتفضيل فقط بل زادت الحكم تعليلا. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على المستوى الذي وصلت إليه المرأة العربية في تذوق الشعر ونقده وتفقه معانيه، رغم ما كان يعتري هذا النقد من انطباعية وتركيز على مضمونه وتجزيئه، وهذه ملاحظة عامة في مجمل النقد العربي القديم في بداياته فقد " قضى مدة طويلة من الزمن وهو يدور في مجال الانطباعية الخالصة، والأحكام الجزئية التي تعتمد المفاضلة بين بيت وبيت أو تمييز البيت المفرد أو إرسال حكم عام في الترجيح بين شاعر وشاعر"[2] كما مر بنا في هذا الأنموذج.

وبمجئ الإسلام ارتبط الشعر لدى النقاد بالوظيفة فضلا عن المعنى، وإن لم تكن هناك أسماء نسوية نقدية بارزة في صدر الإسلام؛ إلا أن العصر الأموي كان زاخرا بنساء كان لهن باع وفضل كبير في النقد دون أن يخرج هذا النقد عن إطار الانطباعية وأحكام البيت الواحد، " بل يجزم النقاد أن النقد في عصوره الأولى خاصة الأموي كان ضربا من السمر إذ نرى في الروايات النقدية دائما مثل هذه العبارات: «اجتمع أشراف من الناس سمر عبد الملك ذات ليلة فجعلوا يتحدثون فتذاكروا الشعر ...» ومشكلة السمر أنه قد ينم عن

[1] - المرزباني أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، دار الكتب العلمية ط1، بيروت، 1995، ص39.

[2] - إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، ط 4،د ب، 1983، ص 45.

براعة في النقد وقد لا ينم لأنه يصدر عن الذوق الذي يخالطه شيء من الدعابة[1]، ولم تقتصر مجالس الأدب والنقد على الخلفاء وحدهم، ولكنها كانت صورة لمجالس أخرى ذكر فيها الأدب ونقد فيها الشعر، والكلف بنقده أصبح ظاهرة عامة في هذه الأوساط وفي تلك النفوس المشبعة بحب لغتها، الهائمة بشعرها وقتها، فمن ذلك أن السيدة سكينة بنت الحسين كانت أديبة ظريفة تقعد للرجال ويغشى ناديها الشعراء"[2]

- **مجالس سكينة بنت الحسين في نقد الشعر:**

هي المرأة الفاضلة والسيدة البرزة (سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما) عاشت حياتها في فترة إسلامية حافلة بالأحداث التاريخية الكبيرة، فشهدت سقوط دول إسلامية وقيام غيرها، ولم تحدد كتب التاريخ عام ولادتها ولم ينقل كتّاب السير الذين عنوا بأخبارها مولدها، إلا أنه من النقاد من قارب ذلك بحوالي عام 47هـ إذا علمنا أن وفاتها كانت سنة 117هـ.[3] " وقد ترجم لها أبو الفرج في أغانيه ترجمة صور فيها جمالها وبهاءها ووقارها وأخذها بأسباب الزينة، حتى إنها عرفت بتصفيف لجمة شعرها كانت النساء يقلدنها فيه، بل كان من الرجال من يحاكيها في جمتها وكانت طريفة مزاحة"[4]، ومع هذه الشخصية المرحة، ما كانت السيدة سكينة سليلة بيت النبوة لتغفل عن الأحداث السياسية الصعبة التي كانت تقع آنذاك في محيطها الإسلامي، تقول الناقدة (عائشة عبد الرحمان) " ولم تفتها صغيرة ولا كبيرة من أنباء ذلك الصراع المحتدم بين حق أبيها وباطل خصومه، بل لقد شاركت في هذه المعركة بكل وجدانها اليقظ، و حسها المرهف ووعيها الذكي، وإن بدت خلية البال، لا هم لها إلا أن تملأ البيت بدعابتها المرحة، وإلا أن تمنح أباها المناضل الذي ما بات

[1] - ينظر: عصام قصبجي، أصول النقد العربي القديم، منشورات جامعة حلب، دط، دب، 1991، ص19.

[2] - مصطفى عبد الرحمان إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة، د ط، د ب، 1998،ص 101.

[3] - ينظر: عائشة عبد الرحمان، السيدة سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما،الجزائر عاصمة الثقافة العربية،دط، الجزائر،2007، ص27-28.

[4] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف ط7، مصر،دت،ص 142.

منذ وعى وأدرك إلا على حق يذود عنه، أو باطل يدفعه باليد واللسان والقلب بعض أنس وراحة" [1] ، وهكذا كانت السيدة (سكينة) ابنة الأشراف تجمع بين الجد والهزل، وقد عرف عنها عقدها لمجالس كان يؤمها الشعراء يقرضون الشعر ويتفاضلون فيما بينهم ويحكِّمونها فيما شجر بينهم، فتفاضل وتحكم وتقدم وتؤخر، ولها في كل ذلك فضل ومزية، كما أثر عنها نظمها للشعر " على أن التاريخ الأدبي وإن أسقط شعر سكينة في غير الرثاء، فقد اعترف لها من ناحية أخرى بمكانة لعله لم يعترف بمثلها لسيدة غيرها في مختلف عصوره حين ألقى إليها مقاليد الحكم بين أمراء الفن في الشعر والغناء، وأقر لها بالسيطرة الأدبية على عصرها في مجال النقد الأدبي، حين فرضت عليه شخصيتها الفريدة، وبهرته بذوقها الفني الأصيل، الذي هيأ لها أن تكون ذات بصر دقيق بفن القول وفقه لأسرار العربية في الأداء"[2] فكان بيتها محجا للشعراء من أمثال (عمر بن أبي ربيعة)، و(الفرزدق) و(جرير)وغيرهم كثير ممن قصدوا مجالسها للتحكيم، ولم يتوقف الأمر عند الحجاز وحسب بل امتدت شهرتها إلى العراق، وهي التي تنقلت في حياتها بين المدينة ومكة والعراق. وللتمثيل لمجالسها نذكر النموذج الآتي:

« أخبرني الحسن عن أحمد بن زهير عن مصعب الزبيري قال: أنشدت سكينة بنت الحسين قول الحارث بن خالد:

ففزعن من سبع وقد جهدت* أحشاؤهن موائل الخمر**

قالت: أحسن عندكن ما قال؟ قالوا نعم، فقالت: وما حسنه؟ فوالله لو طافت الإبل سبعا لجهدت أحشاؤها»[3].

وهكذا عرفت واشتهرت مجالس السيدة سكينة بنت الحسين، يزورها الشعراء وينشدون بين يديها. ويبدو جليا للقارئ ما في هذا النقد من انطباعية وجزئية، وسمت هذا التعليق، حيث وقفت سكينة عند البيت الواحد، وبالرغم من إجماع الحاضرين على حسن البيت

[1] - عائشة عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 218.

[2] - عائشة عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 218-219.

[3] - الأصفهاني، الأغاني، ج، ص227.

كما هو واضح في المثال :إلا أن ذلك لم يمنعها من إبداء رأيها ومخالفة الجميع وتوضيح وجه الخطأ في القول .

إن وقوفنا التفصيلي عند السيدة سكينة، راجع إلى شهرة مجالسها النقدية في التاريخ الأدبي، فكان لزاما علينا الإحاطة بجوانب هذه الشخصية الفذة التي أثرت تأثيرا بالغا في عصرها، كما أن الدراسة التداولية والحجاجية تقتضي تحليل الخطاب مع الاستعانة بكل ما يحيط به من مقامات ومنتجين له وظروف إنتاجه كما سنبين ذلك فيما يأتي. و يجدر بنا أن ننبه إلى وجود مجالس نقدية أخرى لغير السيدة سكينة في هذا العصر وفي غيره من العصور الأدبية القديمة. نذكر تمثيلا مجالس ولادة فكما كانت مجالسها توسم بالأدبية فقد كانت نقدية أيضا وتعليمية وتُعدّ أول أستاذة للأدب في هذا العصر، فلقد كان قصرها مهبطا رحبا، ومنتدى خصيبا يأوي إليه كل مبدع منقطع النظير من الكتاب والأدباء، ومن هؤلاء الوزراء والأمراء والعلماء والقضاة والولاة، فيتجاذبون الأدب ويتناولون النقد، وولادة بمثابة الحكم الذي يقف الأدباء عند حكمه، ويخضع الشعراء لوجهة نظره ورأيه[1].

ومن المجالس التي كان لها حظا وافرا في الانتشار خاصة في العصر الأموي والعباسي مجالس الغناء ونقده وذلك بسبب انتشار هذا الفن في هذه الفترة.

ت- المجالس الشعرية الغنائية:

كما مال العربي إلى اللحن وتذوق الغناء، وكان للنساء سهم كبير في تطوير التغني بالشعر العربي وتلحينه وأدائه، في مختلف المجالس من بلاط الخلفاء والأمراء إلى مجالس الجواري والقيان، إلى مجالس غنائية خالصة وخاصة، انتشرت أكثر في العصر الأموي.

- **نشأة الغناء في الثقافة العربية:**

[1] - محمد بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام،ص157.

" وقد أقبل أهل المدينة على هذا الغناء إقبالا شديدا يشترك في ذلك عامتهم وخاصتهم وقضاتهم، حتى لتؤثر عن عبد العزيز أصوات تغنى بها في إمارته، وكان أشرافهم من جعل داره أشبه بفندق للمغنين والمغنيات على نحو ما هو مأثور عن عبد الله بن جعفر وقصد الناس لداره يسمعون بها ألوان الغناء وقد تخرج من هذه الدار كثيرون من المغنيات والمغنين المطربين"[1] " ومن أشهر هذه الدور دار (جميلة) أيضا، حيث كانت تكتظ بالمغنين والمغنيات، ويعد (أبو الفرج) منهم في أغانيه عشرات ويقص علينا أخبارا كثيرة عن هذه الدار، نعرف منها ما أصاب الغناء في المدينة من رقي وازدهار، إذ كانوا يتغنون الغناء المصحوب بالجوقات الكبيرة، والآخر المصحوب بالرقص والضرب على الآلات الموسيقية الكثيرة"[2] على أن بلوغ هذا الفن أوجه في هذا العصر دليل على أن بداياته الأولى قد سبقت هذا العصر فقد عرف لدى العرب في العصر الجاهلي "ويظهر أنهم كانوا يستخدمون الغناء في عباداتهم ففي القرآن الكريم: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿35﴾ ﴾ (سورة الأنفال، الآية 35). والمكاء الصفير والتصدية التصفيق، ويقول ابن عبد ربه: إنما كان أصل الغناء ومعدنه من أمهات القرى ودومة الجندل واليمامة"[3]، كما اشتهرت العديد من النساء الجواري، اللواتي كانت منازلهن مجالس غنائية وعرف الغناء كثقافة سماعية ليس الغرض منه اللهو والترفيه عن النفس والمتعة وحسب بل كانت بعض النساء تعمل على نقد هذا الغناء، وتنقيحه وتفاضل بين أصحابه، ومن أشهر النساء اللواتي نقدن الغناء جميلة.

أ- مجالس جميلة المغنية:

[1] - شوقي ضيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة، دار المعارف، ط 4، القاهرة، د ت، ص 39.

[2] - المرجع نفسه، ص142.

[3] - شوقي ضيف،المرجع نفسه، ص 39.

مولاة من بني بهز من بني سليم وكان لها زوج من الموالي بني الحارث بني الخزرج وكانت تنزل فيهم فغلب عليها ولاء زوجها، فقيل إنها مولاة الأنصار وهي أصل من أصول الغناء في المدينة وكانت لها دارا كبيرة، وكانت هذه الدار تمتلئ بالمغنين والجواري، وتقام فيها حفلات باذخة، للغناء وبلغ الغناء في دار جميلة كل ما كان ينتظره من رقي وازدهار"[1] ويعج كتاب الأغاني بكثير من النصوص التي تصور لنا هذا المجلس في دارها حيث يقصدها المغنون فيتبارون بالغناء بين يديها وقد طلب منها في أكثر من مناسبة المفاضلة بين الأصوات وتقييم الأداء وتقديم الأحسن وقد قيل فيها بأنها " كانت أعلم خلق الله بالغناء؛ وكان معبد يقول: أصل الغناء جميلة وفرعه نحن ، ولولا جميلة لم نكن نحن مغنين"[2] وبالرغم من ارتباط النقد الشعري والغنائي بهذين الاسمين الشهيرين إلا أننا لانعدم وجود مجالس أخرى ذكرت آحادا ومتفردة في نقد تمارسه المرأة في الأدب العربي القديم نورد هنا أنموذجا للتمثيل:

« أخبرني الصولي قال: حدثنا الحسين بن يحي عن ريق : أنها اجتمعت هي و خشف الواضحية يوما، فتذاكرتا أحسن ما سمعتاه من المغنيات؛ فقالت ريق: شارية أحسنهن غناء ومتيم ، وقالت خشف: عريب وفريدة؛ ثم اجتمعتا على تساويهن ، وتقديم متيم في الصنعة ، وعريب في الغزارة والكثرة وشارية وفريدة في الطيب وإحكام الغناء ».[3].

وقد كانت هذه المجالس الغنائية من الشهرة، جعلت الأصفهاني يؤلف كتابه الشهير في هذا المجال ويسمه على هذا الفن (الأغاني)، وهي تصوير دقيق لجانب من جوانب الحياة الاجتماعية، أما الجوانب الأخرى فنجدها متناثرة في كتب التاريخ الأدبي ومن ذلك توفر لدينا مجموعة من المجالس الاجتماعية.

[1] - المرجع السابق.

[2] - الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص 189. .

[3] - المصدر نفسه، ج4، ص91.

3- المجالس النسائية السجعية:

أ- مسوغات التصنيف:

يرى المؤرخ (بروكلمان) أن السجع نشأ بفعل نمطية وتقاليد الحياة الاجتماعية انطلاقا من أغاني العمل الجماعي ذي الحركات الإيقاعية المنتظمة وطبيعة الحياة التي كان يعيشها العرب في رحلات الصيد والتنقل عبر الصحراء[1] ثم " توسع السجع من إيقاع يلبي حاجة النفس عند العمل أو يحاكي ظواهر البيئة وممارساتها إلى أداة فنية تعكس طموحا إلى غاية فيها تقوية الذاكرة فإيقاعه قادر على احتلال موقع في النفس وتسهيل الحفظ له"[2]

ومما درجنا عليه في درسنا البلاغي العربي الحديث منه خاصة حصره للسجع في دائرة ضيقة من المحسنات البديعية التي تضاف إلى الخطاب لتحسينه، هذا إن لم نقل بأنه قد ذم في أكثر من مناسبة، واعتبر من المحسنات التي تدل على ضعف المعنى على حساب الشكل إلا أننا في هذه الدراسة سنعمل على إعادة الاعتبار للسجع ودوره الكبير في الخطاب ونستنير في ذلك بآراء (محمد الهادي الطرابلسي) الذي كان من الأوائل الذين تعرضوا إلى ضرورة إعادة النظر في فنية السجع حيث اعتبره " نوعا كتابيا ليس هو النثر قطعت وحداته وقفيت أواخره، ولا هو الشعر تنوعت قوالبه واختلفت موازينه وداخلته المرونة في المبنى والمعنى إنما هو نوع من الكتابة ثالث له صلة بسائر الأنواع"[3]، وتليه بعد ذلك دراسة نقدية تفصيلية لبدر الجابري الذي أخرج السجع من بوتقة النظرة البلاغية إلى رحاب النسقية النوعية، من خلال تحليل الكثير من الآراء النقدية البلاغية القديمة والحديثة وكذا تحليل بعض النماذج المسجوعة وعند اطلاعنا على هذه التعريفات الواردة في الدراسة وجدنا الكاتب يرجح كون السجع نوعا ثالثا في الكلام يخرج من عباءة البلاغة إلى النسقية " والبلاغة لا تعنى بالظواهر الأدبية ذات الطابع النسقي في النص. ومن هنا يلح سؤال مهم، وهو : كيف تنظر البلاغة إلى السجع في النصوص التي تكون مسجوعة؟ فمن المعروف أن

---

[1]- ينظر كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار،دار المعارف، ط5، القاهرة، 1983، ص44.

[2]- بدر الجابري، السجع العربي بين النسقية النوعية والنظرة البلاغية، كنوز المعرفة، ط1، عمان، 2017، ص70.

[3]- محمد الهادي الطرابلسي، تحاليل أسلوبية، دار الجنوب، دط، تونس، 1992، ص145.-

الأدب العربي يزخر بنصوص مسجوعة من أولها إلى آخرها، بل إن السجع كان علامة أجناس أدبية بحالها، كسجع الكهان، والمقامات، وكثير من الأمثال السائرة. قد يكون السجع محسنا لفظيا من منظور البلاغة إذا كان في جملة أو جملتين أو في سطر أو سطرين، لكن من الصعب عده مجرد أداة تحسينية في نص مسجوع بالكامل"[1]، وهذا ما صادفناه متكررا في كثير من نماذج الخطاب النسائي في الأدب العربي القديم من ذلك بعض مجالس المفاضلات والمجالس الوصف والمقامات إذ يكون السجع مقرونا بكل فقرات النص وتمفصلاته حتى وإن اختلف الموضوع المطروق من فقرة إلى أخرى وفي ذلك دليل ومؤشر قوي على كون السجع نمط نسقي خارج النثر والشعر

ب- مجالس المفاضلة والوصف:

ومن النصوص التي ارتكزنا عليها في تبني هذا التوجه النقدي مجالس الوصف والمفاضلة التي تعد من أكثر النماذج إبرازا للميزة الخطابية السجعية المختلفة نمطيا عن الشعر الموزون والنثر المرسل؛ ولعل مجالس (هند بنت الخس الإيادية) من أكثرها تداولا ومن أمثلتها نذكر:

«حدثنا أبو بكر بن دريد قال: حدثني عمي عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال: اجتمع خمس جوار من العرب، فقلن: هلمن ننعت خيل آبائنا. فقالت الأولى: فرس أبي وردة، وما وردة؟ ذات كفل مزحلق، ومتن أخلق، وجوف أخوق، ونفس مروح وعين طروح...

وقالت الثانية: فرس أبي اللَّعَّاب، وما اللعاب؟ غيبة سحاب واضطرام غاب، مترص الأوصال، أشم القذال...»[2]

[1] - بدر الجابري، المرجع نفسه، ص101.

[2] - القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، الأمالي، الهيئة المصرية العلمية العامة للكتاب، دط، مصر، 1995،ج1، ص230.

ونلمس في هذا الأنموذج، الخطاب الأدبي في اختيار الألفاظ والصفات التي تميز كل فرس عن الأخرى، وفي ذلك دليل صراح على ما تتمتع به المرأة العربية من دقة الوصف وسرعة البديهة، وقد أتين به في عبارات قصيرة وصفات بليغة جزلة تشي بعبقرية المرأة الأدبية واللغوية. كما تعدّ مجالس (هند بنت الخس الإيادية) من أشهر المجالس الأدبية في الوصف والمفاضلة في العصر الجاهلي.

أما مجالس الصديقات والجواري فكان أغلبها في المفاضلة أو المفاخرة ومن ذلك المجلس الأكثر تداولا في التاريخ العربي والإسلامي حديث أم زرع الذي يعد بوحا أنثويا جريئا عن العلاقات الزوجية كما ورد في كتب الأحاديث:

« جلست إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا.

فقالت الأولى: زوجي لحم جمل غث، على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل.

قالت الثانية: زوجي لا أبث خبره، إني أخاف ألا أذره، إن أذكره أذكر عجره وبجره.

قالت الثالثة: زوجي العشنق إن أنطق.. أطلق، وإن أسكت أعلق.

قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة»[1]

يقدم لنا هذا النص جانبا اجتماعيا مهما عن علاقة الزوجات بأزواجهن ونلاحظ كيف تمكنت النسوة من صياغة هذه الجمل في أسلوب بلاغي فريد يشي بعلو كعب المرأة في اللغة وتفوقها في صياغتها وإبداعها.

ت- سجع الكواهن:

لم يلق سجع الكهان عموما من الدراسة ما يخرجه من قمقم المحسنات البديعية، فكان من أكثر النصوص السجعية إهمالا رغم ما يحمله من أثر بالغ في نفوس المتلقين له في عصره، وقد كان الكاهن عموما يحظى بمكانة اجتماعية لا تقل أهمية من مكانة الشاعر

[1] - أحمد عبد الغني التميمي الخليلي، حسن القرع على حديث أم زرع، دار المنهاج، د ط، د ب، د ت، ص 40.

وتميز خطاب الكهنوت بمميزات جعلته يتفرد عن النثر وعن الشعر، ويختص بأثر روحي وموسيقي كبير، وعرف المجتمع العربي الكهان والكواهن على السواء، واستويا في المكانة الاجتماعية ومن أمثلة مجالس الكواهن نذكر:

فقال: يا عفيراء أتعلمين تلك المعضلة؟ قالت: أجل أيها الملك! إنها رؤيا منام ليس أضغاث أحلام فقال الملك: أصبت يا عفيراء! فما تلك الرؤيا؟ قالت رأيت أعاصير زوابع بعضها ببعض تابع، فيها لهب لامع. ولها دخان ساطع يقفوها نهر متدافع، وسمعت فيما أنت سامع، دعاء ذي جرس صادع: هلموا إلى المشارع؛فروي جارع، وغرق كارع»[1]

والمجلس عبارة عن محاورة بين (عفيراء) الكاهنة والملك مرثد الذي عجز الكهان عن تفسير رؤياه، ونلاحظ أن هذه المحاورة مبنية على السؤال والجواب حيث كان رد الكاهنة سجعيا في كل فقراته.

ث- المقامات:

عرفت المقامة في الأدب العربي كفن إبداعي في العصر العباسي، وهي عبارة عن قطعة فنية أقرب إلى القصة " تجمع شوارد اللغة ونوادر التركيب في أسلوب مسجوع وموشى بحلل البديع، ولم تراع قواعد الفن القصصي فيما كتب من هذا النوع، وإنما صرفوا جهودهم إلى تحسين الألفاظ وتزيينها"[2] ومن هذا المنطلق كانت المقامات من أكثر الأشكال الأدبية التي تفتح الباب واسعا أمام فنية السجع، وتفرده عن الشعر والنثر، إذ يتجسد السجع بارزا في هذه النصوص. ومعلوم أن أول من أبدع في هذا الفن هو بديع الزمان الهمذاني وإن كانت كل مقاماته تدور حول موضوع الكدية والحيلة. إلا أن الكتّاب من بعده في هذا الفن خرجوا به عن هذه الدائرة المضمونية المغلقة، وانطلقوا به إلى مضامين أخرى لا تبتعد من حيث الموضوعات عن الطرافة والسخرية، ونلمس ذلك جليا من خلال هذه المقامة التي

[1] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص309.

[2] - أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار الشرق العربي للطباعة والنشر، دط، بيروت، دت، ص292.

تصور بإبداع مجلسا نسائيا بديعا، يعالج الفخر بين النساء في اختلاف الألوان والأشكال والميزات ومنها هذا المقتطف:

« وإذا بجارية يغلب ضياء وجهها ضياء الشمس، فوقفت بين الصفوف وسلمت ببنانها الخمس، ثم تقدمت وقالت:

الحمد لله الذي جعل البياض طراز كل جمال، وشرف أهله بالحياء والكمال وأعطاهم عزة لا تبيد، وصير السمر لهم عبيد، ألا وإن على قلبي جمرة، من معاتبتك يا ذات السمرة أعندك يا سمراء ما عندي، وليس قدك كقدي ولا خدك كخدي، جبيني ذو ابتهاج، وذوائبي كقطع الزاج...[1]»

وتمتد هذه الملاحاة اللغوية بين العجوز والشابة، والحضرية والبدوية، والسمينة والنحيفة... وكل واحدة منهن ترى نفسها الأفضل والأرفع شأنا من أختها، في نظام من الجمل السجعية متكاملة ومنسجمة.

[1] - عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دد، دط، دب،دت، ص491- 492

خلاصة:

فصلنا القول في هذا الفصل الأول في المواضعات النظرية التي تكون رافدا مهما للإحاطة العلمية والمفاهيمية، حيث تعرفنا إلى مصطلحات الأدب النسائي والمقصود من المجالس. وتعرفنا على أهم الآداب التي عرفتها النسوة في هذه المجالس، أو في أغلبها على الأقل وبالمقابل لم تترك المرأة حصتها من اللهو والمجون فأظهرت دعابتها وسخريتها في مواضعها وسلطت لسانا لاذعا على مخالفيها وهذا كله يصور شقا من الخرق الذي مارسته على الآداب العامة.

وقادنا الحديث بعد ذلك إلى ضرورة التعرف ولو بنزر يسير من المعلومات على منهجي الدراسة إذ المقام لا يقتضي التوسع إلا بالقدر الذي بسط لنا المهاد للانتقال إلى الجانب الحواري للمجالس فكان لابد من التعريف بمنهجي التداولية والحجاج. كما أشرنا قبل كل ذلك إلى حدود الدراسة وتعريفاتها اللغوية والاصطلاحية.

ونؤكد مرة أخرى على تنوع هذه المجالس سواء الجاهلية منها أو الإسلامية ما يشي بدور كبير ومتنوع للمرأة العربية في مجالات مختلفة ويمكن أن نجمل هذه الأنواع في الأشكال الآتية:

1- المجالس النثرية:

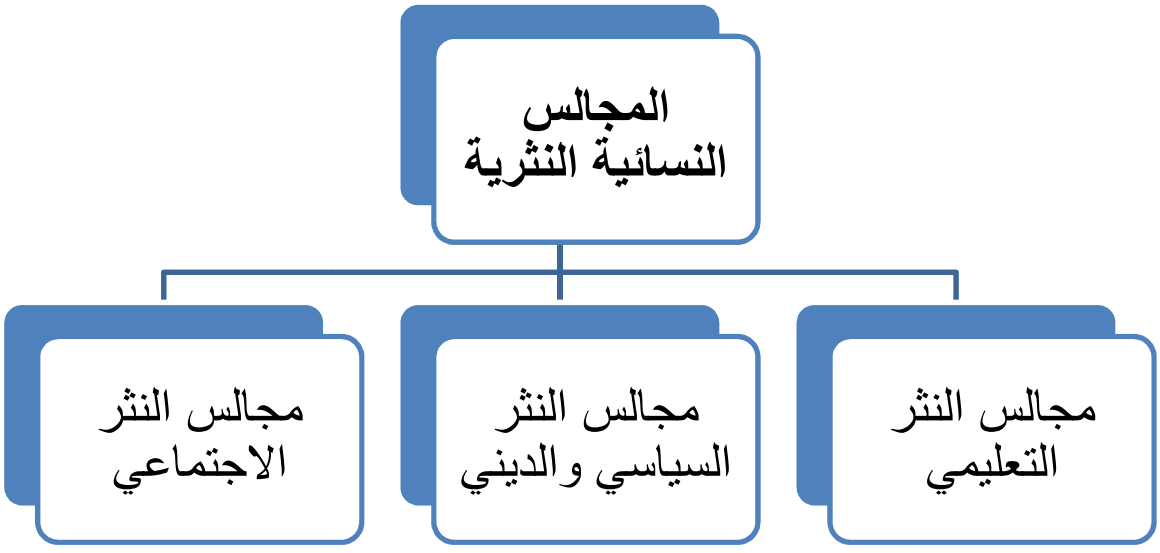

2- المجالس النسائية الشعرية:

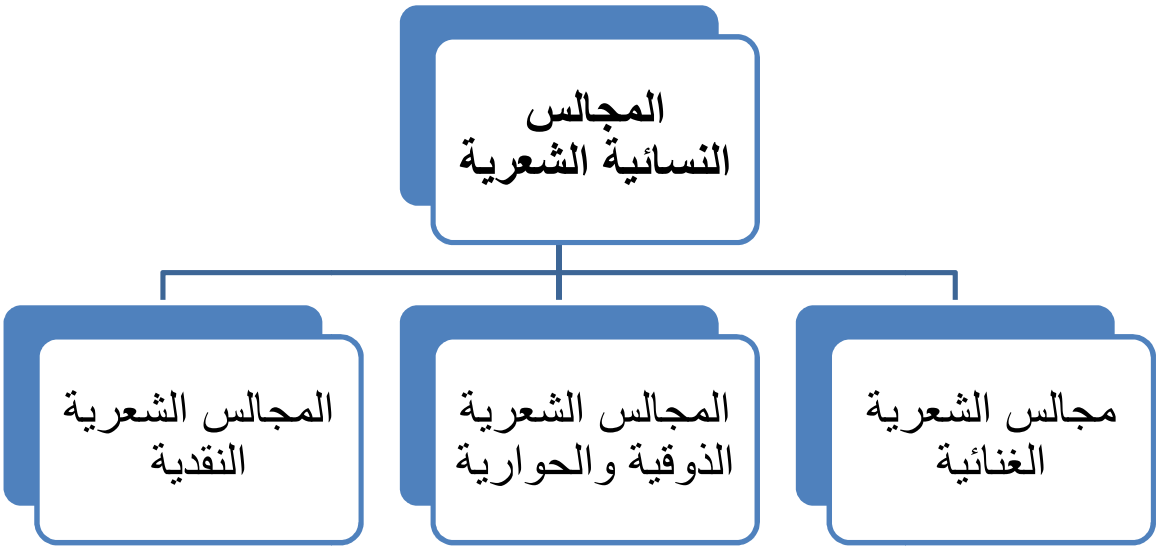

3- المجالس النسائية السجعية:

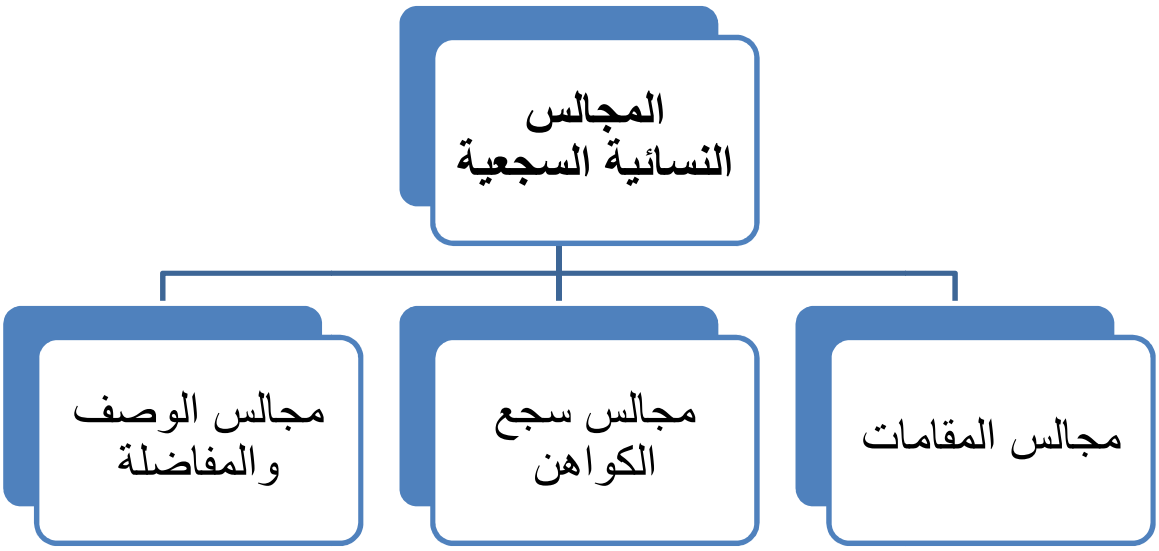

وقد مثلنا لكل نوع من هذه الأنواع بما يناسب من الأمثلة التي استطعنا جمعها، غير أن ذلك لا يعني عدم وجود نماذج أخرى يمكن أن توسع من هذا التصنيف إذ يبقى هذا التنوع منوطا بالمادة التي استوفيناها فقط.

الفصل الثاني

المبادئ التداولية وآليات إدارة الحوار

تمهيد :

وجه الدرس اللغوي الحديث والمعاصر بوصلة اهتمامه إلى اللغة في إطارها التبادلي أي بدراستها في حال تداولها بين المتحدثين "وعنيت تخصصات كثيرة إلى حد ما بتحليل الحديث أكثر من أي أشكال اتصال عرفية أخرى"[1] ولذلك نجد أن الاهتمام انصب أكثر على التفاعلات القائمة بين أطراف التحاور وكل ما يحيط بذلك من حيثيات التبادل وأدوار الكلام والتناوب عليه، وعندما نتحدث عن أدوار التناوب ندرك أن الدراسة مرتبطة بتبادل تفاعلي وما اصطلح عليه لدى بعض اللغويين المحدثين بالحديث والمحادثة على الرغم مما يبدو من اتفاق بين المصطلحين إلا أن الأصل فيهما الاختلاف.

المبحث الأول: مفهوم الحديث والمحادثة ومقصديات التواصل

1- مفهوم الحديث و المحادثة:

" ثمة مصطلحان يستخدمان غالبا بشكل مترادف ينبغي هنا أن نفرق بينهما ، هما حديث ومحادثة أما الحديث فهو تجريد لغوي أو نظري نصي، كالوحدة النصية التي تتشكل في سلسلة منتظمة من المنطوقات التي تتجلى في المحادثة[2]،أما هذه الأخيرة فهي على صيغة المفاعلة في اللغة العربية، تمثل تفاعلا كلاميا يشترط فيه تحقق الفعل اللغوي المقصود من جميع المحادثين والمداخلين، فيكون كل طرف فاعلا ومفعولا به في الآن نفسه، وهي تواصل شفوي تتوزع فيه أدوار الكلام، ويتم فيه تجاذب أطراف الحديث بين طرفين أو أكثر يتبادلون الكلام؛ إن هذا التفاعل الحواري كما يرى موشلر يؤدي بالضرورة إلى حدث ما وترتكز الأحداث على أن ثمة أشخاصا يحققون تغيير الموقف بوعي وقاصدين هدفا[3] وقد ينطبق المصطلح تفاعل interaction على عدد كبير جدا من اللقاءات الاجتماعية المختلفة

[1] - تون فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات،تر: سعيد حسن البحيري،دار القاهرة للكتاب، ط1، مصر، 2001،ص346.

[2] - المرجع نفسه، ص375.

[3] - المرجع نفسه، ص347.

على سبيل المثال يعتبر تحدث الأستاذ إلى طلبته في قاعة/ صف نوعا من التفاعل، ويعتبر تحدث طبيب إلى مراجعه في العيادة، وتحدث أفراد مشتركين في دعاوى قضائية في المحكمة... والكثير من تجارب الناس الأخرى التي يحدث خلالها تبادل شخصي للحديث نوعا من أنواع التفاعل و يختلف نوع الحديث وفقا لسياقات التفاعل المختلفة"[1] وحتى يمكن أن يقوم وصف منظم لتلك التفاعلات اللغوية بمساعدة مثال ـ حديث ـ يرد هنا مرة أخرى عدد من الأمثلة لأشكال التفاعل أو الأطر المختلفة ومنها: الحديث اليومي، الحديث الرسمي، شبه رسمي، السؤال، الاستجواب، الاختبار، المقابلة، الحصة...إلى غير ذلك من أشكال التحاور والتفاعل[2] وبناء على هذا التعريف يمكننا عدُّ المجالس النسائية شكلا من أشكال التفاعل الحواري ويختلف تصنيفها بحسب اختلاف أنواعها فمنها ما يدرج في الأحاديث اليومية ومنها ما يصنف ضمن الاجتماعات ومنها ما يمكن أن يدخل في باب الحديث الرسمي وشبه رسمي، كما تعد هذه المجالس في مجملها أحداثا من خلال سمة التفاعل الحواري التي تنبني عليها مع وجود هذا المؤشر على الوعي باللقاء نستدل به من خلال الخطابات التي تحدد تؤطرها زمانيا ومكانيا وتحدد في كثير منها أطراف التحاور وينتج عن ذلك تغير في المواقف والآراء في أغلبها.

2- المقصدية ومقامات التواصل:

تدرس التداولية الخطاب والنص في علاقته بالسياق التواصلي متجاوزة بنية الجملة النحوية والتركيبية إلى مقصدية المرسل وحالة المرسل إليه في أثناء تلقفه للخطاب"[3] وبمعنى أدق "ما يَكْمُنُ ويَحْكُم من معتقدات ومقاصد وأهداف ...فعل الكلام الصادر من متكلم إلى مخاطب في مقتضيات أحوال خاصة"[4] ولكون النصوص حوارية فهي يقينا تفصح عن

[1] - جورج يول التداولية، ص111.

[2] - فان دايك، علم النص، ص371.

[3] - الرحموني بومنقاش، البناء التداولي للممارسة التفسيرية، ص113.

[4] - محمد مفتاح، دينامية النص تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، 2006، ص193.

طبيعة حياة المجتمع العربي ونشاطه اليومي فالأطراف التي كانت تحاور المرأة تمثل شرائح المجتمع المختلفة"[1] في مواقف مختلفة ومتنوعة بفعل تنوع السياقات في هذه المجالس، كما تتشابك المقصدية بين المخاطِب والمخاطَب لتكون مقصدية عامة خاصة بالمجلس في مجمله وإن خرجت في بعض أجزاء الحوار إلى غيرها ونلمس ذلك في مجلس سكينة بنت الحسين مع الفرزدق حين خرج هذا الأخير من سياق نقد شعره إلى سياق آخر عبر فيه عن إعجابه بجارية سكينة ورغبته فيها ولعل ذلك مرجعه إلى انهزامه أمام قوتها في النقد وسلطتها في المجلس[2].

أ- المقاصد النقدية والتعلمية:

تتحدد أغلب النصوص التي بين أيدينا مقصديتها من خلال بعض الجمل والعبارات التي تفتتح بها المجالس حيث تبين بشكل مباشر أو ضمنا مقصدية المتخاطبين والتي تكون في الغالب الرغبة في المفاضلة بين الشعراء أو في نقد الأعمال الشعرية، أو نقد الأداء الغنائي إلخ... ومن ذلك:

« قال ابن عائشة: إن للقوم أعمالا كثيرة حسنة ولك أيضا يا أبا عباد ولكن قد اجتمع علماء مكة، وأنا وأنت من أهل المدينة، فليعمل كل واحد منا صوتا ساعته ثم يغن به . قال معبد: يا ابن عائشة...أعجبتك نفسك حتى بلغتك هذه المرتبة... أما إذ قد اختلفنا وأصحابنا المكّيون سكوت فلنجعل بيننا حكما...»[3]

إذ يمكننا أن نستخلص من خلال هذا النموذج مقصدية المجتمعين الذين اختلفوا في أمور الغناء وأدائه فأرادوا أن يحتكموا إلى من هو أعلم وأجدر، وهذا ما يقع بعد ذلك حيث يجتمعون عند (جميلة) فتفاضل بينهم ويرضون بحكمها.

وفي مجلس آخر من مجالس سكينة:

[1] - وسمية عبد المحسن، المرأة المحاورة، ص79.

[2] - ينظر: إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص193.

[3] - الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص190- 191.

«اجتمع الفرزدق وجميل وجرير ونصيب وكثير في موسم من المواسم، فقال بعضهم لبعض : قد اجتمعنا في هذا الموسم، وما ينبغي لنا أن نتفرق إلا وقد تتابع لنا في الناس شيء نذكر به. فقال جرير: هل لكم في سكينة بنت الحسين نقصدها فنسلم عليها؛ فلعل ذلك يكون يكون سببا لبعض ما نريد...»[1]

فالمقصدية التي يرومها الشعراء من اجتماعهم بالسيدة (سكينة بنت الحسين أن يذكر اجتماعهم، ولا يحصل لهم ذلك إلا من خلال هذا اللقاء معها وتقديم أشعارهم بين يديها بالرغم مما يتمتع به هؤلاء الشعراء من شهرة في العصر الأموي إلا أنهم رأوا أن اجتماعهم لا يتم له ما ينشدون من مقصدية إلا باجتماعهم بالسيدة التي ستضع أشعارهم في ميزان النقد والتمحيص وعليه نستنتج من خلال الخطاب مقصديتين الأولى تتعلق بالذكر والشهرة ومقصدية كلية تتعلق بالمجلس وهي المقصدية النقدية.

ونستنتج أن الهدف من جل المجالس النقدية هو التوجيه ونقد الأعمال الشعرية وغيرها، وإن خرجت في بعض الأحيان عن هذا المضمار وذلك راجع كما ذكر تاريخيا إلى أن النقد لم يتأسس كمنهج ومدرسة مستقلة في بداياته بل " كان ظاهرة عامة في مجالس الخلفاء ومجالس الوجوه والكبراء، حيث ظهر الكلف بالشعر والعناية به ونقده في هذه الأوساط وفي تلك النفوس المشبعة بحب لغتها[2].

وعن المجالس التعليمية كمجالس الوعظ نذكر مجلس (عائشة رضي الله عنها):

«ورأت عائشة في بيت امرأة أثر المغزل فقالت: أبشري بما لك عند الله عز وجل لو رأيتم بعض ما أعد الله لكم معاشر النساء لما أقررتم ليلا ولا نهارا، ما من امرأة غزلت لزوجها ولنفسها ولصبيانها إلا أعطاها الله عز وجل بكل طاقة نورا... »[3]

---

[1] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص189.

[2] - ينظر: مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة، دط، دب، 1419هـ-1998م، ص101.

[3] - محمد بدر معبدي، أدب النساء، ص107.

حيث نلاحظ مقصدية التحفيز والتشجيع للمرأة المسلمة فقد عددت عائشة رضي الله عنها من خلال هذا النص أجر النساء العاملات في بيوتهن، وما أعد الله لهن من ثواب ويتبين من خلال الخطاب أنه كان موجها لامرأة واحدة كانت تجالسها، في بداية الحديث ثم عممته لسائر النسوة ليخرج من دائرته الخطابية المباشرة إلى دائرة أوسع سواء وجه لنساء كن حاضرات أو أخذ بعموم اللفظ فإن عائشة هنا كانت في مقام المعلم الذي تتناقل أحاديثه وتعمم.

وتتجلى المقاصد التعليمية في مجالس الوصية أيضا ومن مثل ذلك:

«أي بنية؛ إن الوصية لو تركت لفضل أدب، لتركت لذلك منك، ولكنها تذكرة لغافل؛ ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغني أبويها ، وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه.... »[1]

والأم في خطابها لابنتها تقر بمقصدية التوجيه بقولها تذكرة الغافل، وفي بقية المثال تفصيل لهذه التذكرة وما ينتج من فوائد الالتزام بها والتحذير من مغبة إغفالها.

ب- المقصدية الجمالية والفنية:

وتختلف المقصديات في المجالس النسائية من نوع إلى آخر فعند تحليلنا للمجالس السجعية الأدبية وجدنا أن المقصدية من هذه الأخيرة جمالية فنية، الهدف منها إظهار البراعة اللغوية والمهارة البلاغية خاصة عندما يتعلق الأمر بمجالس المفاضلة ونمثل هنا بمجلس جمع بين جمعة وهند ابنتا الخس:

«...أن جمعة وهند ابنتا الخس وافتا سوق عكاظ فاجتمعتا بين يدي القلمس الكناني. فقال لهما: إني سائلكما لأعلم أيكما أبسط لسانا وأظهر بيانا وأحسن للصفة إتقانا، قالتا سلنا عما بدا لك فستجد عندنا عقولا زكية وألسنة قوية وصفة جليلة...»[1]

[1] - بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، ص27.

بسط اللسان وإظهار البيان وإتقان الصفة، هو الهدف الذي كان الكناني يريد المفاضلة فيه بين الأختين، وقد أظهرتا في ما تلا من النص هذا الإتقان اللغوي حتى لا نكاد نحكم للواحدة على الأخرى، فقد تساوتا في البلاغة والبيان وهذه في الأغلب تكون المقصدية من مجالس المفاضلة الأدبية عموما.

كما قد تخرج المقصدية في المجالس الأدبية إلى اللهو والاستمتاع وهذا ما نجده خاصة في مجالس الجواري و القيان في بلاطات الأمراء والحكام، أو بين الصواحب في لقاءاتهن ومن ذلك مجلس (عائشة بنت طلحة) التي استنشدت الشاعر (النميري):

«...فقالت: إئتوني به، فأتوها به. فقالت له: أنشدني مما قلت في زينب؛ فامتنع عنها وقال: تلك ابنة عمي وقد صارت عظاما بالية، قالت: أقسمت عليك بالله إلا فعلت؛ فأنشدها قوله:

تضوع مسكا بطن نعمان إذ مشت * به زينب في نسوة عطرات**

فقالت: والله ما قلت إلا جميلا ولا ذكرت إلا كرما وطيبا»[2]

ومن ذلك أيضا:

«أخبرني الحسن بن يحي عن حماد عن أبيه قال، قال أبو عبد الله مصعب الزبيري: اجتمع نسوة فذكرن عمر ابن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن مجلسه وحديثه وتشوقن إليه وتمنينه؛ فقالت سكينة: أنا لكن به، فبعثت إليه رسولا ووعدته الصورين لليلة سمتها، فوافاها على رواحله ومعه الغريض...»[3]

[1] - أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن، مطبعة مدرسة والدة عباس باشا، القاهرة، 1908، ص58.

[2] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص197.

[3] - الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص246.

ويتضح لنا من خلال المثالين السابقين القيمة الجمالية والفنية للشعر وأثره في ذائقة المستمعين جعلت منه مقصدا وغاية للمجتمعين، وهدفا تسعى النساء إليه في لقاءاتهن، ففي المثال الأول نلحظ أنه بالرغم من امتناع النميري عن الإنشاد لحرمة الميت إلا أن السيدة عائشة استحلفته **(أقسمتُ عليك)** وأرغمته على ذلك؛ كما أن السيدة سكينة لم تتوان عن استدعاء الشعراء لمجلسها لما علمته من رغبة النساء في الاستماع إلى أشعارهم والاستمتاع بها. إذ لا يُعدّ الشعر من أهم الوسائل التواصلية والإعلامية وحسب بل منزعا جماليا فنيا، والكائن البشري كما هو معلوم يمتلك فطريا حاجة قوية إلى التعبير الفني لأن الفن يشكل إلى جانب الكلام ميزة إنسانية.

ت- المقصديات الاجتماعية:

كما تختلف المقصديات والغايات في المجالس الاجتماعية بحسب تغير الموضوعات التي تتناولها النسوة في هذه المجالس وكلها تحقق المرجو من التفاعل ومن اللقاء الواعي كما ذكرنا سابقا، وهذا الاختلاف قائم على تشابك العلاقات الإنسانية التي تربط بين المرأة ومحيطها الذي تعيش فيه، فالمرأة أم وزوجة وصديقة وأخت وابنة... ومن ذلك:

- **مجالس الصديقات:**

وتكون عادة بين الصديقات ومعلوم أن المقصدية هنا تتغير من طبيعة المواضيع التي تطرحها هؤلاء النسوة خلال اجتماعهن؛ ومن ذلك لقاء دوري لمجموعة من الصواحب يتذكرن خلاله صديقتهن التي فارقتهن بالموت، فصار للاجتماع طقوسا في التذكر يرويه أحد المطلعين على هذا المجلس المتفرد:

«...فلما اطمئن المجلس بهن جاء خادم لهن ومعه خمسة أجزاء من القرآن فدفع إلى كل واحدة منهن جزءا ووضع الجزء الخامس بينهن فقرأن أحسن قراءة، ثم أخذن

الجزء الخامس فقرأت كل واحدة منهن ربع الجزء، ثم أخرجن صورة معهن في ثوب ديبقي فبسطنها بينهن فبكين عليها ودعون لها...»[1]

وفي المجلس طقوس غير عادية سنتها النسوة إحياء لذكرى الصديقة الميتة من مثل ذبح غربان والتنكيل بجثثها، إذ الغاية من اللقاء هو تذكر هذه الصديقة وفاءً والترحم عليها، واستحضار روحها من خلال هذه الطقوس. ونشير مرة أخرى إلى أن هذه المجالس بين الصديقات اختلفت باختلاف المواضيع المطروقة؛ فمنها ما كان لغرض التفسح والترويح عن النفس ومنها ما كان غرضها المصارحة والبوح ومنها ما مقصدها المفاضلة.

ومن ذلك النزوع إلى التفاخر مثلا:

«كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل: لبابة بنت عبد الله بن عباس، وفاطمة بنت يزيد بن معاوية، وزينب بنت سعيد بن العاص، وأم جحش بنت عبد الرحمن بن الحارث. فكن يجتمعن على مائدته ويفترقن فيفخرن، فاجتمعن يوما.

فقالت لبابة: أما والله إنك لتسويني بهن، وأنت تعرف فضلي عليهن.

وقالت بنت سعيد بن العاص، أما والله كنت أرى أن للفخر علي مجازا، وأنا ابنة ذي العمامة؛ إذ لا عمامة غيرها!... »[2]

- **مجالس الخطبة:**

وتنماز المقاصد في هذه المجالس واضحة من خلال بعض الألفاظ التي يتداول العرب استعمالها في مثل هذه المواقف مثل (جئتك خاطبا) (ذكرتك):

«...ثم قالت ما حاجتك؟ قلت: جئت خاطبا. قالت: ومن ذكرت؟ قال: ذكرتك. قالت: مرحبا بك يا أخا أهل الحجاز...»[3]

[1] - محمد بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، ص167.

[2] - ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص49.

[3] - المصدر نفسه، ص67.

حيث يسعى الرجال عموما في مجالس الخطبة إلى النساء طلبا لودهن ورغبة في الزواج منهن، وكانت النساء يستقبلنهم ويجلسن للحديث معهم واختبارهم خاصة إذا اجتمع إليها أكثر من شخص واحد.

ث- المقصديات الدينية والسياسية:

أما المجالس الدينية فكانت مقاصدها مرتبطة بالدين تطبيقا وتوجيها وتعليلا، واستحضارا لنصوصه وإقامة الحجة وتزكية النفوس، ومن أهم هذه المجالس مجلس السيدة رابعة العدوية التي كانت تمتلك روحا إيمانية قوية وتواقة للوصول بالنفس إلى مراتب روحانية عليا مناكفة بذلك كل من يحضر إلى مجلسها من كبار علماء الدين من ذلك:

« نقل أن الحسن البصري رحمه الله قال: كنت عند رابعة العدوية يوما وليلة، وكنا نتحدث في الطريقة والحقيقة، ولا يخطر ببالي أني رجل، ولا ببالها أنها امرأة، ثم لما خرجت من عندها وجدت نفسي مفلسا، ووجدتها مخلص»[1]

ونلاحظ أن المقصدية هنا دينية بحتة جعلت روح كل من (رابعة العدوية) و(الحسن البصري) المتصوفين تعرج إلى مسالك ربانية جعلتهما يغفلان عن غرائزهما الإنسانية الدنيوية ليقر (الحسن البصري) في الأخير بتفوق رابعة في الإخلاص.

وتقف الأم بعاطفتها عاجزة أمام موقف الثبات الذي استقرت عليه عقيدة الابن الصابئ في نظرها:

«...فأرادت حبسه فقال: لئن حبستني لأحرصن على قتل من يتعرض لي، فقالت فاذهب لشأنك. وجعلت تبكي، فقال مصعب: يا أمة إني لك ناصح ، عليك شفيق

[1] - عطار، تذكرة الأولياء، ص102.

فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، قالت: والثواقب لا أدخل في دينك فيزرى برأيي ويضعف عقلي ولكني أدعك وما أنت عليه»[1]

وثبات الأم على عقيدتها الوثنية راجع إلى الفكر القبلي المتمسك بعقيدة الآباء والأجداد، ونلمس ذلك من خلال قولها (يزرى برأيي) حيث جعلت من الخروج عن عقيدتها فسادا وضعفا والتمسك بروابط الدين القبلي قوة وعزة.

وفي مشهد سياسي استثنائي تتنكر الأم لعاطفة وغريزة الأمومة، وتنقاد بصلابة الحاكم الفعلي لموقف سياسي متجذر مما يجعل المجلس خاضعا لمقام تواصلي سياسي خالص:

«دخلت عليها جاريتها وهي جالسة بين الهاشميات فقالت لها: يا سيدتي لقد مات موسى، فقالت الخيزران: إن مات موسى فقد بقي هارون، ثم دعت بسويق فشربت وسقت ضيوفها وطلبت مبلغا من المال فوزعته عليهن كأن بشارة زفت إليها»[2]

ونشير هنا إلى أن المقصدية تحيل بالضرورة إلى المقام وتحدده، فالمقصدية تعني كما أشرنا سابقا الغاية من الاجتماع، وبالتالي هي تحدد المواضعات المناسبة للمقام التواصلي كما يتحدد من خلال ذلك أيضا أطراف الحوار وآليات تبادله.

[1] - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج3، ص119.

[2] - ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تاريخ الطبري، بيت الأفكار الدولية، دط، الأردن،دت ،ص1649..

المبحث الثاني: التناوب وأدوار الكلام

ترتكز المحادثات عامة على وجود متحاورين يتبادلون أطراف الحديث و" تستعمل استعارات Metaphor كثيرة لوصف بنية المحادثة كرقصة يتناغم ويتناسق خلالها شركاء المحادثة بسلاسة، بينما تعتبر استعارات أخرى المحادثة تقاطعا مروريا يشتمل على حركة متعاقبة كثيفة دون أية حوادث اصطدام، مع ذلك لا يستند منهج التحليل الأكثر استعمالا على الرقص(لا توجد موسيقى) ولا على الانسياب المروري(لا توجد إشارات ضوئية) ولكنه يستند على تشابه مع اقتصاد السوق في هذا السوق توجد سلعة نادرة تسمى الأرضية Floor، والتي يمكن تعريفها على أنها حق التكلم، وتسمى السيطرة، ويسمى هذا اخذ (تبادل) الدور Turn_ talqing، ولأن أخذ الدور شكل من أشكال الفعل الاجتماعي فإنه يعمل وفقا لنظام إدارة محلي Local mangment System معلوم عرفيا عند أعضاء المجموعة الاجتماعية ونظام الإدارة المحلي هو بالأساس مجموعة أعراف للحصول على الأدوار، والمحافظة عليها."[1] وبناء على اختلاف الأرضية بين أنواع المجالس النسائية ستختلف أدوار الكلام وسيحكم تبادلها أحكام عرفية خاصة بكل نوع.

1- أعراف المبادلات الحوارية:

أ- الأعراف النقدية والعلمية:

وقبل أن نتعرف على هذه الأحكام العرفية لابد لنا أن نعيّن أطراف الحوار في كل نوع من هذه المجالس بداية بالمجالس النقدية والعلمية حيث نجد أطراف الحوار تكون على الشكل الآتي:

[1] - جورج يول، التداولية، ص112-113.

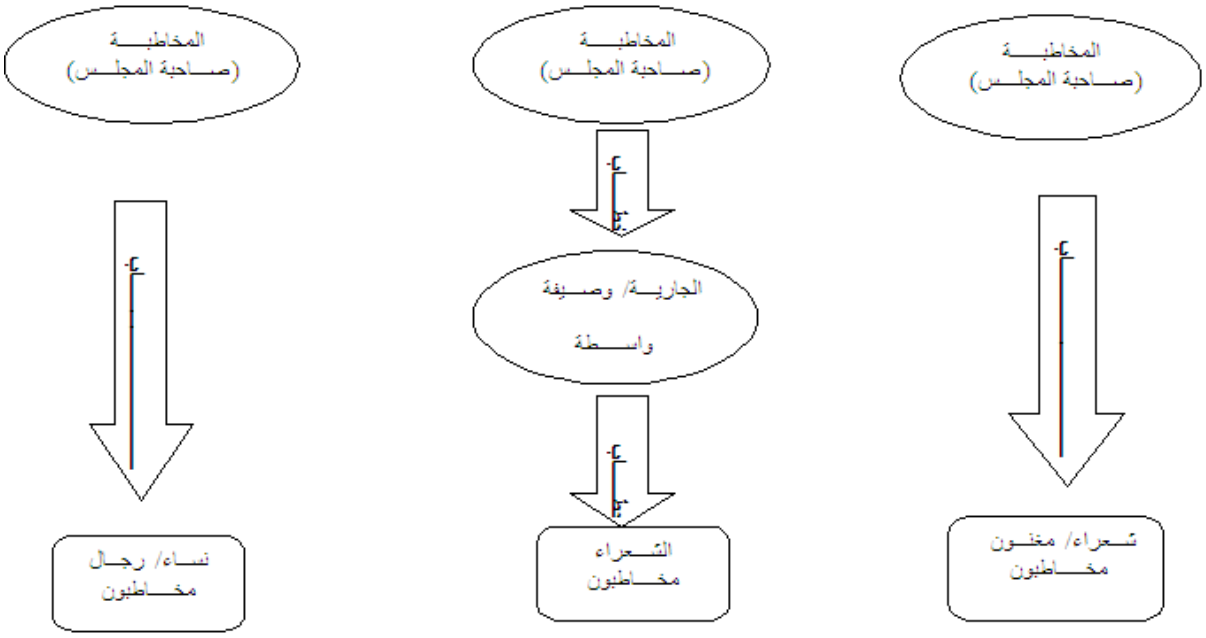

(مخطط أطراف الحوار في المجالس النقدية والعلمية)

تكون أدوار الحوار بين صاحبات المجلس والشعراء، أو صاحبات المجالس والمغنين وأحيانا بين صاحبات المجلس والشعراء وبينهما جارية تنقل الكلام، وبين طارح السائل والسؤول وبذلك يكون تبادل الحديث؛ نمثل على ذلك بـ:

أ/ صاحبة المجلس ⟵ المغنون

« فقالت لهم: ألا أحدثكم بحديث يتم به حسن غنائكم وتمام اختياركم؟ قالوا بلى والله. قال الغريض: قد والله فهمته يا سيدتي. قالت: لعنك الله يا مخنث! ما أجود فهمك وأحسن وجهك! وما يلام فيك أبو يحي إذ عرفته؛ فهاته حدثنا، قال: يا سيدتي وسيدة من حضر، والله لا نطقت بحرف منه وأنت حاضرة،...»[1]

[1] - الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص195.

وتقع هذه المحاورة بين جميلة المغنية والمغنون الذين قصدوا مجلسها للتحكيم في غنائهم وهذا المقطع من المثال يبين توجيهها الكلام للحاضرين، ثم محاورتها المباشرة مع الغريض.

ب/ صاحبة المجلس ⟵ الشعراء(الشاعر)

«...ثم عاد إليها في اليوم الثالث، وحولها مولدات لها كأنهن التماثيل؛ فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجب بها، وبهت ينظر إليها. فقالت له سكينة: يا فرزدق من أشعر الناس؟ قال: أنا قالت، كذبت؛أشعر منك من يقول...»[1]

يوجه السؤال في هذا المثال من صاحبة المجلس السيدة سكينة إلى الفرزدق الشاعر الذي قصدها في مجلسها لتحكم على شعره فتبادره بسؤال إنكاري يتكرر مع كل لقاء.

ج/ صاحبة المجلس ⟵ الواسطة ⟵ الشعراء

« فدخلوا عليها وجلست حيث تراهم ولا يرونها، ثم أخرجت لهم وصيفة لها وضيئة، وقد روت الأشعار والأحاديث، فأقرأها كل واحد منهم السلام فقالت: أيكم الفرزدق؟ فقال: هأنذا، قالت: أنت الذي تقول:....»[2]

ويختلف هذا المجلس عن سابقه بوجود الوصيفة التي كانت واسطة بين مولاتها والشعراء حيث أدت دور السيدة في إدارة الحوار ومساءلة الشعراء.

وهذه الأمثلة خاصة بالمجالس الشعرية النقدية وفيما يلي تمثيلا عن المجالس النثرية التعليمية:

د/ صاحبة المجلس(معلمة) ⟵ المتعلمون (رجالا أو نساء)

[1] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص193.

[2] - المصدر نفسه، ج3، ص189.

«دخل رجلان على عائشة رضي الله عنها فقالا: إن أبا هريرة يحدث أن الرسول قال: إنما الطيرة في المرأة والدار والدابة، فطارت شفقا، ثم قالت كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم من حدث بهذا عن رسول الله، إنما قال رسول الله...»[1]

وقالت رضي الله عنها وأرضاها في بيت امرأة:

«لو رأيتم بعض ما أعد الله لكم معاشر النساء لما أقررتم ليلا ولا نهارا، ما من امرأة غزلت لزوجها ولنفسها ولصبيانها إلا أعطاها الله عز وجل... »[2]

ويتحدد في المثالين السابقين أطراف الحوار حيث نلاحظ هذا التنوع في الحضور بين المعلمة الفقيهة كطرف وبين الأطراف الأخرى التي تتنوع هي الأخرى بين الرجال والنساء.

تبين هذه النماذج ما سبق ذكره من أطراف الحوار في المجالس النسائية حيث يكون المخاطِب في غالب الأحيان هي صاحبة المجلس أو جاريتها، والمخاطَب هم الشعراء أو المغنون؛ وقد يبتدر السائلون بالحوار في المفتتح فيكون إشكالهم مدعاة لفتح باب النقاش في المسألة ثم يتركون المجال واسعا أمام المجيب ليبسط القول فيها وهنا يتجلى فقه السؤال والجواب في المجالس التعليمية كما هو واقع في مثال عائشة رضي الله عنها. كما يتبين لنا إضافة إلى ذلك أن صاحبة المجلس في الأغلب الأعم هي التي تستأثر على مجمل الحوار وهي التي تتحكم في توجيهه، على ما تراه مناسبا ويعد هذا عرفا عاما في المجالس النقدية الشعريةو النثرية التعليمية. ذلك بوصفها أنها الناقدة لأشعارهم والمعلمة فبالتالي يكون دور المخَاطبين الاستماع إلى النقد والنصح الموجه إليهم أو قراءة أشعارهم وأداء أغانيهم وطرح أسئلتهم، وقليلا ما يكون تدخلهم في الحديث.

ب-الأعراف الأدبية السجعية والشعرية الذوقية :

[1] - ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص146.

[2] - محمد بدر معبدي، أدب النساء، ص107.

واختلفت أعراف تبادل الأدوار في المجالس الأدبية باختلاف المتحاورين حيث نلاحظ في مجالس المفاضلة أن المرأة غالبا ما يوجه لها السؤال حتى تستفيض في المفاضلة والمقارنة؛ أما في المجالس الشعرية فتكون الأحاديث متبادلة بين النساء في ذكر الشعر والشعراء وغالبا ما يستحضر الشاعر في آخر المجلس أو من بدايته فتكون أطراف الحوار في المجالس الأدبية على الشكل الآتي:

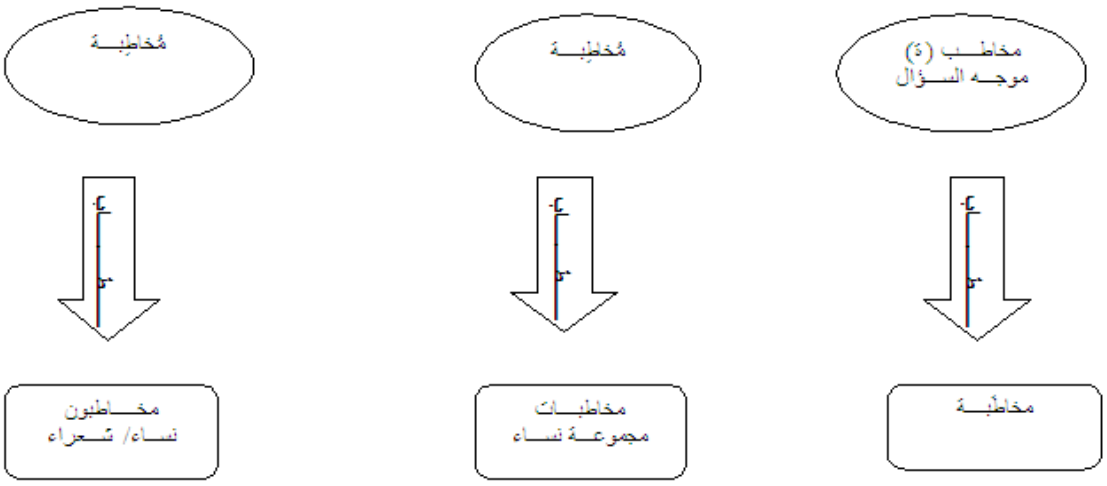

(مخطط أطراف الحوار في المجالس الأدبية)

أ/ المخاطِب (موجه السؤال) ⟵ المخاطَبة (المرأة الأديبة)

«وقال لها أبوها يوما: أي المال خير؟ قالت النخل الراسخات في الوحل، المطعمات في المحل، قال وأي شيء؟ قالت: الضأن قرية لاوباء بها، تنتجها رخالا وتحلبها علالا وتجز لها جفالا ولا أرى مثلها مالا، قال: فالإبل مالك تؤخرينها...»[1]

[1] - القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم ، ذيل الأمالي والنوادر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، مصر، 1976، ص119.

انتقل الدور في الحديث من مخاطب (موجه السؤال) إلى المخاطَبة (المجيبة على السؤال) حيث كان الدور أطول.

ونلاحظ هنا أن موجه السؤال هو الرجل في حين أن المرأة هي المجيبة بخلاف ما رأيناه في المجالس النقدية والهدف المنشود من ذلك إظهار براعة المرأة في النقد في مجالسها النقدية وإظهار براعتها الأدبية واللغوية في المجالس السجعية.

ب/ المخاطِبة(امرأة من الحاضرات) ←——المخاطبات (مجموعة من النسوة)

«...**قالت عجوز من العرب لثلاث بنات لها: صفن ما تحببن من الأزواج، فقالت الكبرى: أريد أروع بساما، أحذ مجذاما، سيد ناديه، وثمال عافيه...**»[1]

وانتقل الدور في هذه المحادثة بين امرأة عجوز وهي المخاطبة(موجهة السؤال) إلى بناتها مخاطَبات (مجيبات على السؤال) اللواتي يتقاسمن الأدوار بينهن بالتساوي في الإجابة

ج/ المخاطِبة(امرأة من الحاضرات) ←——— المخاطبون(مجموعة من النسوة+ شاعر أو شعراء)

«...**فقالت: أأنت عمر بن أبي ربيعة؟ قلت: أنا عمر، قالت: أنت الفاضح للحرائر؟ قلت: و ما ذاك ـ جعلني الله فداك؟ قالت: ألست القائل:...**»[2]

ويتم تبادل أدوار الحديث في هذا المثال بين المتخاطبين في تساوي بين السائل(عائشة بنت طلحة) والمجيب (الشاعر النميري)

نلاحظ أن المرأة في هذه المجالس تكون أحيانا الطرف السائل أو المجيب، بحيث تستأثر في كلا النوعين بمجمل القول ففي مسائلتها للشعراء تعتبر الطرف الموزع لأدوار الحوار

[1] -. القالي، الأمالي، ج1، ص38.

[2] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص217.

بوصفها صاحبة المجلس، ومكانتها تقضي بإدارتها للحوار فيكون توزيع الأدوار من مهامها أما في المجالس الأخرى فتكون هي المجيبة ولكن الهدف من سؤالها إظهار براعتها اللغوية فتسأل ليترك لها بعد ذلك مجال الإجابة والمفاضلة مفتوحا وبالتالي تكون مستحوذة في كلا النوعين على أرضية الحوار، في حين قد توزع هذه الأدوار بالتساوي إذا كانت هناك مجموعة من النساء يسألن و يمنح حق الإجابة بعد ذلك بالتساوي بينهن. أما في المجالس التي يحضر فيها الشعراء فيكون حضوره عادة مكملا للمجلس ودوره في الحوار أقل من أدوارهن عموما.

ج- الأعراف الاجتماعية:

وتختلف الأدوار في هذا النوع بحسب اختلاف المجالس النسائية واختلاف المتحاورين فيها، حيث يعتبر المجلس النسائي الاجتماعي من أكثرها تنوعا لتنوع الأحداث وتنوع أطراف الحوار نبين من خلال المخطط التوضحي الآتي أطراف الحوار في هذه المجالس:

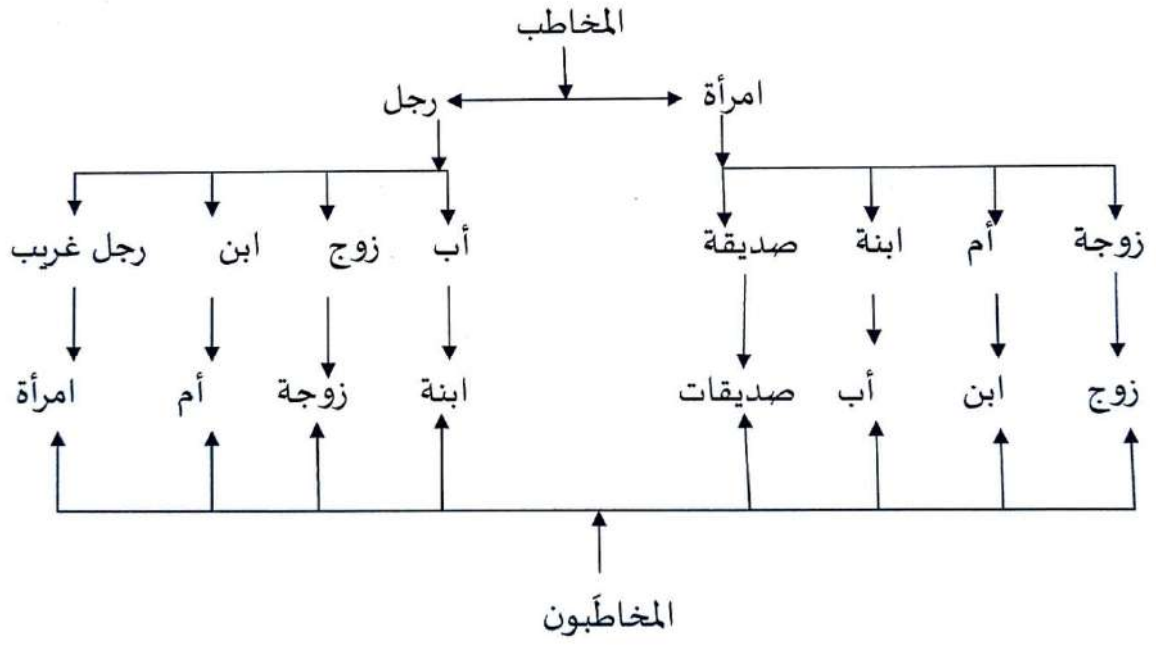

(أطراف الحوار في المجالس النثرية الاجتماعية)

وإذ يتعذر علينا إيراد مثال لكل نموذج سنكتفي ببعض الأمثلة التي تبين كيف تتم إدارة الحوار في هذه المجالس بصفة عامة:

« وذكروا أن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت لأبيها: يا أبت، إنك زوجتني من هذا الرجل ولم تؤامرني في نفسي، فعرض لي معه ما عرض؛ فلا تزوجني من أحد حتى تعرض علي أمره، وتبين لي خصاله، فخطبها سهيل بن عمر، وأبو سفيان بن حرب، فدخل عليها أبوها وهو يقول:

أتاك سهيل وابن حرب وفيهما * رضا لك يا هند الهنود ومقنع**

(...)فقالت: يا أبت، والله ما أصنع بهذا شيئا، ولكن فسر لي أمرهما...»[1]

حيث وجهت (هند) الخطاب لأبيها بداية، ثم في المجلس الثاني دار الحوار بينهما، لأنها صاحبة الشأن وهي التي تسأل وأبوها يجيب.

[1] - ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص35.

« أبو حاتم عن الأصمعي قال: قالت أعرابية لبنات عم لها: السعيدة منكن من يتزوجها ابن عمها ، فيمهرها بتيسين، وكلبين، وعيرين، ورحيين...»[1]

وفي هذا المجلس كان الحديث من أعرابية توجهه إلى بنات عمها، ولم يكن هناك حوار واضح بل نلاحظ أن المرأة هنا كانت في معرض النصح والتوجيه لذلك فقد استحوذت على أرضية الخطاب.

«فكن يجتمعن على مائدته ويفترقن فيفخرن، واجتمعن يوما

فقالت لبابة: أما والله إنك لتسوّيني بهن، وأنت تعرف فضلي عليهن.

وقالت بنت سعيد بن العاص، أما والله كنت أرى أن للفخر علي مجازا، وأنا ابنة ذي العمامة؛ إذ لا عمامة غيرها...»[2]

ويتم تناوب الحوار في هذا المجلس بين المجتمعات وهن زوجات أربع (للوليد بن عبد الملك)، إذ يكون تبادل الحوار متساويا وذلك أن لكل زوجة دور في الفخر بنفسها أمام زوجها وأمام الأخريات. رغم إحجام الرابعة عن الكلام.

«...فلما قتل جساس كليبا اجتمع نساء الحي للمأتم، فقلن لأخت كليب، رحلي جليلة عن مأتمك؛ فإن قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب؛ فقالت لها: يا هذه أخرجي عن مأتمنا...»[3]

ونلاحظ أن الحوار في هذا المجلس دار بين مجموعة من النسوة اجتمعن في مأتم فكان بينهن هذه الملاحاة الكلامية التي انتهت بطرد إحداهن منه.

نستنتج على العموم أن الحوار وتبادل أدوار الكلام في المجالس الاجتماعية كان متنوعا بين التبادل المتساوي في الأدوار إلى الاستئثار الكلي عليه وهذا يخضع كما ذكرنا سابقا إلى طبيعة المجلس والحاضرين فيه ومديري الكلام خلاله.

---

[1] - ابن عبد ربه، المصدر السابق، ص80.

[2] - المصدر نفسه، ص49.

[3] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3،ص138.

ت-الأعراف الدينية والسياسية:

ويتكون المتحاورون في هذا النوع من المجالس بحسب المواضيع دينية أو سياسية حيث تكون غالبا بين الحاكم (إمرأة أو رجل) و المحكوم(إمراة أو رجل) في المجالس السياسية وتكون غالبا بين مختلف فئات المجتمع عندما يتعلق الأمر بالدين وفي كثير من الأحيان أيضا يكون بين متحاورين ممن أثر عنهم الخوض في المسائل الدينية من فقهاء وعارفين، وتتكون الأطراف على الشكل التالي:

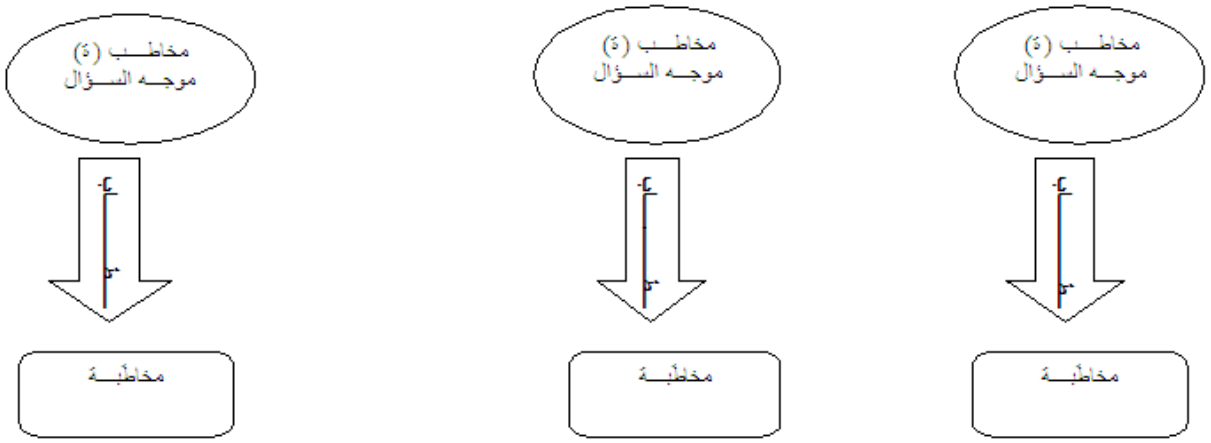

(أعراف الحوار وأطرافه في المجالس الدينية والسياسية)

أ/ المخاطِبة الحاكمة (امرأة) ⟵ المخاطبة من المحكومين(امرأة)

ومثاله ما ذكرناه سابقا وهو الذي جمع الخيزران بمزنة زوج مروان بن محمد:

« فقالت الخيزران للجارية أدخليها فإنه لابد من فائدة أو ثواب، فدخلت امرأة ذات بهاء وجمال، في أطمار رثة؛ فوقفت بجنب عضادة الباب ثم سلمت متضائلة، وتكلمت فأوضحت عن بيان ولسان. فقالت: من أنت؟...»[1]

حيث جمع كما هو واضح بين امرأتين يفترض في الأولى كونها حاكمة من خلال تأثيرها الكبير في إدارة دواليب الحكم من وراء حجاب والثانية محكومة تداولت عليها الأيام بعد أن كانت في يوم من الأيام في مقام الأولى.

ب/ المخاطبة (امرأة)←——— المخاطبون (مجموعة أشخاص)

«جاء قوم من أهل الكوفة يسلمون على سكينة فقالت لهم: الله يعلم أني أبغضكم قتلتم جدي عليا، وقتلتم أبي الحسين، وأخي عليا، وزوجي مصعبا، أيتمتموني صغيرة وأرملتموني كبيرة، فبأي وجه تلقونني؟»[2]

والمخاطبة السيدة سكينة بنت الحسين والمخاطبون مجموعة من أهل الكوفة وقد استحضرت سكينة الوقائع السياسية التاريخية في خطابها.

ج/ المخاطبة (امرأة) ———← المخاطب (الحاكم)

« ودخل على أسماء فقالت له: يا حجاج قتلت عبد الله؟ فقال: يا ابنة أبي بكر إني قاتل الملحدين، قالت بلى، أنت قاتل المؤمنين الموحدين...»[3]

ونلاحظ في الأمثلة الثلاثة تنوع مقام المرأة المحاورة من كونها حاكمة ومسيرة للأوضاع السياسية إلى امرأة عالمة ومتفاعلة معها ومتأثرة بها ومجادلة في أحداثها.

[1] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص201.

[2] - الأصفهاني، الأغاني، ج16، ص93.

[3] - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، 192.

وبالعودة إلى المجالس الدينية نجدها أيضا متنوعة بتنوع أطراف الحوار وذلك راجع أيضا إلى تنوع العلاقات الاجتماعية لكون الدين جزء لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية.

أ/ المخاطبة امرأة ←——— المخاطب رجل

«قالت السيدة حفصة في مرض أبيها: يا أبتاه ما يحزنك وفادتك على رب رحيم، ولا تبعة لأحد عندك، وعي لك بشارة لا أذيع السر مرتين، ونعم الشفيع لك العدل... »[1]

وقد جمع هذا المجلس السيدة حفصة بأبيها عمر بن الخطاب، وهي تخفف عنه ما يجده في مرضه.

ويماثله خطاب السيدة عائشة رضي الله عنها في مرض أبيها:

«فقالت له: يا أبت، اعهد إلى خاصتك، وأنفذ رأيك في عامتك، وانقل من دار جهازك إلى دار مقامك:...»[2]

حيث تحدد الأطراف التي تجمع بين المتخاطبين في هذين المثالين والمتمثلة في الأبوين وبنتيهما مما يرمز إلى قوة العلاقة التي كانت تجمع بين هذين الطرفين ضمن الآصرة الأسرية. وبالنظر إلى المقام ومكانة المتحاورين الدينة والخطاب الإسلامي المباشر أدرجنا هذين المثالين ضمن هذا النوع من المجالس.

2- مكونات الحوار و وظائفه:

يعرف جاك موشلر الحوار على أنه نوع من التفاعل اللفظي، يلزم فيه المتخاطبون بأن يجادلوا وأن يسجلوا نقاطا على بعضهم البعض وأن يفاوضوا للوصول أو عدم الوصول إلى حلول، وحسب موشلر فإن المكونات المشكلة لأي حوار هي ثلاثة:

[1]- ابن عبد ربه، بلاغات النساء، ص30.

[2]- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص187.

المبادلة/ المداخلة/ فعل اللغة والكلام[1] ولتحليل هذه المكونات والوظائف نختار من كل نوع من المجالس نموذجا:

1- « **فقالت: من رجل واقف عليك فلم يطل؟، قال: ذاك سيد العرب الحارث بن عوف، قالت: فمالك لم تستنزله؟ قال: إنه استحمق. قالت: وكيف؟ قال: جاءني خاطبا. قالت: أفتريد أن تزوج بناتك؟ قال: نعم، قالت: فإذا لم تزوج سيد العرب فمن؟ قال قد كان ذلك. قالت: فتدارك ما كان منك. قال بماذا؟ قالت: بماذا؟ قالت: تلحقه فترده**»[2]

2- «**فدخل إلى سكينة بنت الحسن، فسلم، فقالت له: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا، قالت: كذبت، أشعر منك من قال:**

بنفسي من تجنبه عزيز* علي ومن زيارته لمـــــام**»[3]

3- «**أن جمعة وهند ابنتا الخس وافتا سوق عكاظ فاجتمعتا بين يدي القلمس الكناني. فقال لهما: إني سائلكما لأعلم أيكما أبسط لسانا وأظهر بيانا وأحسن للصفة إتقانا، قالتا سلنا عما بدا لك فستجد عندنا عقولا زكية وألسنة قوية وصفة جليلة، قال القلمس: أي ذكور الخيل أحب إليك يا جمعة؟ قالت أحب المنسوب جده، الأسيل خده، السريع شده، الطويل مده، الشديد هده، الجميل قده.**

ثم قالت هند: هذا فرس خليق إن طلب لم يلحق، وإن جورى لم يسبق، وإن بوهي لم يفق، وغيره أحب إلي منه،قال القلمس فقولي:

قالت: أحب الوثيق الخليق الكريم العرق، الكثير السبق، الشديد الذلق، يمر مر البرق.

قال القلمس:

فأي إناث الخيل أحب إليك يا جمعة؟ قالت: أحب كل حيية الفؤاد، سبوح جواد، سلسة القياد، شديدة الاعتماد، في الدفع والاشتداد، ذات هباب و ثماد

---

[1]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2013، ص109- 110.

[2] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص149.

[3]-الأصفهاني،نفسه، ج8،ص38.

قال القلمس: كيف تسمعين يا هند؟...»[1]

إن هذه الأطراف المشاركة في التفاعل الحواري تختلف من حيث الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها وتختلف أيضا في المستوى الفكري، ما يؤدي حتما إلى اختلاف الإسهامات الممكنة في أدوار الحوار؛ ففي النموذج الأول نلاحظ أن إسهام الطرف الأول وهي السيدة سكينة بنت الحسين كان أطول نسبيا، كما كان لها أوليته وبالتالي أفضليته بالرغم من أن الفرزدق هو الذي زارها وسبب ذلك ما كانت تتمتع به السيدة سكينة من مكانة اجتماعية مرموقة في مجتمعها وليس هذا فقط بل يرتبط الأمر بما عهده الشعراء عنها من دراية بمدخلات الشعر ومخرجاته كما ذكرنا سابقا.

وتختلف أدوار تبادل الحديث في المجالس النثرية الاجتماعية ففي حين نجد أن الأب في الغالب يقف عند طرح السؤال ثم تلي بعد ذلك أدوار بناته في الإجابة والتفصيل وبهذا يأخذن المساحة الأكبر في إدارة الحديث في النموذج المذكور، ونميز في نماذج أخرى كثيرة اختلافا في تبادل الأدوار ويخضع الاختلاف إلى طبيعة الحوار وأطرافه. ويختلف أيضا في مكوناته ومنها:

أ/ المبادلة في الحوار:

وتتكون على الأقل من مساهمتين حواريتين (دورين للكلام) لمتكلمين مختلفين فهي إذا مكون مركب[2] وبالعودة إلى المجالس التي عرضناها سابقا نجدها تتكون مما يأتي:

المجلس الأول: تكون من دورين (سكينة بنت الحسين ⟵ الفرزدق الشاعر)

المجلس الثاني: تكون أربع مبادلات (الزوج ⟵الزوجة- الأب ⟵الابنة الكبرى ، الأب ⟵ الابنة الوسطى، الأب ⟵ الابنة الصغرى)

المجلس الثالث: تكون من مبادلتين(القلمس ⟵هند بن الخس،القلمس⟵جمعة بنت الخس)

[1] - بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، ص27-28

[2] - عبد اللطيف بلاغة الإقناع في المناظرة، ص110.

والملاحظ على العموم أن المجالس الاجتماعية النثرية غير متخصصة تكون أكثر انفتاحية على المبادلات الحوارية وأكثر استيعابا لكثرة الحضور أو قلته وذلك بسبب طبيعة المجلس، فلو عدنا إلى مجلس جميلة نجده أقرب إلى العلمية و التخصص كما ذكرنا سابقا وفي هذا النوع من المجالس تقل المبادلات، وتكون الهيمنة الحوارية للأكثر خبرة والأكفأ.

أما من حيث النوع فأغلب المبادلات نجدها إقرارية أو اعتراضية أو سلبية(نافية)

- **الاعتراضية:**

تتمثل في مجلس المفاضلة السجعي حيث تدلي كل امرأة برأيها حول أي ذكور الخيل أفضل وأي إناثها أفضل فتبدي كل واحدة اعتراضها على ما قدمته أختها من صفات من خلال ذكر صفات أخرى تعتقدها أفضل ومنها أيضا المعارضة الضمنية لزوجة(أوس بن حارثة) في ما أتاه زوجها من تصرف إزاءسيد العرب (الحارث بن عوف)وذلك من خلال قولها إذا لم تزوج سيد العرب فمن؟

- **السلبية:**

وهي مبادلة النفي حيث تعدّ من أكثر المبادلات التي تسمح باستمرار الحوار وفتحه في الغالب ومثالها قول سكينة للفرزدق كذبت وفي قول البنت الكبرى لأبيها لا أريده.. إن المبادلة السلبية هنا تفتح باب الحوار أكثر والجواب النافي من شأنه أن يخلق إنعاشا لأوصال المحاورة أو انطلاقة جديدة لعناصرها[1].

وهذا ما تتميز به المجالس النسائية عموما فأغلب المبدلات فيها بين السلبية والاعتراضية وقلما نجد المبادلات الإقرارية وهذا ما يجعلنا نقف عند قوة الحضور الأنثوي وقوة الشخصية والانفتاحية على الآراء المخالفة.

[1]- عبد اللطيف عادل، المرجع السابق، ص112.

ب/المداخلة في الحوار:

يقودنا الحديث عن المداخلة إلى الحديث عن الأفعال الكلامية لكون المداخلة هي: أكبر وحدة منولوجية مكونة للمبادلة، وهي تتكون من أفعال الكلام. وتكون إما مركبة إذا تعددت فيها هذه الأفعال، أو بسيطة إذا اقتصرت على واحد منها. وهي على العكس من المبادلة تشكل المساهمة الخاصة لمتكلم معين في سياق مبادلة معينة وتضطلع في سياق المحاورة بنوعين من الوظائف:

أ/ وظائف ابتدارية:

و تميز المداخلات التي تطرح إلزامات معينة على المخاطب. وضمن الوظائف الابتدارية يكون طلب الخبر وطلب الإقرار والالتماس والعرض والدعوة والأمر...[1]

ونسجل الوظائف الابتدارية في المجالس السابقة كما يأتي:

المجلس الأول: " من رجل واقف عليك فلم يطل؟ "

المجلس الثاني: "فقالت له: يا فرزدق، من أشعر الناس؟"

المجلس الثالث: " فقال لهما: إني سائلكما لأعلم أيكما أبسط لسانا وأظهر بيانا وأحسن للصفة إتقانا،

وتتكون هذه المداخلات الابتدارية كما هو مبين من سؤال إنكاري، وإقرار، وسؤال معرفي غرضه الاستفسار ، إضافة إلى عرض غرضه الدعوة إلى إبداء الفصاحة والقدرة اللغوية؛ تنبني كلها على فعل موجه وهو المكون الذي يمنح التفاعل قيمته التداولية المهيمنة أو بتعبير موشلر " ما يمنح المعنى العام للمداخلة" وهذه الأفعال على التوالي (من أشعر؟، من رجل؟، إني سائلكما) وهي تمنح المداخلة معناها العام حيث لا يمكن أن تستمر المبادلة الحوارية ككل لولا وجود هذا الفعل الموجه لها لذلك نقول بأن المداخلة أساسها هذا الفعل الكلامي والمقصود به الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلا بعينه

[1]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص110.

حيث تكون غايته تغيير حال المتخاطبين"[1] أو التأثير فيهم وفي معتقداتهم وبالتالي فإن هذا الفعل بالضرورة يجب أن يحمل على القصدية ، ونلاحظ أن هذه الوظائف الابتدارية قد تنوعت بين سؤال خرج عن غرضه الأصلي وعرض لمفتتح الحوار.إن هذه الوظيفة الأولية التي تعتبر أساسا ومفتاحا للحوار تعقبه وظيفة أخرى من وظائف المداخلة وهي الوظيفة الارتدادية.

ب/ الوظائف الارتدادية (ركسية):

وهي التي ترتبط بالمداخلات الارتجاعية. وتشكل أساسا القسم المولد للأجوبة، وتحدد نوع الاستجابة / الإرضاء لإلزامات الابتدار[2] وتنقسم إلى نوعين:

موجبة كما في المجلس الثالث والأول (سلنا عما بدا لك)، (قال أنا)

ارتدادات سالبة كما في المجلس الأول في القسم الخاص بحوار الأب مع بناته وقول الكبرى والوسطى (لا أريده)

وبالتالي نجد أن هذه الوظائف الارتدادية قد تنوعت بحسب الوظيفة الابتدارية والهدف المرجو من وراء فتح الحوار ومن الأفعال الكلامية.

هذا في المجمل ما يخص أطراف الحوار وتناوب الكلام ونشير إلى"أن المتخاطبين عندما يتحاورون إنما يقبلون ويتبعون عددا معينا من القواعد الضمنية اللازمة لاشتغال التواصل"[3] وسنتعرف من خلال المباحث الآتية على هذه المبادئ وفي مقدمتها مبدأ التعاون.

---

[1]- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف،ط1، الجزائر،2008، ص7.

[2]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع، ص110.

[3]- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع،ط1، سورية، دت، ص84.

المبحث الثالث: الاستلزام الحواري في محاورات المجالس

1- مبدأ التعاون

" تتمثل فكرة غرايس في أن مساهمات المتكلمين في المحاورات يحكمها أثناء المحادثة مبدأ عام ـ مقبول ضمنيا من المتخاطبين ـ يسميه مبدأ التعاون، وبالنسبة إلى غرايس أن تُعاون يعني تلبية المتكلم المساهم في المحادثة ما هو مطلوب منه بحسب الكيفية التي جرت بها المحادثة والوجهة التي اتخذتها"[1] أو هي كما نظر لها جورج يول "توفر قدر متوقع من المعلومات في محادثة مظهرا لفكرة أعم مفادها أن الأشخاص المشتركين في المحادثة سيعاون أحدهم الآخر"[2]

وبعبارتها الدقيقة " اجعل مساهمتك في المحادثة كما يتطلب منها أن تكون في مرحلة ورودها، وفقا للغرض المقبول أو اتجاه تبادل الحديث الذي تخوضه"[3] ويكون هذا المبدأ ملزما لكل الأطراف المساهمة في الحوار وينقسم إلى أربعة أقسام نذكرها فيما يأتي مع التمثيل لكل قسم بما يناسبه من المجالس النسائية:

أ- الكم Quantity:

وهو بدوره ينقسم إلى قسمين:

- اجعل مساهمتك إخبارية بقدر ما يتطلب الأمر (لأغراض التبادل الآنية)[4] ومثاله:

« فقالت: أنظر رمكاء جسيمة أو بيضاء وسيمة في بيت جد أو بيت حد، أو بيت عز، قال: ما تركت من النساء شيئا؟ قالت بلى: شر النساء تركت: السويداء المراض

---

[1] - جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الباحثين، دار سيناترا، دط، تونس، 2010، ص214.

[2] - جورج يول، التداولية، ص67.

[3] - المرجع نفسه، ص68.

[4] - المرجع نفسه.

والحميراء المحياض الكثيرة المظاظ...»[1]

فقد كانت مساهمة هند بنت الخس الإيادية في هذا المجلس كافية على قدر السؤال حيث حددت صفات المرأة المناسبة للسائل في إجابتها الأولى دون أن تنتقل إلى غيرها إلا بعد أن سئلت مرة أخرى.

خرق القاعدة:

« فقالت جميلة: كلكم محسن وكلكم مجيد في معناه ومذهبه، قال ابن عائشة: ليس هذا بمقنع دون التفصيل...»[2]

ونلاحظ في هذا المجلس خرقا للقاعدة من خلال اكتفاء جميلة بإجابة مختصرة أخلت بمبدأ الكم، حيث كان الهدف من الاجتماع في الأساس معرفة المجيدين في الغناء ومراتبهم ومواضع إجادتهم، إلا أن صاحبة المجلس لم تفصل في ردها.

- ويتمظهر القسم الثاني على أساس الكفاية الإخبارية الدقيقة ومفادها "لا تجعل مساهمتك إخبارية بقدر يفوق المطلوب"[3]

مثال:

« فقال الملك: أجل! هذه رؤياي فما تأويلها يا عفيراء؟ (أ) قالت: الأعاصير والزوابع ملوك تبابع والنهر علم واسع، والداعي نبي شافع، والجارع ولي تابع، والكارع عدو منازع!

فقال الملك: يا عفيراء، أسلم هذا النبي أم حرب؟ (ب)قالت: أقسم برافع السماء؛ ومنزل الماء من الغماء، إنه لمطل الدماء، ومنطق العقائل نطق الإماء.

فقال الملك: إلام يدعو يا عفيراء؟ (ج)قالت إلى صلاة وصيام، وصلة أرحام، وكسر أصنام، وتعطيل أزلام واجتناب آثام.

---

[1] - القالي، الأمالي، ج2، ص260.

[2] - الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص194.

[3] - جورج يول، التداولية، ص68.

فقال الملك ياعفيراء، إذا ذبح قومه فمن أعضاده؟ (د)فقالت: أعضاده غطاريف يمانيون طائرهم به ميمون، يغزيهم فيغزون ويدمث بهم الحزون وإلى نصره يعتزون !»[1]

ففي هذا المثال تتضح لنا جليا هذه المزاوجة الدقيقة بين الالتزام بالقاعدة وخرقها من جانب آخر، فقد التزمت الكاهنة عفيراء التي نزل عندها الأمير مرثد فسألها عن تأويل رؤيا رآها حيث نجدها في الإجابة (أ) و (ج) تقيدت بالمطلوب، وأجابت على قدر السؤال دون أن تضيف شيئا إلى خبرها فقد التزمت في (أ) بتفسير الرؤيا تفسيرا مختصرا ودقيقا.

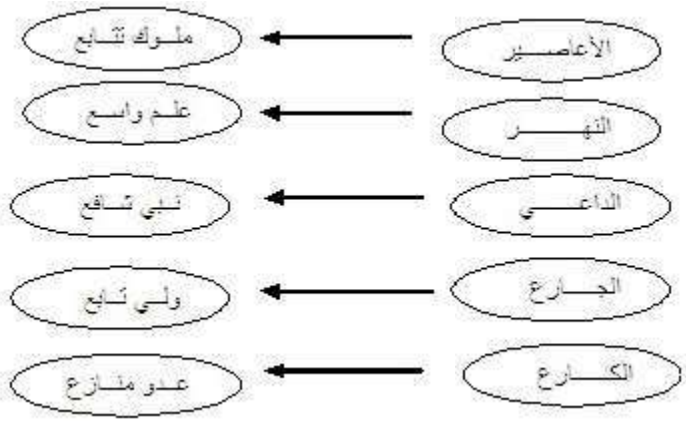

كما التزمت في (ج) بالإجابة أيضا حيث عددت ما جاء به الرسول ﷺ دون استفاضة في القول:

صلاة- كسر أصنام

صيام- تعطيل أزلام

صلة أرحام – ترك آثام

[1] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص309.

ولو أرادت لحديثها أن يفوق القدر المطلوب لفصلت في معنى ترك الآثام مثلا ولكنها اكتفت بالإشارة عن التفصيل أما فيما يخص الإجابتين (ب) و(د) فنلاحظ أن الكاهنة قد خرقت القاعدة بالإجابة أكثر من القدر المطلوب بقولها:

ب/ أقسم برافع السماء؛ ومنزل الماء من الغماء

د/ طائرهم به ميمون، يغزيهم فيغزون ،و يدمث بهم الحزون وإلى نصره يعتزون.

فقد أقسمت الكاهنة في الإجابة الأولى مبتدأً بالرغم من أنها في غنى عن ذلك لأنها الكاهنة الوحيدة التي استطاعت أن تفسر هذه الرؤية دون الكهنة والكواهن الذين جمعهم في قصره كما أنها لم تكتف في الإجابة (د) بذكر من هم أعضاد النبي فقط بل فصلت في ذلك بأن ذكرت بعض صفاته وعلاقتهم به.

إلا أننا نلمس أنه بالرغم من هذا الخرق الواضح في هذه القاعدة إلا أنه لم يتعد حدود المألوف ولم يكن خرقا نشازا ولم يخل بالمعنى العام.

ب- النوع Quality:

ومقتضاها "حاول أن تجعل مساهمتك من النوع الذي يوسم بالصحة وهي أيضا تنقسم إلى قسمين:

- لا تقل ما تعتقده كذبا

والظاهرة العامة التي نلاحظها على المجالس النسائية عموما أنها اتسمت بالوضوح والمصارحة حيث كانت النساء يتحدثن بصراحة وجرأة دون الحاجة إلى المدارة أو الكذب أو المجاملة خاصة عندما يتعلق الأمر بالجانب النقدي فلا يحرج بعضهن في كثير من المواقف أن تنتقد نقدا لاذعا؛ نمثل لذلك بقول سكينة بنت الحسين:

« وأخبرني الحسن بن يحي عن عباد أبيه عن أبي يحي العبادي: أن سكينة أنشدت أبيات عروة بن أذينة في أخيه بكر؛ فلما انتهت إلى قوله:

على بكر أخي ولى حميدا * وأي العيش يحسن بعد بكر**

قالت سكينة: ومن أخوه بكر! أليس الدحداح الأسيد القصير الذي كان يمر بنا صباحا ومساء؟ قالوا نعم؛ قالت: كل العيش والله يصلح ويحسن بعد بكر حتى الخبز والزيت»[1]

فقد التزمت سكينة في هذا المثال بمبدأ المصارحة وتفادي الكذب ولم تتحرج من إبداء رأيها في البيت الشعري بكل وضوح وشفافية.

ومثال ذلك أيضا من المجالس الاجتماعية:

«... فما تقولين؟ قالت: لا تفعل ، قال: ولم؟ قالت: لأني امرأة في وجهي ردة، وفي خلقي بعض العهدة، ولست بابنة عمه فيرعى رحمي، وليس بجارك في البلد فيستحي منك، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني، فيكون علي في ذلك ما يكون...»[2]

والمجلس يجمع أبا ببناته يستشيرهن في أمر زواجهن من الحارث بن عوف و نلاحظ أن الفتاة هنا لم تستنكف قول الحقيقة والجهر بما في خلقها وخلقتها من المعايب جعلتها لا توافق على سيد العرب.

خرق القاعدة:

وتعد أمثلة خرق القاعدة قليلة بالمقارنة بقاعدة الالتزام بها ولا يكون هذا الخرق إلا في حالات نادرة ومثال ذلك:

« فغنين غناء مليحا، فغنت إحداهن صوتا لمعبد، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر: أحسن إبراهيم هذا له؛ قلت: كذبت ليس هذا له، هذا لمعبد؛ فقالت: يا فاسق

[1] - الأصفهاني، الأغاني، ج7، ص62.

[2] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص149.

وما يدريك الغناء ما هو! ثم غنت الأخرى صوتا للغريض، فقالت تلك: أحسن إبراهيم، هذا له، أيضا؛ فقلت: كذبت يا خبيثة، هذا للغريض؛ فقالت: اللهم أخزه، ويلك! وما يدريك!...»[1]

والشاهد هنا أن المتكلمة من وراء الستر قد نسبت غناء لغير مؤديه فكذبها إبراهيم في مرتين متتاليتين وهنا يقع خرق للقاعدة التي تستلزم ألا يقال شيئا يعتقد كذبه، ولعل الهدف من هذا الخرق اللهو العبث الذي نراه جليا في هذا المجلس.

- **لا تقل شيئا يعوزه عندك دليل كاف**[2]

وهذه قاعدة عامة في المجالس النسائية إذ التزمت المرأة بالدليل والحجة وخاصة في المجالس النقدية وكذا مجالس المفاضلة فقد اعتمدت النسوة في ذلك على البرهان في أغلبها:

«أخبرني الحسين بن علي عن أحمد بن زهير عن مصعب الزبيري قال: أنشدت سكينة بنت الحسين قول الحارث بن خالد: ففزعن من سبع وقد جهدت أحشاؤهن موائل الخمر، قالت: أحسن عندكن ما قال؟ قالوا: نعم قالت: وما حسنه فوالله لو طافت الإبل سبعا لجهدت أحشاؤها...»[3]

فقد استدلت سكينة هنا بالواقع حيث...

وتقل الأدلة في المجالس الاجتماعية والشعرية لاختلاف طبيعة الخطاب حيث لا تحتاج المقامات إلى أدلة قطعية الدلالة إنما تكتفي في كثير منها بما هو واقع في الأعراف الاجتماعية والعلاقات الإنسانية ومن ذلك مجلس جمع بين أب وابنتيه:

« خطب إلى أعرابي رجل موسر إحدى ابنتيه وكان للخاطب امرأة فقالت الكبرى: لا أريده! قال أبوها: ولم؟ قالت: يوم عتاب ويوم اكتئاب، يبلى فيما بين ذلك الشباب!

---

[1]- الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص222.

[2]- جورج يول، التداولية، ص68.

[3]- الأصفهاني، المصدر نفسه، ج ، ص227

قالت الصغرى: زوجنيه! قال لها : على ما سمعت من أختك؟ قالت : نعم يوم تزين ، ويوم تسمن، وقد تقر فيما بين ذلك الأعين »[1]

ونلمس في هذا المجلس اختلافا في قضية واحدة، وقد كان لكل فتاة رأيها مع دليلها الكافي في الرفض أو القبول؛ ففي حين رأت الكبرى أن التعدد يبلي شبابها في الاكتئاب والعتاب. رضيت الصغرى به من منطلق التسمن والتزين وقرار العين.

وكما التزمت النساء بالوضوح والمباشرة كما مر بنا فقد كانت من جانب آخر تتحرى صدق من حولها وتكذب من كذب وتثني على من صدق نعرض فيما يلي مثالين على ذلك:

« فقالت له: يا فرزدق من أشعر الناس؟ قال: أنا، قالت: كذبت أشعر منك الذي يقول:

بنفسي من تجنبه عزيـز* علي ومن زيارته لمـــــــام**

ومن أمسي وأصبح لا أراه* ويطرقني إذا هجع النيام»**[2]

ومنها أيضا:

«... قالت: فقال عمر بن أبي ربيعة وهو معهم في الجنبذ هذه الأبيات. فلما انتهى إلى قوله:

وقد قلت ليلة الجزل لما * أخضلت ريطتي السماء**

خرجت البغوم ثم رجعت إليه فقالت: ما رأيت أكذب منك يا عمر! تزعم انك بالجزل وأنت في جنبذ محمد بن مصعب، وتزعم ان السماء أخضلت ريطتك وليس في السماء قزعة »[3]

[1]- ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص84.

[2] - المصدر نفسه، ص193.

[3] - الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص124.

فنجد في النص الأول خطابا تكذيبيا زاجرا ومباشرا توجهه السيدة سكينة بنت الحسين للشاعر الفرزدق، وفي النص الثاني نقد للبيت الشعري الذي أنشده عمر مخالفا لما هو في الواقع.

ت- قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال:

وهي ليناسب مقالك مقامك[1] أو كن وثيق الصلة بالموضوع[2]

وتعدّ هذه القاعدة من المبادئ التي اهتم بها الدرس البلاغي العربي القديم، وهذا ما نجده عند السكاكي والجاحظ وغيرهما ممن أفاضوا الحديث عن ضرورة مطابقة الكلام للمقام؛ وما كانت المجالس النقدية النسائية مع اختلاف أنواعها لتخالف هذه القاعدة حيث التزمت أغلب المجالس المقامات في حواراتها، فما كان متعلقا بالنقد بقي في إطاره وما كان متعلقا بعرف اجتماعي ارتكز على الأحداث الاجتماعية وما كان شعري الطرح لم يخرج إلى غيره إلا في القليل النادر من المواضع.

« وحز الحجاج رأسه في مسجد الكعبة، ودخل على أسماء فقالت له : يا حجاج قتلت عبد الله؟ فقال: يا ابنة أبي بكر إني قاتل الملحدين، قالت: بل، أنت قاتل المؤمنين الموحدين.

قال: كيف رأيت ما صنعت بابنك؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك ولا خير إن أكرمه الله على يديك، فقد أهدى يحي بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل»[3]

ويجمع المجلس بين أسماء بنت أبي بكر والحجاج، الذي أقدم على قتل ابنها وهنا نلاحظ أن الحوار بين المخاطبين يجري في إطار مقامي يجلي بعض الحقائق التاريخية والسياسية،

[1] - جورج يول، التداولية، ص68.

[2] - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، الدار البيضاء، ص238.

[3] - ابن عبد ربه أحمد بن محمد، العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت،1983.ج4، ص192.

وقد جاء على لسان المتخاطبين خطاب جدلي إذ سعى الحجاج إلى إظهار القوة من خلال القضاء على ابنها والتنكيل به، ولم تتردد أسماء في إظهار المعصية والكبيرة التي ارتكبها الحجاج مستحضرة بذلك حججا دينية وتاريخية في معرض الوعيد والانذار تارة وفي مقام التوبيخ والتنبيه إلى عظم المعصية التي ارتكبها الحجاج.

خرق القاعدة:

ولعلنا لا يمكن أن ننفي بالمطلق وجود بعض الخروقات التي يمكن أن تطال هذه القاعدة من المجالس النسائية فقد كانت النسوة في بعض الأحيان يخرجن عن مقتضى المقام إلى أحاديث جانبية لا تتوافق والمقام الذي وردت فيه ومن ذلك:

« ... قال: كانت سكينة في مأتم فيه بنت لعثمان رضي الله عنه، فقالت بنت عثمان: أنا بنت الشهيد، فسكتت سكينة، فلما قال المؤذن: وأشهد أن محمدا رسول، قالت سكينة: هذا أبي أم أبوك؟ فقالت العثمانية: لا جرم لا أفخر عليكم أبدا»[1]

والملاحظ هنا خروج السيدتين عما ينبغي أن يكون من حديث في مثل هذه المقامات العزائية من خطابات المواساة والتصبير والتخفيف على أهل الميت ومراعاة مشاعر الحزن إلى الافتخار بالآباء والأجداد. على أنّ هذه النماذج في خرق القاعدة كانت قليلة جدا بالمقارنة بما هو سائد من موافقة الكلام لمقتضى الحال عادة.

2- مبدأ الحال manner:

وتسمى أيضا قواعد جهة الخبر وهي[2]:

- لتحترز من الالتباس

[1] - الأصفهاني، الأغاني، ج16، ص93.

[2] - ينظر: جورج يول، التداولية، 68.

- لتحترز من الإجمال
- لتتكلم بإيجاز
- لترتب كلامك

ونورد هنا مثالا جامعا لهذه القواعد الأربع:

« ثم أذنت لهم، فدخلوا عليها وقعدت لهم حيث تراهم ولا يرونها ثم أخرجت لهم وصيفة لها وضيئة، وقد روت الأشعار والأحاديث، فأقرأها كل منهم السلام، فقالت: أيكم الفرزدق؟فقال: هأنذا، قالت: أنت الذي تقول:

أبيت أمني النفس أن سوف نلتقي* وهل هو مقدور لنفسي لقاؤها**

فإن ألقها أو يجمع الدهر بيننـــــا* ففيها شفاء النفس فيها وداؤها**

قال: نعم! قالت: قولك أحسن من منظرك! ...

ثم دخلت على مولاتها وخرجت وقالت: أيكم جرير؟ فقال: هأنذا؛ قالت: أنت القائل:

رزقنا به الصيد الغزير ولم تكن* كمن نبله محرومة وحبائله**

فيهـــــات العقيـــــق ومن بـــــه*وهيهات حي بالعقيق نواصله**

قال: نعم، قالت: أحسن الله إليك...»[1]

نجد في هذا المثال ما يجمع القواعد الأربعة كما ذكرنا سابقا وقد اجتزأنا هذا المقتطف لتعذر إيراده كاملا بسبب طوله وتتجلى قواعده في:

1- **احتراز من الالتباس** من حيث أن الكلام كان واضحا ومباشرا ولم يدرج فيه أي نوع من الغموض أو الشبهة.
2- **تجنب الإجمال** من خلال التفصيل في توجيه السؤال عن الشاعر وعن بيته الشعري ثم تقييمه.

[1] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص189.

3- نلاحظ أن هناك **إيجاز في الكلام** حيث تجنبت سكينة بنت الحسين الكلام الكثير بأن وجهت الملاحظة على الأبيات الشعرية مباشرة بالاستحسان أو الاستهجان دون تفصيل.

4- **الترتيب**: حيث انتقلت الجارية من خلال سيدتها من شاعر إلى آخر بتسلسل وقد وجهت لكل شاعر ما استحسنته من شعره ثم ما استقبحت منه مع التعليل والتمثيل.

لا نجد هذه القواعد في المجالس الشعرية وحسب بل نلمسه في الاجتماعية والسجعية أيضا من خلال الأمثلة الآتية:

«ثم أفضن الحديث، فقلن: أي النساء خير؟ قالت إحداهن: الخرود الودود الولود. قالت الأخرى: خيرهن ذات الغناء، وطيب الثناء، وشدة الحياء،.... قلن فأي الرجال خير؟ قالت إحداهن: إن أبي يكرم الجار، ويعظم النار، وينحر العشار بعد الحوار...[1]

- ففي النص **احتراز من الالتباس** رغم ما يحمله من كنايات فالكناية في اللغة العربية لا تعمي المعنى إذ يستطيع أي شخص أن يصل إلى ما يريده المخاطب دون عناء.
- كما تجنبت النسوة **الإجمال** بتعديد الصفات والمحامد.
- أما **الإيجاز** فقد اقتضته لغة الكناية البلاغية.
- و**ترتبت** أقوالهن من واحدة إلى أخرى ومن موضوع وصف النساء إلى موضوع وصف الرجال.

وقد عرفت هذه المبادئ الكثير من التعديلات والإضافات فهي كما نظر إليها طه عبد الرحمن تضبط الجانب التبليغي من التخاطب دون مراعاة للجانب التهذيبي، بالرغم من أن

[1]- إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص137.

غرايس قد أشار إليه إشارة عابرة وذلك في قوله: " هناك أنواع شتى لقواعد أخرى جمالية واجتماعية وأخلاقية من قبيل (لتكن مؤدبا) التي يتبعها عادة المتخاطبين" إلا أن اهتمامه به كان هامشيا مقارنة بالمبادئ الأخرى[1]

3- مبدأ التأدب واعتبار جانب التهذيب

أما المبدأ التداولي الثاني الذي يخضع له التخاطب السليم، فهو (مبدأ التأدب) الذي أوردته (روبين لاكوف) في مقالتها الشهيرة (منطق التأدب) ولما كان التخاطب يقتضي اشتراك جانبين عاقلين في إلقاء الأقوال وإتيان الأفعال، لزم أن تنضبط هذه الأقوال بقواعد تحدد وجوه فائدتها الإخبارية أو قل (فائدتها التواصلية)، كما لزم أن تنضبط هذه الأفعال بقواعد تحدد وجوه استقامتها الأخلاقية أو قل (التعاملية)، نسميها بـ(قواعد التهذيب) مع العلم أن مصطلح التهذيب موضوع للدلالة على التعامل الأخلاقي[2]

(منطق التأدب):

وصيغة هذا المبدأ هي: لتكن مؤدبا

قـواعــده:

أ- قاعدة التعفف:

توجب قاعدة التعفف على المتكلم ألا يستعمل من العبارات إلا ما يمكّنه من حفظ مسافة بينه وبين المخاطب، فلا يفاتحه بما يكشف أحوال أحدهما للآخر، متجنبا الصيغ التي تحمل دلالة وجدانية مثل أفعال القلوب، ولا يحمله على فعل ما يكره، محترزا من استعمال عبارات الطلب المباشر، ولا يقتحم عليه شؤونه الخاصة إلا بالاستئذان قبل

[1] - ينظر طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص239.

[2] - ينظر: نور الدين أجعيط، تداولية الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012، ص76. .

الكلام فيها والاعتذار بعده[1] ونشير هنا إلى أن قاعدة التعفف التزم بها الزائرون للمجالس النسائية وقلما التزمت بها المرأة في خطابها ومثال ذلك:

«فسلمنا فردت، ثم رحبت بنا، ثم قالت: من أنت؟ قال: أنا عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ...ثم قالت: ما حاجتك؟ قلت: جئت خاطبا، قالت: ومن ذكرت؟ قال: ذكرتك...»[2]

ونلمس في هذا المثال تدرجا في الطلب مما حقق قاعدة التعفف حيث تعفف بن عوف من الطلب المباشر.

خرق القاعدة:

وبالنسبة لأمثلة خرق القاعدة فقد كانت أكثر من قاعدة التعفف؛ ولعل الأمر هنا راجع إلى المكانة التي كانت المرأة تحظى بها خاصة إذا علمنا أن أغلب المجالس كانت لسيدات المجتمع ومن أمثلة ذلك:

«... فمر بها النميري الشاعر، فسألت عنه فنسب لها، فقالت: إئتوني به فأتوها به. فقالت له: أنشدني مما قلت في زينب؛ فامتنع عليها وقال: تلك ابنة عمي وقد صارت عظاما بالية، قالت أقسمت عليك بالله إلا فعلت؛ فأنشدها...»[3]

إذ نلاحظ أنه بالرغم من تعفف الشاعر عن ذكر ابنة عمه التي رحلت إلا أن السيدة عائشة بنت طلحة أصرت على ذلك فخرقت قاعدة التعفف.

ومن ذلك أيضا:

[1]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص237

[2] - ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص66-67.

[3] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص197.

«...فحجبته ثم أدخلته ولم تأذن له في القعود، فلم يزل قائما ثم قالت: إيه يا حجاج! أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتال الزبير وابن الأشعث! أما والله لولا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام ولا بقتل ذات النطاقين...»[1]

وتقتضي هذه القاعدة مفهوم لا تفرض نفسك على المخاطب إلا أننا نلاحظ في هذه الأمثلة وغيرها كثير كيف كانت المرأة العربية تفرض نفسها وحضورها. إما باستدعاء المخاطبين أو بتوجيه الكلام المباشر إليهم ومكاشفتهم الصريحة والواضحة.

ب- قاعدة التشكك:

تقضي بأن يتجنب المتكلم أساليب التقرير ويأخذ بأساليب الاستفهام كما لو كان متشككا في مقاصده، بحيث يترك للمخاطب مبادرة اتخاذ القرارات[2]

أمثلته:

« فقالت: من رجل واقف عليك فلم يطل، قال: ذاك سيد العرب الحارث بن عوف، قالت: فمالك لم تستنزله؟ قال: إنه استحمق. قالت: وكيف؟ قال: جاءني خاطبا. قالت: أفتريد أن تزوج بناتك؟ قال: نعم، قالت: فإذا لم تزوج سيد العرب فمن؟...»[3]

يجمع هذا المثال محادثة بين رجل وزوجته في أمر لقائه بسيد العرب الذي رغب في مصاهرته فرغب عنه، حيث تجنبت المرأة الكلام المباشر بأن استدرجت زوجها من خلال السؤال ليعترف بخطئه في صرف الرجل وحملته على التراجع عن قراراته .

ومن أمثلته أيضا:

«...قلت لسفيان: تكلم بشيء. قال: يا رابعة، لو دعوت الله في كشف هذه الكربة عنك، وتسهيل الأمر عليك. فتوجهت إليه، وقالت: يا سفيان، ألا تعلم أن هذا الوجع بإرادة الله

[1] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص188.

[2] - ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 241.

[3] - إبراهيم شمس الدين، المصدر نفسه، ج3، ص148.

تعالى؟ قال: نعم.إذن تعلم أنه إرادة الله، فكيف تقول أن ادعو الله ليفعل شيئا على خلاف مراده؟»[1].

والمثال عبارة عن محادثة بين رابعة العدوية وبعض زوارها حيث نلاحظ كيف تجنب سفيان الطلب المباشر والتقريري حين قال (لو دعوت الله في كشف هذه الكربة)، ما جعل رابعة تحذو حذوه بسؤالها غير المباشر عن إرادة الله وهي بذلك تعلم يقينا توجه المخاطب في الإجابة، ورغم ذلك تجنبت هي الأخرى الإجابة المباشرة بأن حملته على الاختيار. لتتحقق لدينا من خلال هذين المثالين قاعدة **لتجعل المخاطب يختار بنفسه**.

ت- قاعدة التودد:

"توجب على المتكلم أن يعامل المخاطب معاملة الند للند؛ ولا تفيد هذه المعاملة إلا إذا كان المتكلم أعلى مرتبة من المستمع أوفي مرتبة مساوية لمرتبته؛ ومتى قام المتكلم بشرط المعاملة بالمثل، مستعملا لذلك الأدوات والأساليب والصيغ التي تقوي علاقات التضامن والصداقة بينهما نحو ضمير المخاطب والاسم والكنية واللقب، أنس به المخاطب أنسا واطمئن اطمئنانا إلى ما يبديه المتكلم من ثقة وعناية"[2]

ونشير أن قاعدة التودد في المجالس النسائية هي الأخرى تبدو قليلة مقارنة مع خرق القاعدة ونورد لذلك مثالا:

« فلما دخلوا عليها قالت: مرحبا بكم، ما كنتم زوارا؛ فما الذي جاء بكم؟ قالوا: جئنا زوارا خطابا؛ قالت: أكفاء كرام ثم أنزلتهم وفرقت بينهم، وأسبغت لهم القرى، وزادت فيه.»[3]

[1] - فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص110.

[2] - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص241.

[3] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص143-144.

ولعلنا نتجاوز التعريف الموجود في القاعدة لنوسعها إلى خطابات الأبوة والبنوة حيث تعمل كلمات مثل (بني)، (أبي) ومشتقاتهما على خلق مساحة واسعة لخطاب التودد ومن مثل ذلك:

« قالت السيدة حفصة في مرض أبيها: يا أبتاه ما يحزنك وفادتك على رب رحيم، ولا تبعة لأحد عندك...»[1]

ولما قدم معاوية من الشام...دخل على أمه هند، فقالت له: يابني، إنه قلما ولدت حرة مثلك! ...»[2]

« أي بنية إن الوصية لو تركت لفضل أدب، تركت لذلك منك...»[3]

حيث نلاحظ أن هذه الألفاظ لا تعبر فقط عن العلاقات الأسرية القائمة بين المتحاورين في هذه المجالس وذلك أن مشتقاتها وتشكيلها في عبارات النداء تدل دلالة واضحة على الرغبة في التودد والتقرب من المخاطب. معلوم أن أوثق الصلات العاطفية الأسرية هي تلك التي تكون بين الآباء والأبناء ولذلك تكون الكنية في النداء محببة وتدل على قوة العلاقة بين أصحابها.

خرق القاعدة:

ومن أمثلته:

1- **« فقالت لها: يا هذه أخرجي عن مأتمنا فأنت أخت واترنا وشقيقة قاتلنا:...»**[4]

2- **« قالت: يا هذا كل هذا عنا غائب، ولكن ما الذي يحصل بأيدينا منك...»**[5]

3- **« فآلت ألا تزوج نفسها إلا من كريم، ولئن خطبها لئيم لتجدعن أنفه...»**[6]

---

[1]- أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، دط،القاهرة، 1908، ص30

[2]- ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص37.

[3]- إبراهيم شمس الدين ، قصص العرب، ج3 ، ص142.

[4]- المصدر نفسه، ص138.

[5]- ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ص67.

[6]- المصدر نفسه، ص 143.

ويتضح من خلال هذه الخطابات عدول النساء عن خطاب التودد فلفظ (**يا هذه**) و(**يا هذا**) ينم عن تعريض خفي بالحط من قيمة المخاطب ففي المثال الأول صدر الخطاب من أخت كليب المغدور قتلا إلى أخت القاتل جساس حيث تجنبت ذكرها باسمها دلالة على الحقد الذي كانت تكنه لها.

وفي المثال الثاني خاطبت الملاءة بنت زرارة بن أوفى الحرشي عبد المجيد بن سهل بن عبد الرحمن خال رسول الله باسم الإشارة بعد أن لمست فيه خروجه عن آداب المخاطبة والخطبة إذ "مد صوته بما يعتز به في نسبه ويراه شرف ستنبهر المرأة به وتنجذب إليه فكان الإحباط الأول أن نبهته بزجر أداته (يا هذا) ولم تناده باسمه"[1] كما نلمس الخطاب الجرئ والمباشر في المثال الأخير (**لتجدعن أنفه**) يدل دلالة واضحة على القيمة الاجتماعية التي كانت السيدة تضع نفسها فيها واستنكافها لسوء الأخلاق واللؤم. وقد ربطت كلمة **تجدع** بأداتي توكيد.

ننتقل بعد أن حللنا وناقشنا مبادئ المحادثات التداولية في المبحث الآتي إلى الأفعال الكلامية.

[1] - وسمية عبد المحسن المنصور، المرأة المحاورة، ص93-94.

المبحث الرابع: الأفعال الكلامية

"سلّم الفلاسفة والمناطقة لأمد طويل بأننا نستعمل اللغة لوصف الواقع، لذلك تظل الجمل خاضعة لمعيار الصدق والكذب، فتكون الجمل صادقة إذا طابقت الواقع، وكاذبة إذا خالفته غير أن واقع الحال يظهر أن عددا كبيرا من الجمل لا تخضع لمعيار الصدق ولا الكذب، كما لا تتوخى وصف العالم، بقدر ما تطمح لتغييره"[1] ويرى أوستين أن الأقوال اللغوية تعكس نمطا ونشاطا اجتماعيا أكثر مما تعكس أقوالا يتعاورها مفهوما الصدق والكذب الدارجين بين الفلاسفة الذين درسوا المعنى في إطار عرف بالمعنى القضوي (Propositional Meaning) للجملة التقريرية الخبرية"[2] وبذلك قال النحاة والبلاغيين أيضا فقد "بحثت نظرية الأفعال الكلامية في تراثنا العربي ضمن (نظرية الخبر والإنشاء) واشتغل ببحثها عدد كبير من العلماء"[3] وارتأوا أن الكلام في اللغة ينقسم إلى هذين القسمين.

1- الملفوظات التقريرية الوصفية (Constative Sentences Descriptive) :

وتكمن غايتها الكلامية في جعل المتكلم مسؤولا عن وجود وضع الأشياء واتجاه المطابقة في الغرض الإخباري هو من الكلمات إلى العالم (Word To World) أما الغرض الإنجازي[4] فيها فنقل المتكلم لواقعة ما من خلال قضية معينة وأفعال هذا الصنف كلها تحمل الصدق والكذب.

وتتمثل في المجالس النسائية أساسا في أفعال المقدمات والتي عادة ما تسبق المقاطع الحوارية مثل:

---

[1] - جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة، ط1، عمان، 2016، ص86-87.

[2] - محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية) دراسة النشأة والمفاهيم والمبادئ، مكتبة الآداب، دط، القاهرة، دت، ص97.

[3] - مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، ص06.

[4] - نبه أوستين إلى أن الملفوظات الوصفية هي بدورها تحمل فعلا إنجازيا مضمرا في حين يكون الفعل الإنجازي ظاهرا في الملفوظات الإنجازية. ينظر: جواد ختام المرجع نفسه، ص89.

أ- **أفعال القول والحديث والإخبار:** وهي التي تقدم راوي الخبر أو قائله ونمثل بمجلسين مجلس..... ومجلس هند بنت عتبة مع أبيها مثل:

«أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني الموصلي...»[1]

« وذكروا أن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت لأبيها»[2]

ب- **أفعال الكينونة:** وتجيء دائما بصيغة الماضي لأنها تقدم أحداثا مضت ومنها مجلسي جليلة بنت مرة وهو مجلس اجتماعي نثري ومجلس الخيزران السياسي:

«كانت جليلة بنت مرة أخت جساس... »[3]

«كانت الخيزران أم الهادي والرشيد...»[4]

ونجد أن هذه الأفعال ظاهرة متكررة كثيرا في هذه المجالس لكونها تدل على فعل الحكي والإخبار.

ت- **أفعال اللقاء والمجيء والذهاب والاجتماع:** وهي التي تصف بداية اللقاء والاجتماع في المجلس مثل:

«اجتمع نسوة من أهل المدينة من أهل الشرف فتذاكرن عمر بن أبي ربيعة...»[5]

«ونقل أنه جاء جماعة إليها على سبيل الامتحان...»[6]

والملاحظ أن كل النصوص النسائية مسيجة بالخطاب الذكوري الافتتاحي؛ ما يؤيد قطعا مفهوم أن المرأة لم تكتب نصوصها بل قالتها، وكتبها الرجل، وهذه ملاحظة تشمل كل

---

[1] - الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص244.

[2] - ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص34.

[3] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب،ج3، ص138.

[4] - المصدر نفسه، ص201.

[5] - الأصفهاني، المصدر نفسه، ج ، ص 121.

[6] - عطار، تذكرة الأولياء، ص109.

الخطابات القديمة التي كانت تستند على الشفاهية، مع وجود الكثير من النصوص التي قليت على لسانها أيضا.

2- الملفوظات الإنجازية:

أ- فعل القول (Locutionary Act):

ويورد **أوستين** في تعريفه بأنه " النطق ببعض الألفاظ والكلمات أي إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة متصلة على نحو ما بمعجم معين ومرتبطة به ومتماشية معه وخاضعة لنظامه؛ أي أنه يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي سليم، ينتج عنه معنى محدد"[1] وبتعريف آخر هو: " التلفظ بقول ما استنادا إلى جملة من القواعد الصوتية والتركيبية التي تضبط استعمال اللغة" [2]

ومن خلال هذا التعريف الأولي نستنتج أن الأفعال الكلامية هي مجموعة الأصوات العربية التي تنتظم في إطارها النحوي الذي يحدد سلامتها اللغوية، والمعلوم أن الجملة في اللغة العربية تتكون من اسم وفعل وحرف " أما الاسم فهو لفظ يدل على معنى غير مقترن بزمان محصل، وأما الفعل فهو لفظ يدل على معنى مقترن بزمان محصل، وأما الحرف فإنه لفظ يدل على النسب التي تكون بين الأسماء أنفسها ، وبين الأسماء والأفعال"[3] وتتركب الجمل من مسند ومسند إليه تركيبا اسميا أو فعليا ومن أمثلة ذلك في المجالس النسائية:

- **التركيب الاسمي:**

[1] - أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، دط، دب، 1991، ص116.

[2] - جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص90.

[3] - ينظر: أبو الوليد بن رشد، الضروري في صناعة النحو، تح: منصور علي عبد السميع، الصحوة للنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص105- 106.

أو الجملة الاسمية " وهي التي صدرها اسم"[1] نحو:

«هذا الأسود بن قنان، أخواله كعب، وأعمامه شيبان، صعلوك الحي في ماله، وسيدهم في حاله، وسندهم في فعاله، صدوق الجوار، وقود النار...»[2]

« ...فرس أبي خيفق، وما خيفق؟ ذات ناهق معرق، وشدق أشدق، وأديم مملق، لها خلق أشدف، ودسيع منفنف...»[3]

ومنها أيضا:

«...أنا شماس بن عباس، معروف بالندى والباس، حسن الخلق في سجية، والعدل في قضية، مالي غير محضور على القل والحضر...»[4]

نلاحظ في المثال الأول تعريفا ووصفا قدمته زوجة الأسود بن قنان بجمل اسمية قصيرة؛ وفي المثال الثاني تعداد لأوصاف الخيل في مجلس جمع بين نساء وصفن خيول آبئهن؛ وفي المثال الأخير تعداد لأوصاف خلقية وصف بها شماس بن عباس نفسه وافتخر بها.

ومن خلال ذلك يمكننا أن نستنتج أن التركيب الاسمي كما هو موضح من خلال هذه الأمثلة جاء في مواضع التعريف والوصف خاصة لأن الوصف لا يتطلب حركة وبالتالي تكون أغلب الجمل اسمية، كما أنه يرتبط أكثر بالمجالس السجعية لكونها تعتمد على الوصف والمفاضلة والعبارات الاسمية القصيرة.

- **التركيب الفعلي:**

أو الجملة الفعلية " وهي التي صدرها فعل والمراد بصدر الجملة الفعل والمسند إليه، فلا عبرة بما تقدم عليهما من الحروف والفضلات[1] وإنما قيد التعريف (بالفعل و المسند إليه)

[1] - فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، ط2، الأردن، 2007- 1427، ص157.

[2] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص214.

[3] - القالي، الأمالي، ج1، 187.

[4] - محمد بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والاسلام، ص88.

لأن من النحاة من عدّ (كان) وأخواتها (وظن) وما جرى مجراها قيد لا يدخل في باب المسند واعتبروها بذلك جملا اسمية لا فعلية[2]

«كانت جليلة بنت مرة أخت جساس زوجا لكليب بن ربيعة؛ فلما قتل جساس كليبا اجتمع نساء الحي للمأتم، فقلن لأخت كليب...»[3]

«فقالت له: يا ابن أبي ربيعة حتى متى لا تزال سادرا في حرم الله تشبب بالنساء وتشيد بذكرهن؟ قال: دعيني من ذلك واسمعي ما قلت:... »[4]

«بلغني أن جميلة قعدت يوما على كرسي لها وقالت لآذنتها: لا تحجبي عنا أحدا اليوم، واقعدي بالباب، فكل من يمر بالباب فاعرضي عليه مجلسي...»[5]

يعدُّ المثال الأول أنموذجا عن بنية استهلالية تؤطر المجلس وتقدمه وهو عبارة عن سرد للأحداث وفي المثال الثاني محاورة جمعت بين ليلى والشاعر بن أبي ربيعة ويجمع المثال الأخير بين السرد والحوار ؛ حيث نستنتج أن الجمل الفعلية تكون أكبر في مواضع سرد الأحداث والمحاورات. وبالتالي تكون التراكيب الفعلية أكثر في المجالس النسائية عموما وذلك لأنها تعتمد على السرد والحوار خاصة في المجالس النثرية في حين نجدها تكاد تتساوى في المجالس الأدبية السجعية والنقدية التعليمية التي تعتمد على الحوار والوصف.

ب- الفعل المتضمن في القول(Illocutionary Act) :

ويراد به القصد الذي يرمي إليه المتكلم من فعل القول، كالوعد والأمر والاستفهام والتحذير...[1] "فاللغة تشمل على أسئلة وعبارات تعجب وأوامر وتعبيرات خاصة بالأمنيات

---

[1] - فاضل السامرائي، الجملة العربية، ص157.

[2] - ينظر، فاضل السامرائي، المرجع السابق، ص 158.

[3] - إبراهيم شمس الدين،قصص العرب، ج3، ص138..

[4] - الأصفهاني، الأغاني، ج ، ص119.

[5] - المصدر نفسه، ج8، ص224.

والتطلعات وعبارات الترهيب والترغيب والتشجيع..."[2] وتنقسم هذه الأفعال الانجازية بدورها إلى مجموعة من الأقسام:

- **الأمريات والوعديات:**
- **أفعال الأمر:**

ومن أكثر أفعال الأمر المتكررة في المجالس النسائية نجد **(هات)** و**(أنشدني)** و**(اسمعي)** و**(أسمعني)**... وذلك لأن أغلب المجالس الشعرية النقدية و الحوارية تعتمد على طلب إنشاد الشعر أو تأدية الغناء كما نجد أيضا وبنسبة أقل أفعالا تدل على المنح والعطاء مثل **(أعطوه)** ومشتقاتها.

أما في المجالس النثر بكل أنواعها فإضافة إلى تكرار فعل الأمر **(اسمع)** وأبنيته المختلفة نجد أيضا أفعالا مثل **(أدخلي)** و**(ادعي)** و**(انصرف)** على أن هذه الأفعال غالبا ما تكون موجهة من السيدات إلى الجواري كما نلاحظ تكرارها أكثر في مجالس الخطبة. كما قد تأتي في معرض التوسل مثل:

« يا أبت، اعهد إلى خاصتك، وانفذ رأيك في عامتك، وانقل من دار جهازك إلى دار مقامك...»[3]

كما أنها في كثير من المقامات لا تخرج عن معناها الأصلي:

« زوجني على قدري ولا تشطط في مهري..»[4]

وتحمل كل هذه الأفعال كما هو واضح قوة الفعل وتدعو إلى تغير في الحال التي يكون عليها المخاطب، وإلى الإتيان بالحركة المطلوبة. ولذلك تصنف ضمن الأفعال الإنجازية التي تؤدي إلى تغيير في العالم المحيط ولا تعتبر وصفا له وحسب.

---

[1] - جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص90.

[2] - محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية، ص97.

[3] - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص187.

[4] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، 136.

- **أفعال الاستفهام:**

وهو في الأصل نوع من الطلب، يتعلق بحالة معينة للمتكلم (الجهل بأمر يطلب تحصيل العلم فيه)[1] وأفعال الاستفهام في حوارات النساء في المجالس كثيرة جدا حتى لا يكاد يخلو منها مجلس، حيث تعمل أفعال الاستفهام على فتح أبواب الحوار وإثراء المحاورة وهي تعمل على استنطاق المخاطب واستدراجه وتخرج أفعال الاستفام في كثير من المواضع عن غرضها الأصلي إلى أغراض بلاغية أخرى.

ومنها:

1- **«أيكم الفرزدق؟ فقال: هأنذا، قالت: أنت الذي تقول:...؟»**[2] و الاستفهام في هذا المثال واضح ومباشر ولا يخرج عن غرضه الأصلي

2- **« أفتريد أن تزوج بناتك؟ قال: نعم، قالت: فإذا لم تزوج سيد العرب فمن؟»**[3]

3- **«خرج الفرزدق حاجا؛ فلما قضى حجه عدل إلى المدينة، فدخل إلى سكينة بنت الحسين، فسلم، فقالت له: يا فرزدق، من أشعر الناس؟»**[4]

ت- الفعل الناتج عن القول (Perlocutionqry Act):

"وهو الأثر الذي يحدثه فعل القول التحقيقي في السامع أو المتلقي. ولا تظهر وظيفته في الكلام، إنما تخضع لمقامه (عناصر الموقف)، كأن نعمل على إقناع المستمع أو التأثير فيه"[5] وقد تحمل بعض الأقوال دلالة الغضب أو الاستغراب أو الاحتقار...

[1] - نواري سعودي، في تداولية الخطاب الأدبي، ص89.

[2] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص189.

[3] - المصدر نفسه،ص149.

[4] - المصدر نفسه، ص193- 194.

[5] - نبيل أيوب، النقد النصي وتحليل الخطاب، ص241.

- **الافتخار والاستصغار: «ما أحب بأبي بدلا ولو شئت لقلت فصدَقْتُ وصُدِّقْتُ»**[1]

والخطاب لبنت عبد الرحمن بن الحارث قالته في مجلسها مع زوجها وضرائرها مفاخرة بأبيها ومستصغرة لمن حولها في محاولة لكسب ميل زوجها من خلال ذكر أمجادها ونسبها وإن لم تذكر ذلك مصارحة ولكن المعنى يستشف من السياق والمقام.

- **الاحتقار: «أحسن عندكم ما قال؟...»**[2]

تطرح السيدة سكينة هذا السؤال في معرض نقدها لبيت شعري للحارث بن خالد فعجبت لاستحسانهم إياه وجاء سؤالها في معرض تحقير واستصغار ما أنشدت مع تعليل نقدها بما يناسب.

- **التوبيخ: «قالت: نعم، وهكذا، أَطَلَعَ دعوى أنا ربكم الأعلى من جيب أحد من النساء؟ وما صارت واحدة من النساء مخنثة، فإن الخنوثة في الرجال»**[3]

وفي هذا المثال الأخير تتوقف السيدة رابعة العدوية متحدية لمجموعة من الرجال أتوها مختبرين مفتخرين بكون الله عز وجل اختص النبوة والرسالة بالرجال دون النساء، فوجهت حديثها موبخة إياهم بذكر حادثة تاريخية وسلوك لا يصدر إلا عن الرجال أيضا.

- **الغضب: «وأتاه الحجاج فحجبته ثم أدخلته ولم تأذن له في القعود، فلم يزل قائما...»**[4]

---

[1] - ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص49.

[2] - الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص227.

[3] - عطار، تذكرة الأولياء، ص109.

[4] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص189.

ونميز في هذا الخطاب الغضب الذي كانت عليه أم البنين بنت عبد العزيز من خلال الفعل الناتج عن قولهم (**فحجبته**)...(**ولم تأذن له في القعود**)، وإنما لا يؤذن بالقعود لأشخاص أساؤوا التصرف في الغالب فكان الأمر أشبه بعقاب سلطته على الحجاج.

- **الحزن والندم: « ثكل العدد، وحزن الأبد، وفقد حليل وقتل أخ عن قليل، وبين ذين غرس الأحقاد، وتفت الأكباد»**[1]

ويكشف هذا النموذج عن حرقة شديدة شعرت بها جليلة بعد أن طردت من مجلس مأتم لقرابتها من القاتل، فكان هذا الخطاب الذي ينم عن حزنها ووجعها بالأحداث التي وقعت والتي ستقع يتضح ذلك من قولها غرس الأحقاد وتفتت الأكباد.

[1] - إبراهيم شمس الدين، المصدر السابق، ص138.

خلاصة:

حددنا من خلال هذه الدراسة التحليلية في هذا الفصل المقصديات التي توختها النساء في لقاءاتها؛ وقد وجدنا أن المرأة تسعى حثيثا إلى الجانب التثقيفي والتهذيبي وكذا التوجيهي من خلال مجالسها النقدية والتعليمية بكل أنواعها. كما يتضح جليا الهدف الإيماني العميق في المجالس الدينية والصوفية.

كما نجدها سباقة إلى إبراز دقة فائقة في المفاضلة والتمييز بين مختلف الأشياء المادية والمعنوية مظهرة بذلك تفوقها في وضع اللفظ الدقيق للمعنى المناسب في المجالس الأدبية كما لاحظنا جليا أنها تستمتع باستحظار الشعراء واستنشادهم وغالبا ماكانت مقاصدها من الاجتماع ذكر الشعر ودعوة الشعراء وهي تروم بذلك إضفاء الأنس والتمتع بجماليات الشعر وفنياته.

أما في المجالس الاجتماعية فقد كانت مقصدياتها تختلف من مجلس إلى آخر بحسب طبيعة المجلس وموضوعه فقد لاحظنا أنها اجتمعت في المآتم واجتمعت لاختيار الزوج المناسب واجتمعت للأنس مع رفيقاتها فتعددت بذلك المقاصد وتنوعت المقامات التواصلية.

وقد أدى ذلك بالضرورة إلى تنوع أطراف الحوار من مخاطب ومخَاطب وتنوع الحاضرين والمستمعين والمشاركين في الحوارات. حيث نجد أن المحاورة في المجالس التعليمية والنقدية تستأثر على مجل الحوار كما توجهه بحسب ماتراه مناسبا للمجلس باعتبارها المعلمة أو الناقدة والموجهة. في حين تكون أدوار الحوار متساوية في المجالس الاجتماعية غالبا وذلك لعدم وجود فعل قيادي توجيهي وتكون النساء في ذلك متساويات في تبادل الحديث.

وفيما يتعلق بالمبادئ التداولية لاحظنا أن المرأة في حواراتها عموما التزمت بالقواعد العامة للحوار و خاصة فيما يتعلق بمبادئ التعاون في حين نلمس خروقا عديدة لمبادئ التأدب واعتبار جانب التهذيب إذ تميل المرأة إلى خرق هذه القواعد وذلك راجع إلى القيمة

الاجتماعية والسلطوية التي كانت المرأة تتمتع بها ما جعلها لا تتورع عن الخطاب المباشر والتصريحي.

وفيما يخص الأفعال الكلامية فقد تنوعت بين الأفعال الوصفية والتقريرية والانجازية وقدمت لنا الوصفية منها المجالس فجاءت أفعالها وصفا للمجلس وأصحابه لتليها بعد ذلك الأفعال الانجازية التي انقسمت إلى أفعال قولية تمثلت في تراكيب اسمية وفعلية؛ والأفعال المتضمنة في القول التي تفرعت إلى أمريات ووعديات، ثم عرجنا بعد ذلك إلى الأفعال الناتجة عن القول فوجدنها أيضا تتنوع بحسب المقامات المختلفة للمجالس النسائية.

الفصل الثالث:

حجاجية القيم والجماليات الفنية

تمهيد :

يسوقنا الحديث في هذا الفصل صوب المحمولات الحجاجية، التي حبلت بها الخطابات النسائية في مجالسها، وسنعالج ذلك من خلال قسمين؛ الأول منهما متعلق بالجانب القيمي، و مدى تأثير هذه القيم في إقناع متلقي الخطاب بوجهة نظر المخاطب، ونشير إلى أن هذه القيم تنقسم بدورها إلى قيم مادية ومعنوية، والثاني ينظر في الجماليات الفنية للخطاب باعتبارها مكونا من المكونات الإقناعية الفاعلة. وقبل ذلك نقف عند مفهوم القيمة.

المبحث الأول: أحكام القيم

جاء في تعريف القيمة في لسان العرب لابن منظور قوله :"القيمة واحدة القيم وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء والقيمة ثمن الشيء بالتقويم"[1] "والقيمة بالكسر واحدة القيم وماله قيمة إذا لم يدم على الشيء (...) واستقام اعتدل عدلته فهو قويم مستقيم"[2] يقول الله سبحانه وتعالى: "﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿40﴾ ﴾ (سورة يوسف، آية40)

ويقول أيضا: ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿3﴾ ﴾ (سورة البينة، آية 03.) وعليه فإن مفهوم القيمة لغة من ثمن الشيء ماديا ومعنويا وقيمة بمفهوم الاعتدال والتقويم .

وأما اصطلاحا فهي "مجموعة المواقف والسلوك والأهداف العليا المعتمدة من جماعة مدعومة بثقافة المجتمع وعرفه وعاداته، معبرة عنها بالصفات أو السلوك بشكل معين وواضح، أحيانا تكون غامضة ومختلطة يصعب معرفتها وقياسها، أي هي القواعد الأساسية أو المعايير التي من خلالها يعمل أبناء المجتمع[3] كما عرفت بكونها "مجموعة من

[1] - ابن منظور، لسان العرب، م3،مادة قوم.

[2] - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة قوم.

[3] - عبد السلام الجعافرة، مناهج اللغة وطرق تدريسها، مكتبة المجتمع العربي، دط، عمان، 2011، ص99.

الاتجاهات المعيارية المركزية لدى الفرد في المواقف الاجتماعية تحدد له أهدافه العامة في الحياة، والتي تتضح من خلال سلوكه"[1]

ترتبط القيمة بالمجتمع في التعريف الأول؛ بحيث تكون هذه القيمة سلوك أو صفة يعمل بها الفرد ولكن منشئها اجتماعي وجماعي، يتواضع عليها أفراد المجتمع ككل ويلتزم بها الفرد، في حين نجد أن التعريف الثاني قد قصر هذه القيمة على الفرد وسلوكه اتجاه هذه المجتمعات، وارتبطت هذه التعريفات كما هو واضح بالجانب المعنوي أكثر خلاف ما نجده في التعريف المعجمي، ذلك أن القيمة مع تطور المفاهيم الإنسانية وعمقها صارت مصطلحا يعبر به عن هذا الجانب أكثر وأصبح الميل إلى استعمال الثمن في القيمة المادية.

كما كانت أحكام القيم من أهم المبادئ الحجاجية حيث يلجأ إليها المحاجج وفي ذهنه أن هذه القيمة حجة له يدعم بها خطابه ويؤثر على المتلقي خاصة إذا كانت هذه الحجة اجتماعية متواضع عليها فهي بذلك تمنح خطابه المصداقية والتأثير.

ومن أهم منطلقات الحجاج عند شاييم بيرلمان ما اصطلاحنا عليه بأحكام القيم "ويسوق في بداية حديثه عن القيم، تعريفا للويس لافيل (Louis Lavielle) يعتبر فيه أن لفظة «قيمة» تنطبق حيثما نكون أمام قطيعة مع اللامبالاة أو مع التسوية بين الأشياء، وحيثما ينبغي وضع شيء قبل آخر أو فوقه ، وحيثما يحكم على شيء بأنه أسمى من آخر ويستحق أن يفضل عليه لكن بيرلمان يعتبر أن هذا التعريف يصلح بالخصوص للتراتبيات حيث تكون العناصر المتراتبة مذكورة بالحرف ويؤكد أن القيم تسجل عادة ، موقفا إما مع ما ترفع من شأنه أو ضده أو أنها تقوم تغض منه دون مقارنته بشيء أخر"[2] كما جاء في تعريفها أيضا بأنها " عناصر حجاجية وأسس إقناعية تعبر عن موقف اتجاه الوجود والكائن على السواء، وموضع اتفاق وتسليم؛ إذ لا خلاف -غالبا- حول مضمونها ومكانتها،

[1]- محمد الجزار، القيم في تشكيل السلوك الإنساني، مركز الكتاب للنشر، ط1، القاهرة، 2008، ص95.

[2]- الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2014، ص45.

بحيث تحمل المخاطب على القيام بأفعال معينة بدل أخرى، وتبررها بطريقة تجعل هذه الأفعال مقبولة ومؤيدة من طرف الآخرين"[1]

إن أحكام القيمة هذه التي تحمل بعدا حجاجيا قد تكون محل خلاف؛ إلا أن ذلك لا ينفي وجود أحكام كونية تقع في دائرة الاتفاق ولو نسبيا، فلا يمكن أن يكون العدل قيمة غير مرغوبة أو مختلف فيها، وعليه فأحكام القيمة تختلف من أحكام نسبية وأخرى ثابتة، وهذا ما نلمسه في هذه المجالس النسائية حيث تنقسم أحكام القيمة إلى هذين القسمين يتضح لنا ذلك جليا من خلال الأمثلة التي سنتناولها من خلال الآتي:

1- أحكام القيم النقدية:

تعتمد أحكام القيمة في المجالس النقدية على الذوق والجمال، وقد ذكرنا سابقا أن الأحكام النقدية في بداياتها كانت انطباعية، وهذا من شأنه أن يضعنا أمام أحكام نسبية، إذ لامناص من الاختلاف باعتبار اختلاف الأذواق، غير أن هذا لا ينفي وجود أحكام أخرى ثابتة ومتفق عليها، خاصة تلك الأحكام التي يسندها الواقع أو تتكئ على مواضعات لغوية، ومما جاء في مجالس جميلة قولها:

« ...كلكم محسن وكلكم مجيد في معناه ومذهبه...»[2]

فقد حكمت جميلة بالإحسان والإجادة لكل مغني ولكنها ربطت هذا الإحسان بالمعنى والمذهب، أي أن ابن سريج مثلا محسن ولكن في إطار المعنى الذي جاء به والمذهب الذي يتمذهب به والغناء مذاهب ومواهب، فأصبحت القيمة هنا كما هو واضح مرتبطة بالتوجه ولا فضل، لمغني على أخر.

كما نلاحظ أيضا أن السيدة سكينة قد أطلقت أحكامها النقدية من منطلق ما ينبغي أن يكون، ففي مجالسها النقدية ربطت بين قول الشاعر والقيمة المتفق عليها اجتماعيا أو

[1]- هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي، ص180.

[2]- الأصفهاني، الأغاني، ج8 ، ص194.

عاطفيا حيث نعلم أن سكينة كانت تقف على نقد أبيات غزل عند الشعراء وتقوم بالتصحيح والتنبيه إلى ما تعارض مع ما هو مألوف أو ما ينبغي أن يقال.

تقول السيدة سكينة في اخر مجالسها:

«أليس صاحبك الذي يقول:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام**

وأي ساعة أحلى من الزيارة بالطروق! قبح الله صاحبك وقبح شعره فهلا قال: فادخلي بسلام»[1]

والملاحظ أن السيدة بنت حكمها النقدي بالقياس إلى القيمة العاطفية، فأي حبيب يزور حبيبه وقت الطروق فالأجدر أن يستقبله بالفرح والسرور وليس بالنقيض، من ذلك كما أورد الشاعر.

وقالت في نفس المجلس لرواية جميل:

« فلو تركت عقلي معي ما طلبتها* ولكن طلابها لما فات من عقلي**

فما أراه هوى وإنما طلب عقله،قبح الله صاحبك وقبح شعره»[2].

حيث رأت في هذا البيت إخلالا بالمعنى الصحيح والتعبير الدقيق، عن حبه وهيامه بأن جعل طلبه إياها بسبب فقد عقله، ولو أن عقله بقي معه لما طلبها وهذا في تقدير الناقدة يخل بجمال التعبير وصدقه العاطفي، وهذا ما سمي في النقد العربي بمبدأ اللياقة والجودة المثالية، إذ طرح هذان المبدآن كمرجعين أساسين للنظر في قيمة الشعر ومدى مطابقته للجمال والواقع.

وبالقياس إلى القيم النقدية نجد قيما تعليمية في المجالس النثرية التعليمية من مثل الوصايا ومجالس الوعظ والإرشاد.

2- أحكام القيم الاجتماعية:

[1] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص147.

[2] - المصدر نفسه.

تعكس شبكة القيم الأخلاقية نمط التفكير لدى المجتمع العربي في الحقب القديمة إذ تواضع على مجموعة منها شكلت أنموذجا متفردا وكونت مثالا للإنسان السوي الذي ينصهر في بوتقة المجموعة وبمصطلح أكثر دقة في المجتمع القبلى، حيث يعتبر الانتساب إلى القبيلة توطين للفرد في إطار الجماعة كما أنه نسق اجتماعي يدعي لنفسه قيمة أخلاقية ومعنوية تخصه وتميزه، ويستحيل عليه أن يتصور وجود هذه المزايا خارج هذا النسق. وكل من هو خارج النسق فهو فاقد لهذه المزايا[1] ولا يختلف اثنان على أن بعض هذه القيم الأخلاقية قد اختلفت من عصر إلى آخر خاصة مع ظهور البعثة المحمدية التي رفضت وغيرت الكثير منها. كما أن بعض الأخلاق تعتبر مما يُتفق عليه في كل المجتمعات دون استثناء وتمتد من العصر الجاهلي إلى العصور التي تلي.

وفيما يخص المرأة فقد تواضعت النساء العربيات على مجموعة من القيم التي نظمت حياة المرأة، وجعلت شخصيتها متفردة، حتى أصبحت هذه القيم حجة خطابية تستغلها النساء لتحاجج بها وتمنح خطابها المصداقية والتأثير، وشخصيتها الحضور والقوة.

أ- قيمة الكرم والإكرام والإجارة:

وتعدّ من أهم القيم التي أُثرت عن الأخلاق العربية ككل؛ إلا أن ما يذكر دائما من أمثلة كانت تبرز لنا كرم الرجال خاصة، وكثيرا ما أغفل دور المرأة في هذا المجال نقدم من خلال الأمثلة التالية من خلق الكرم والإكرام لدى المرأة العربية:

1. **«...وأحضر الغداء فتغدى القوم بأنواع من الأطعمة الحارة والباردة ومن الفاكهة الرطبة واليابسة، ثم دعت بأنواع من الأشربة ..»**[2].
2. **« فدخل النسوة عليها فأمرت لهن بكسوة وألطاف كانت قد أعدتها لمن يجيئها فجعلت تخرج كل واحدة ومعها جاريتها ومعها ما أمرت به عائشة.....»**[3].

---

[1]- عبد الله الغذامي، ثقافة الوهم، ص174.

[2]- الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص208.

[3]- المصدر نفسه، ج2، ص 248 .

3. **« فقالت سكينة: أحسنت والله وأحسن ابن أبي ربيعة لولا أنك سبقت فغنيته عمر قبلنا لأحسنا جائزتك. يا بنانة أعطيه بكل بيت ألف درهم »**[1]

وهذا بعض مما ورد في الكرم النسوي سواء في المجالس النقدية أو في المجالس الاجتماعية، فقد أكرمت المرأة العربية ضيوفها بما طاب من الأطعمة والهدايا ، كما أجزلت العطاء للشعراء والمغنين ولكل من لبى دعوة مجالسها، وخاصة إذا كانت هذه المرأة من بنات الملوك والأمراء وأصحاب البلاط، حيث يزداد الكرم بذخا وفي كثير من الأحيان كان هذا الكرم بسبب الإعجاب بشعر شاعر أو أداء مغني وكان هذا العطاء تقليدا درج عليه العرب في القديم وإقرار ابقيمة ما يُنشد.

كما كانت الإجارة شكل من أشكال الكرم والحضور القوي؛ حيث يكون للمجير قوة حماية وردع، وحضور في قومه وعشيرته، و لا يجير إلا من يدرك أن لإجارته قبولا لدى الجميع ونزولا عندها، إذ لا يستطيع أن يتجرأ بالإساءة للمستجير أو التعرض له، كما كان للمرأة دور في الإجارة أيضا نمثل لذلك بـ:

«قالت إحدى النساء لمستجير حل ديارهم : لقد ترجم لسانك عن ذنب عظيم وقلب صغير، وأيم الله لقد حللت بفناء رجل لا يضام بفنائه أحد ولا يجوع بساحته كبد ... فقالت: يا خادم مولاك! فلم تلبث أن جاءت وهو معها في جماعة من قومه، وقال : أي المنعمين علينا أنت؟ فسبقتني المرأة وقالت: هذا رجل نبت به أوطانه، وأزعجه زمانه، وأوحشه سلطانه، وقد ضمنا له ما يضمن لمثله على مثلك، قال: بل الله فاك...»[2].

ب- قيم اختيار الزواج:

تتمظهر في هذا الجانب قيم اختيار الزوج التي كانت المرأة على أساسها تختار الرجل المناسب، من منطلق القيم التي تؤمن بها وتراها مناسبة فيمن تختاره، وتعدّ قيما نسبية

[1]- الأصفهاني، الأغاني، ج 7 ، ص247.

[2]- إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، 214.

تختلف من امرأة إلى أخرى نمثل بذلك من خلال نماذج من مجالس النساء الاجتماعية في الخطبة:

1. **« خطب إلى أعرابي رجل موسر إحدى ابنتيه وكان للخاطب امرأة فقالت الكبرى: لا أريده! قال أبوها: ولم؟ قالت: يوم عتاب ويوم اكتئاب، يبلى فيما بين ذلك الشباب!**

قالت الصغرى: زوجنيه! قال لها : على ما سمعت من أختك؟ قالت : نعم يوم تزين ، ويوم تسمن، وقد تقر فيما بين ذلك الأعين »[1].

2. **« أما أنت يا زيد فقد وترت العرب وبقاؤك مع الحرة قليل وأما أنت يا أوس فرجل ذو ضرائر والدخول عليهن شديد، وأما أنت ياحاتم فمرضي الأخلاق محمود الشيم ، كريم النفس ، وقد زوجتك نفسي»**[2].

3. **« قال لها : لعلك تكرهين ما ترين من شيبي؟ قالت : والله يا أمير المؤمنين إني من نسوة أحب أزواجهن إليهن الكهل!....»**[3].

4. **«...فقالت الكبرى:**

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى* حديث الشباب طيب الريح والعطر**

لبيب بأدواء النساء كأنه * خليفة جان لا ينام على وتر**

قالت الثانية:

ألا ليته يملأ الجفان لضيفه * له جفنه يشقى بها النيب والجزر**

له حكمات الدهر من كبـرة * تشين ولا الفاني ولا الضرع الغمر»**[4].

وبتحليل هذه النصوص نجد أن هناك اختلافا في القيم التي ترومها المرأة في الزواج واتفاقا في البعض الأخر، حيث يكون الكرم معيارا متفقا فيه كقيمة أخلاقية متجذرة في النفس العربية فاتخذته المرأة معيارا في الانتقاء وأدرجته في نثرها وفي نظمها لتدل بذلك

[1]- ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص84.

[2]- إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص147.

[3]- ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ص42.

[4]- الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص89.

على محمدة الكرم، في حين اختلفن في الرجل ذو الضرائر (قالت الصغرى زوجيه..) (فرجل ذو ضرائر والدخول عليهن شديد) كما اختلفن في الشباب والكهول، والبدوي والحضري...وقد كانت المرأة في كل ذلك تورد هذه القيم في خطاباتها سواء كانت هذه الخطابات موجهة مباشرة إلى الخاطب أو إلى الوسيط ولم تكن تكتفي بالرفض أو القبول وفقط؛ ولكن تحتج بما تراه مناسبا .

في حين تنعكس القيم في مجلس بنات أوس، من أخلاق ترومها في الرجل إلى قيم في أنفسهن، رأين أنها لا تتلاءم مع الخاطب نختصرها في النقاط الآتية:

1/ في وجهي ردة، وفي خلقي بعض العهدة.

2/ إني خرقاء، وليست بيدي صناعة.

فقد عدّت الأولى القبح الذي فيها والعيب الخلقي، حجة كافية لرفض الحارث ولم تتردد في الإفصاح عن ذلك أو الجهر به، في حين رأت الثانية أن عدم إتقانها لصنعة والخرق سببان كافيان للتردد في قبوله، في حين وافقت الأخت الصغرى عليه وقد جمعت في نظرها بين الجمال والصناعة والخلق الكريم، حيث قالت:

« فقال لها كما قال لأختيها، فقالت:أنت وذاك فقال :قد عرضت ذلك على أختيك فأبتاه فقالت ولم يذكر مقالتيها: لكني والله الجميلة وجها، الصناع يدا الرفيعة خلقا الحسيبة أبا ،فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير»[1].

ت- قيمة النسب والجوار:

لم تحتف أمة من الأمم القديمة بالنسب والانتماء للعرق كما احتفت به القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية، إذ كانت تعدّ أن الانتماء فخر وقوة، وكانت القبائل تفاخر

[1]- إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص149.

بعضها بعضا في عراقة النسب والعرق وقد اعتبر كل من يخرج عن نظام القبيلة صعلوكا يطرد من القبيلة ويصير منبوذا، وبالرغم من أن الإسلام جاء ليلغي هذه العصبية القبلية إلا أننا نشهدها وقد عادت بقوة، خاصة في العصر الأموي وبقي للنسب قيمة اجتماعية يحتكم إليها البعض وقد اتخدته كثير من النساء حجة قيمية فخرن به وبانتمائهن.

وقد قالت إحداهن وهي في مجمع نساء استجار بهن مطلوب:

«... وأيم الله لقد حللت بفناء رجل لا يضام بفنائه أحد، ولا يجوع بساحته كبد، هذا الأسود بن قنان ،أخواله كعب وأعمامه شيبان»[1]

فحين أرادت المرأة أن تبين قيمة زوجها استحضرت نسبه من الأخوال والأعمام ولم تكتف بذكره فقط.

كما اجتمعت عقائل الوليد يوما ففخرن بآبائهن:

« وقالت بنت سعيد بن العاص،أما كنت أرى أن للفخر علي مجازا ،وأنا ابنة ذي العمامة، إذا لا عمامة غيرها!

وقالت بنت عبد الرحمن بن الحارث : ما أحب بأبي بدلا ولو شئت لقلت فصدقت وصدقت»[2].

ومن النماذج التي تبين بوضوح اعتزاز المرأة بقيمة النسب وتوظيفها لها في خطابها لتحجاج بها وتفاخر ؛ فخر "قريبة" بأهلها وقد جاء في خبرها:

« وعن العتبي قال : خطب قربية إبنة حرب أخت أبي سفيان بن حرب أربعة عشر رجلا من أهل بدر فأبتهم وتزوجت عقيل بن أبي طالب

قالت: إن عقيلا كان مع الأحبة يوم قتلوا وإن هؤلاء كانوا عليهم !

ولاحته يوما فقالت: يا عقيل أين أخوالي؟ أين أعمامي ؟ كأن أعقانهم أباريق الفضة !

قال لها : إذا دخلت النار فخذي على يسارك»[3].

---

[1]- إبراهيم شمس الدين، المرجع السابق، ص214.

[2]- ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص49.

[3]- المصدر نفسه، ص69.

فبالرغم من دخول «قريبة» الإسلام؛ الدين الذي يدعو إلى ترك العصبية والافتخار بالأنساب والأعراف وأذاب كل ذلك في بوتقة الدين والأمة الواحدة إلا أن ذلك لم يؤثر عليها وجعلها تستذكر أعمامها وأخوالها الكفار وتفاخر بهم وتمدحهم.

كما تعتز المرأة العربية بالشرف، وبحفظها النسب، لكون ذلك مما يعلى مقام الأهل والأقرباء، ويعزز مكانتها ومكانة أبنائها في قومها، ومثال ذلك ما قالته الخنساء بنت عمرو السلمى:

«يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين و والله الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم....»[1].

وبهذه الكلمات استطاعت المرأة أن تشحذ همم أبنائها، وتحملهم على الجهاد في سبيل الله والاستشهاد، حيث كان هذا الخطاب المرصع بحجج الشرف والنسب دافعا معنويا لأولادها للإقبال على الحرب والذود عن حمى الإسلام.

3- أحكام القيم الدينية والسياسية:

ونستخلص من المجالس الدينية النسائية مجموعة من الأحكام العقدية؛ فقد ثبتت المرأة وبايعت واستسلمت وأسلمت وارتقت إيمانيا، كل ذلك تجسد قيما في خطاب المرأة ومحاوراتها الدينية ونمثل لذلك بـ:

« قال مسمع: ذهبت إلى رابعة وقت العصر، وكانت تريد طبخ طعام، وقد وضعت القدر على الأثفية، وصبت فيه الماء، واشتغلنا بالحديث، وبقينا إلى المغرب وتركت الطبخ، وقالت: الحديث خير منه...»[2]

[1]- عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب، المطبعة الأميرية،ط1، القاهرة، ج1، 395.

[2]- العطار، تذكرة الأولياء، ص112.

حيث أسقطت القيمة الدينية في هذه المحاورة كل ما عداها من القيم الأخرى، وارتفعت السيدة رابعة العدوية من شهوات الإنسان وحاجاته البيولوجية إلى قيمة دينية و جعلت من الحديث في أمور الدين خير من أي شيء آخر.

وفي مجلس آخر:

«...وقيل لها: ألا ترين ابنك طليبا قد صير نفسه غرضا دون محمد؟ فقالت: خير أيامه يوم يذب عن ابن اخيه وقد جاء بالحق من عند الله فقالوا : ولقد تبعت محمدا؟ فقالت: نعم...»[1]

تقررت الخيرية في الدفاع عن الدين وعن الرسول ﷺ ولم تمنعها عاطفة الأمومة من أن تدافع عن خيار ابنها في الذود عن الدين، لأنها تقرر احتجاجا بأنه الحق من عند الله عز وجل، كما لم يمنعها الخوف من ردة الفعل الاجتماعية من إتباع الدين الجديد.

كما قد تتعارض القيمة الاجتماعية مع القيمة الدينية، فتزيح إحداهما الأخرى كما في المثالين:

«...فقالت: أنظر ما يصنع أخواتي ثم أكون إحداهن، قال: فإني أسألك بالله إلا أتيته فسلمت عليه وصدقته وشهدت أن لا إله إلا الله فقالت فإني أشهد أن لا إليه إلا الله ...»[2].

وفي المثال الآخر:

«...فقال مصعب: يا أمة إني لك ناصح، عليك شفيق فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، قالت: والثواقب لا أدخل في دينك فيزرى برأيي ويضعف عقلي»[3].

وفي كلا المجلسين حوار بين أم وابنها كما نلاحظ سرعة استجابة الأم في المثال الأول لدعوة ابنها للدخول في الإسلام، رغم إقرارها "بتشكلها في منظومة تحترم تضامنها ولا تريد

[1]- ابن سعد، الطبقات، ج3، 123.

[2]- المصدر نفسه، ج3، 123

[3]- -المصدر نفسه، ج3، ص119.

لمجموعها انخراما (أنظر ما يصنع أخواتي) "[1] ونلاحظ موقف الثبات على دين الآباء والأجداد في النموذج الثاني، وإقرار بالتمسك بالقيم الاجتماعية الحاصلة، والارتياب من الجديد، الذي ينظر إليه على أنه طعن في الأواصر ، وسبيلا لبت العلاقات الاجتماعية وانصرامها.

وتعلو القيم السياسية والسلطوية على غيرها؛ إذا ارتبطت مصلحة المرأة بالمصلحة السياسية، وقد لا حظنا هذا التوجه لدى بعض النساء الحاكمات من مثل ماوقع في مجلس (الخيزران) التي رفعت قيمة السلطة على القيم الأمومة الفطرية؛ حين لم تتأثر بخبر وفاة ابنها، ورأت في ذلك مصلحة لها وامتدادا لسلطتها من خلال ابنها الآخر هارون الرشيد:

«دخلت عليها جاريتها وهي جالسة بين الهاشميات فقالت لها: ياسيدتي لقد مات موسى، فقالت الخيزران: إن مات موسى فقد بقي هارون، ثم دعت بسويق فشربت وسقت ضيوفها، وطلبت مبلغا من المال فوزعته عليهن كأن بشارة زفت لها»[2].

4- قيم المفاضلة (مواضع الأفضل):

ويسوقنا الحديث عن حجاجية القيم إلى التعريج إلى مواضع الأفضل، ويمكن أن نميز بخصوصها ما نعته القدماء، خاصة أرسطو بالمواضع المشتركة، إثباتات عامة جدا تتعلق بما يفترض أنه أكثر قيمة في أي ميدان كان، أما المواضع الخاصة فتتعلق بما هو أفضل في مجالات خاصة[3].

وإذا عدنا إلى المجالس النسائية نجد أن المفاضلة هي شريان هذه المجالس - إن صح التعبير- لكونها الأكثر عددا فيما استطعت جمعه من هذه المجالس، ومن أكثر المواضيع التي فاضلت فيها المرأة نذكر الأمثلة التالية:

---

[1]- وسمية عبد المحسن، المرأة المحاورة، ص86.

[2]- الطبري، تاريخ الأمم و الملوك، ج2، ص569.

[3]- الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج، ص47.

« قالت جميلة: كلكم محسن وكلكم مجيد في معناه ومذهبه قال ابن عائشة: ليس هذا بمقنع دون التفصيل »[1].

فالهدف الذي كان يرومه ابن عائشة ورفاقه الذين قصدوا جميلة في مجلسها، هو المفاضلة بالتحديد والتفصيل في ذلك، فنزلت المرأة عند رغبة ضيوفها وفصلت في الحديث والمفاضلة بينهم.

وحين اجتمع الشعراء في بيت سكينة (الفرزرق وجميل وجرير ونصيب وكثير) في موسم من المواسم، سألنها أن تفاضل بينهم في شعرهم فنقدت وفصلت في شعرهم واحدا تلو الآخر، حتى حكمت في الأخير بأفضلية جميل عليهم وأجازته بعطاياها.

«ثم دخلت على مولاتها وخرجت ومعها مدهن فيه غالية ومنديل فيه كسوة وصرة فيها خمسمائة دينار فصبت الغالية على رأس جميل، حتى سالت على لحيته ودفعت إليه الصرة والكسوة وقالت: ابسط لنا العذر، أنت أشعرهم ،وأمرت لأصحابه بمائه مائة»[2].

ونستحضر نموذجا تفاضليا نقديا آخر هنا. وإن غابت هوية المرأة الناقدة في هذا المجلس إلا أن تفاصيل المكان تبرزها لنا على أنها سيدة فاضلة صاحبة مكانة اجتماعية مرموقة؛ إذا أنها استقبلت الشعراء في قصرها، وأمرت لهم بغداء ،وجارية معنية فأخذت مولاتها تأمرها بالغناء من أشعار أبي محجن:

« فقالت لها مولاتها: خذي ويحك من قول النصيب عافي الله أبا محجن:

ألا هل من البين المفرق من بد* وهل مثل أيام بمنقطع السـعد**

تمنيت أيامي أولائـك والمنـى* على عهد عاد ما تعيد ولا تبدي**

فعنته فجاءت به كأحسن ما سمعته قط بأحلى لفظ وأشجى صوت»[3].

---

[1]- الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص194.

[2]- إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، 192.

[3]- الأصفهاني، المصدر نفسه، ج1، ص234.

وكذلك فعلت في الثانية والثالثة والرابعة حتى أثارت حفيظة الشعراء الذين كانوا معه لأنها لم تختر من أشعارهم شيئا، واحتجا على ذلك فحاججتهم بالمفاضلة بينهم وتبيان ضعف أشعارهما أمام أشعار نصيب وبالتمثيل في ذلك حيث قالت مثلا:

«على معرفة كل ما كان مني ،فأي شعر كما أفضل من شعره ؟ أقولك يا أحوص: يقر بعيني ما يقر بعينها* وأفضل شيء مابه العين قرت**

أو قولك يا كثير في عزة :

وما حسبت ضمرية جدوية * سوى التيس ذي القرنين أن لها بعلا»**[1].

والملاحظ أن المفاضلة في المجالس الاجتماعية أكثر بروزا وتدور مواضيعها حول المفاضلة بين كثير من الأمور خاصة منها المفاضلة بين النساء والرجال، وبين الحضر والبدو، والأموال، والحيوانات من ذلك:

«قالت أعرابية لبنات عم لها: السعيدة منكن من يتزوجها ابن عمها فيمهرها بتيسن،وكلبين،وعيرين، ورحيين والشقية منكن من يتزوجها الحضري، فيكسوها الحرير، ويطعمها الخمير.ويحملها ليلة الزفاف على عود ، تعني: سرجا»[2]

ينبني التفاضل في هذا النص على تفاصيل العيش في البادية على الحضر، واحتجت الأعرابية في ذلك بأعراف الحياة في كل من البادية والحاضرة؛ حيث أن حياة البادية رغم صعوبتها، إلا أنها أقرب إلى الطبيعة كما عبرت عن ذلك، وقد استحضرت جو البادية الذي تتشاركه المرأة مع المزرعة وحيواناتها، واختلاط أصواتها مع أصوات المياه والرحيين، مفاضلة بينه وبين حياة الدعة والرخاء في الحضر.

ومن ذلك أيضا قول مجموعة من النساء في مجلسهن:

[1]- الأصفهاني، المصدر السابق.

[2]- ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص80.

«أي النساء أفضل؟ قالت إحداهن: خيرهن الودود الولود، قالت الأخرى: خيرهن ذات العناء وطيب الثناء وشدة الحياء قالت الثالثة: خيرهن السموع، النفوع، غير المنوع، قالت الرابعة: خيرهن الجامعة لأهلها الوادعة الرافعة لا الواضعة »[1].

إن هذا النص في المفاضلة كما هو مذكور، سببه الاختلاف في وجهات النظر اتجاه المرأة الأفضل وكل امرأة أدلت بدولها واحتجت بحجتها النفعية والمعنوية، وإن كانت الحجج في هذا النص أغلبها إن لم نقل كلها، اعتمدت على الجانب المعنوي الأخلاقي غير أننا نجد في نص آخر قيما حجاجية مادية كما في المثال الأتي:

«أتى رجل هند بنت الخس الإيادية يستشيرها في امرأة يتزوجها فقالت : أنظر، رمكاء جسمية أو بيضاء وسمية في بيت جد أو بيت حد أو بيت عز وقيل لها : أي النساء أفضل؟ قالت : التي إذا مشت أغبرت وإذا نطقت صرصرت متوركة جارية في بطنها جارية تتبعها جارية ..»[2].

إذ فضلت هند في هذا المثال المرأة جسديا، وشكلا، وانتاجا، واعتبرت المرأة الولود أفضل من العقيم أو العاقر، والبيضاء الممتلئة أفضل من غيرها.

هذا فيما يخص المفاضلة بين الرجال والنساء عموما، ونعرض فيما يأتي مثالا حول المفاضلة في غير هذا الصنف؛ حيث نجد المرأة نفسها تسأل عن المال، والخيل، والسحاب، وغيرها من المواضيع التي تجوز فيها المفاضلة من ذلك:

« قال: أي المال خير؟ قالت: النخل الراسخات في الوحل المطعمات في المحل، قال وأي شيء؟ قالت: الضأن قرية لا وباء بها تنتجها رخالا وتحلبها علالا وتجزلها جفالا ولا أرى مثلها مالا....»[3]

[1]- إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص137.

[2]- القالي، الأمالي، ج2، ص285.

[3]- القالي، ذيل الأمالي والنوادر، ص119- 120.

« وقيل لها: أي الخيل أحب إليك؟ قالت : ذو الميعة الصنيع، السليط التليع، اليد الضليع الملهب السريع، فقيل لها أي الغيوث أحب إليك ؟ قالت ذو الهيدب المنبعق، الأضخم المؤتلق، الصخب المنبثق...»[1].

5- قيم الهجاء والسخرية:

ومن الظواهر التي تكررت في المجالس النسائية ظاهرة الهجاء والسخرية " ويطلق هذا التعبير على أي شكل أدبي أداته النقد والفطنة والمزاج الساخر، الذي هدفه المباشر هو الهزء أو السخرية من شخص أو شيء ما "[2] إلا أنه "ليس فقط فن السباب والشتائم، فإذا تأملنا قصيدة هجاء نفهم دروسا أخلاقية تشجعنا على العمل بعكس هذه الصفات التي استدعت الهجاء"[3]، وقد تداولت المرأة في كثير من الخطابات أسلوب الهجاء وألفاظه ومن ذلك نذكر قول السيدة سكينة في نقد الشعر:

«... ومن أخوه بكر؟! أليس الدحداح الأسيد ....فكل شيء يحسن بعده حتى الخبز والزيت»[4].

والدحداح القصير والغليظ البطن، أما الأُسيَّد فهو تصغير الأسود، وقد استعملت السيدة سكينة هذه الألفاظ لتبين التباين الحاصل بين البيت الشعري والشخصية التي قيل فيها.

وفي حوار بين أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوج الوليد بن عبد الملك، والحجاج يظهر جليا الهجاء والتقريع في خطابها له حيث قالت:

---

[1]- بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والاسلام، ص34.

[2]-. ليليان هيرلانديز وآخرون، دليل القارئ إلى الأدب العالمي، تر: محمد الجورا، دار الحقائق، ط1، بيروت، ص579.

[3]- محمد سراج الدين، الهجاء في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، دط، بيروت، دت، ص112.

[4]- الأصفهاني، الأغاني، ج7، ص62

« ...أما والله لولا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام ولا بقتل ابن ذات النطاقين...وأما نهيك أمير المؤمنين عن بلوغ أوطاره، فإن كن يلدن مثلك فما أحقه بالقبول منك، وإن كن يلدن مثله فهو غير قابل لقولك...قاتل الله القائل حين نظر إليك وسنان غزالة بين كتفيك:

أسد علي وفي الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر...»**[1]

وقد استحضرت المحاورة الأحداث السياسية والواقع في هجائها اللاذع؛ وذكرت حجج سفك الدم وكَنَّت بابنة ذات النطاقين، وهي (أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها) وقد اختارت أن تذكر ها دون اسم ابنها وفي ذلك إشارة قوية إلى مكانة ومقام المقتول وشناعة الجرم، ثم نلاحظ كيف انتقدت نهيه أمير المؤمنين من بلوغ أوطاره بالمقارنة بينه وبين أمير المؤمنين. وزادت على ذلك بأن انتقدت قول الشاعر فيه ودعت عليه في إشارة إلى سوء تقديره. ويصدر الخطاب في أسلوب هجائي مباشر وواضح لا مماراة فيه ولا تلميح.

ومن أمثلة السخرية اللاذعة في مجالس النساء الأندلسيات نورد هذا المثال لنزهون الغرناطية:

« ومن نوادرها أن ابن قزمان الشاعر جاء ليناظرها، وكان يلبس غفارة صفراء على زي الفقهاء، فلما رأته قالت إنك اليوم كبقرة بني إسرائيل صفراء فاقع لونها ولكن لا تسر الناظرين...»[2].

استحضرت الشاعرة في مجلسها صورة بقرة بني إسرائيل وشبهت بها (بن قزمان) في صورة من السخرية اللاذعة والكيدية، حيث أرادت من خلالها إضعاف مناظرها والهزأ به والتأثير في خصمها.

ننتقل فيما يأتي إلى آليات حجاجية أخرى عرفت لدى المرأة في مجالسها وخطاباتها تتعلق بالسلطة والكفاءة في المبحث الثالث.

---

[1]- إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص188.

[2]- بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، ص157.

المبحث الثاني: مبدأ الكفاءة وحجة السلطة

1- الكفاءة العلمية:

يتركب العنوان كما هو موضح من مركبين، الكفاءة والسلطة ، وتعد الكفاءة والسلطة حجتين بالغتين في المجالس النسائية؛ وإن اتفق هذين المبدأين في منح أحد الجلساء قيمة أكبر من غيره إلا أنهما يختلفان في طبيعة هذه القيمة فالكفاءة تستند إلى الدليل في حين أن السلطة لا تحتاج إلى ذلك فالسلطة في حد ذاتها تعدّ حجة وقد جاء في كتاب اللسان والميزان تبينا لهذا الأمر من خلال اعتبار "مفهوم السلطان يباين مفهوم الدليل، ويظهر التباين بينهما في أن السلطان بمعنى القوة المادية ، لا يستمد الدليل قوته إلا من إعمال الفكر، بينما السلطان يستمد قوته من الموقع المادي الذي يحتله، سواء استعان في ذلك بالدليل أم لم يستعن به ، لأن الدليل يبقى أمرا زائد عليه"[1] كما تعني الكفاءة " توفر القدرة على إبانة الحق، والإيضاح عن الحجة والبلوغ بهذه الكفاءة حدا يجعل المتكلم قادرا على تصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق، وتلك أعلى درجات البلاغة عند العرب وليس في ذلك عدول عن الحق بل هو سبيل إليه"[2] وقد جمعت المرأة في المجالس النسائية بين المبدأين في كثير من المجالس، نستدل بذلك من خلال النماذج الآتية :

1. **« فقال لها ابن سريج: يا سيدتي، إني كنت صنعت صوتا وتنوقت فيه ، وخبئته لك في حريرة في درج مملوء ممسكا فنازعيه هذا الفاسق، يعني الغريض فأردنا أن نتحاكم إليك فيه ،فأينا قدمته فيه تقدم»[3].**

2. **« فافتخر كل منهم، وقال : صاحبي أشعر، فحكموا السيدة سكينة بنت الحسين رضي الله عنها بينهم لعقلها وتبصرها بالشعر»[1].**

---

[1]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص131- 132.

[2]- عبد الله البهلول، الحجاج الجدلي خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي،دد، ط1،دب، 2013 ص147

[3]- الأغاني، الأصفهاني،ج 8 ، ص239.

3. **« اجتمع الفرزدق وجميل وجرير، ونصيب وكثير في موسم من المواسم فقال بعضهم لبعض: والله لقد اجتمعنا في هذا الموسم، وما ينبغي لنا أن نتفرق إلا وقد تتابع لنا في الناس شيء نذكر به، فقال جرير : هل لكم في سكينة بنت الحسين نقصدها فنسلم عليها، فلعل ذلك يكون سببا لبعض ما نريد»**[2].

1- يصدر الخطاب من ابن سريج إلى السيدة سكينة، طالبا منها المفاضلة بينه وبين الغريض مسلما بما تقدمه (فأينا قدمته فيه تقدم).

2- يصدر الخطاب من صاحب ...الذي يعلم مكانة السيدة سكينة في نقد الشعر ويورد رأيه صريحا (لعقلها وتبصرها بالشعر).

3- يصدر الخطاب من الشعراء أنفسهم وإن كان غير صريح ...مع المعني إذ يرغبون في شيء يذكرون به عند الناس وأفضل في نظرهم هو زيارة السيدة سكينة للتحكيم بينهم (لعل ذلك يكون سببا لبعض ما تريد).

نلاحظ من خلال هذه الأمثلة خطابات صريحة وغير صريحة، بحضور السيدة سكينة وفي غيابها، وكلها تشيد بكفاءتها في نقد الشعر والغناء، جعلت منها مقصد الشعراء ومبتغاهم، ولعلنا حين نقرأ لها نقدها نجدها من الأوائل الذين استطاعوا أن يؤسسوا لبداية النقد في العصر الأموي وللنقد العربي عامة.

وحين نعود إلى كتب السير الأدبية نجد أنها"كانت فعلا الشخصية الأولى في عصرها، وذلك لما اجتمع لها من خلال وسجايا جعلت لها جاذبية خاصة لم تشركها فيها سيدات العصر"[3]، فقد جمعت السيدة سكينة رضي الله عنها بين حجتي الكفاءة التي يعترف بها أصحاب الصنعة من الشعراء والمغنيين وسلطان المكانة الاجتماعية، التي كانت تتمتع بها في عصرها، والذين كتبوا عن هذه السيدة الكريمة لم يختلفوا في أنها كانت الشخصية

---

[1]- إبراهيم شمس الدين، قصص العرب،ج2، 341.

[2]- المصدر نفسه، ج3، ص189.

[3]- عائشة عبد الرحمن، السيدة سكينة، ص156.

النسوية الأولى في المجتمع الحجازي على أيامها، ولو استعرنا أسلوب أعصرنا لقلنا إنها كانت، فيما تصور المرويات والأخبار، نجم المجتمع "[1] إضافة إلى علو كعبها في التذوق الشعري، كل ذلك جعل من نخبة المجتمع، وهم الشعراء إذ ذاك، ينصاعون إلى رأيها ويحتجون بها ويجلسون بين يديها طلبا للحكم حينا وللمفاضلة أحيانا أخرى.

ومن الظواهر الخطابية التي تظهر بوضوح صاحب الكفاءة والسلطة إدارة المجلس والكلام، إن "الاجتماع يحدد بأنه سلسلة من الأفعال الكلامية لمشاركين مختلفين في الغالب، الأخبار والإدلاء بالرأي والأسئلة وما أشبه يقود فيها أحد المشاركين التفاعل من خلال دوره بوصفه رئيسا، ويحدد من خلال ذلك من يمكن يجوز أن يقول شيئا ومتى ولأي مدة"[2] وتمثيلا لذلك نورد النص الآتي:

« خرج الفرزدق حاجا، فلما قضى حجه عدل إلى المدينة فدخل إلى سكينة بنت الحسين، فسلم، فقالت له: يا فرزدق من أشعر الناس؟ قال : أنا، قالت : كذبت أشعر منك الذي يقول:

بنفسي من تجنبه عزيز* علي ومن زيارته لمام**

ومن أمسي وأصبح لا أراه* ويطرقني إذا هجع النيام**

فقال: أما والله ولو أذنت لي لأسمعتك أحسن منه ، قالت: أقيموه ، فأخرج...»[3] .

حيث نلاحظ أن السيدة سكينة هنا هي التي ابتدرت الشاعر بالسؤال في مجلسها، ولعلها فعلت ذلك يقينا منها بأن الشاعر سينتصر لنفسه، لكنها وبالنظر إلى السلطة التي تتمتع بها لا تعمد إلى تخطئة الشاعر و حسب بل إلى تكذيبه؛ لتبصرها بنوازع الذوات البشرية ونرجسية بعضها في تزكية النفس والابتعاد عن الانصاف، خاصة إذا كان ذلك من شاعر كالفرزدق المأثور عنه فخره بنفسه، ومن منطلق الكفاءة والعلم بالشيء قدمت

[1]- عائشة عبد الرحمن، المرجع السابق، ص155.

[2]- فان دايك، علم النص، ص372.

[3]- إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص193.

على ذلك دليلا قويا، ومن مظاهر السلطة في هذا النص أيضا أنها حرمته من الدفاع عن نفسه، وأخرجته من مجلسها. وهذه المعاملة التي تلقاها الفرزدق لم تمنعه من العودة المرة تلو الأخرى.

ومن الشواهد على كفاءة وسلطة السيدة سكينة مجلس كانت تستنشد فيه الشعراء الواحد تلو الآخر وتحكم والكل مصغ ومنصت لأحكامها:

« فقالت لرواية جرير أليس صاحبك الذي يقول:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا* وقت الزيارة فارجعي بسلام**

قبح الله صاحبك وقبح شعره فهلا قال: فادخلي بسلام...»[1]

ويستمر هذا المجلس بهذه الوتيرة الخطابية إلى آخره تستأثر فيه السيدة بالخطاب من بدايته إلى نهايته، حيث جاء في آخر الحديث على لسان راوي الخبر:

«...فلم تثن على واحد منهم ، وأحجم رواتهم عن جوابها...»[2]

فالسلطة النقدية القوية والكفاءة جعلت رواة الشعراء يحجمون عن الرد.

ننتقل بعد مجالس سكينة بنت الحسين إلى مجالس نقد الغناء، وقد ذكرنا سابقا أن أشهر مجالس نقد الغناء هي مجالس جميلة وقد كانت هذه الجارية هي الأخرى صاحبة سلطان وكفاءة فنية، بالرغم من أنها كما تذكر لنا كتب التاريخ الأدبي من الموالي، إلا أن مجلسها قد عرف إقبالا كبيرا للمغنين والمغنيات والمتذوقين للشعر، واجتمع عندها أرباب الغناء يسألونها عن الصوت والأخر ويحكمونها في أدائهم لها.

وقد قيل عنها بأنها "أعلم خلق الله بالغناء ، وكان معبد يقول : أصل الغناء جميلة وفرعه نحن، ولولا جميلة لم نكن نحن مغنين" وقيل فيها أيضا : "كانت جميلة ممن لا يشك في فضيلتها في الغناء ، ولم يدع أحد مقاربتها في ذلك ، وكل مدني ومكي يشهد لها

[1]- إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج2، ص341.

[2]- المصدر نفسه، ص143.

بالفضل"[1] يتضح جليا في هذين الخطابين الكفاءة الحجاجية التي كانت تتمتع بها جميلة حيث فوضت تفويضا ذوقيا يدل دلالة واضحة على تفقهها في الغناء وحذقها لصنعته، شهد لها بذلك كل من حضر مجلسها واستمع لغنائها أو تتلمذ على يديها وهذه المكانة جعلت من المغنيين يحتكمون في بعض جلساتها إليها ويطلبون رأيها في أدائهم ، وبعد أن استمعت إليهم قالت:

« كلكم محسن وكلكم مجيد في معناه ومذهبه، قال ابن عائشة ليس هذا بمقنع دون التفصيل...»[2]

لم يقف المغنون في هذا المجلس عند الحكم العام الذي أصدرته جميلة استنادا إلى المعنى والمذهب الغنائي بل استزادوا فيه لعلمهم بقدرة المغنية الكفأة على التفصيل فنزلت عند رغبتهم.

« أما أنت يا أبا يحي فتضحك الثكلى بحسن صوتك ومشاكلته للنفوس . وأما أنت يا أبا عباد فنسج وحدك بجودة تأليفك وحسن نظمك مع عذوبة غنائك، وأما أنت يا أبا عثمان فلك أولية هذا الأمر وفضيلته، وأما أنت يا أبا جعفر فمع الخلفاء تصلح...»[3]

وقد تفرع نقد جميلة إلى تقييم كل مغني على حدة بالتفصيل الذي ارتضاه الحاضرون، وأقروا لها بذلك وفضلوها في الأخير عليهم جميعا كما يرد ذلك في آخر المجلس وكانت مجالس جميلة هذه تعرف زخما من الاقبال والاستحسان حتى قيل فيها أنها أحسن وأجمل المجالس الغنائية حيث أمها المغنون من مختلف البلاد العربية وكان للسيدة جميلة فضل ومزية في حسن الاستقبال والاستضافة والتسيير وسيادة المجلس.

2- السلطة الدينية والاجتماعية :

[1]- الأغاني، الأصفهاني، ج8،ص190.

[2]- المصدر نفسه،ص 194.

[3]- المصدر نفسه.

أ- سلطة الكاهنة والمتصوفة (السلطة الروحية):

يميل الإنسان ميلا فطريا إلى التدين ويسعى دائما إلى أن يبقى مرتبطا بقوة غيبية يستمد منها طاقته الروحية والإيمانية ، ويعدُّ الكهنوت من أهم الظواهر التي تثبت هذه الفرضية فقد عرفت أغلب الأمم الكهنوت كطقس يمارسه فرد له من القوة الروحية الباطنية ما يستطيع به التأثير فيمن حوله، وقد عرفت الأمة العربية " الكهانة والعرافة وهما القضاء بالغيب، وربما خصت الكهانة بالأمور المستقبلية والعرافة بالماضية، وطريقهم في ذلك الاستدلال ببعض الحوادث الخالية على الحوادث الآتية لما بينهما من المشابهة الخفية، وللعرب في الكهان اعتقاد عريض لزعمهم أنهم يعلمون الغيب، فيرفعون إليهم أمورهم للاستشارة ويستفسرونهم عن الرؤى، ويستطبونهم في أمراضهم"[1]، وقد كان خطابهم من الأدب الرفيع ينماز في سماته وخصائصه، ولأن أدب الكهانة من الأدب الخاص كما أسلفنا، فقد كانت لغته تنبثق من الشعور بالتفوق والأفضلية والسمو الروحي على من يستصحبون بهديها، فهي في نظر أصحابها ونظر من يدينون بها لغة خاصة مختارة ، لها سند من قوة علوية ملهمة ، تتخذ منها أداة لفض أختام الغيوب، وهتك أستارها"[2]

ومن خلال هذه القوة الروحية والخطابة الأدبية استمدت الكواهن سلطة اجتماعية خاصة وقصدها الخلفاء والأمراء والعامة والسوقة وكان لكلامهن الأثر البين كما لهن السمع والطاعة، ومن نماذج هذه المجالس:

« زعموا أن رقية بنت جشم بن معاوية ، ولدت نميرا وهلال وسواءة، ثم اعتاظت فأتت كاهنة بذي الخلصة، فأرتها بطنها، وقالت : إني قد ولدت، ثم اعتظت فنظرت إليها ومست بطنها، وقالت: رب قبائل فرق، ومجالس خلق، وظعن حزق في بطنك زرق.

[1]- أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مطبعة السعادة، ط19، مصر، 1962،ج2، ص23.

[2]- محمد بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، ص56.

فلما مخضت بربيعة بن عامر، قالت، إني أعرف ضرطي بهلال؛ أي هو غلام، كما أن هلالا كان غلاما»[1]

وهي كاهنة ذي الخلصة التي قصدتها رقية بنت جشم لتتكهن لها بالإنجاب من عدمه ونلاحظ هذه السلطة الكهنوتية التي جعلت امرأة معتاظة تقصد الكاهنة لتنظر في أمرها، فبشرتها بما وجدته حقيقة فعلية لاحقا.

ومن ذلك أيضا مجلس عفيراء الكاهنة مع مرثد بن عبد كلال التي فسرت رؤياه التي عجز عن تفسيرها جمع من الكهان والكواهن.

« فقال لها : يا عفيراء، من الذي دعوته بالملك الهمام؟ قالت : مرثد العظيم الشان ! حاشر الكواهن والكهان المعضلة بعد عنها الجان!

فقال: يا عفيراء أتعلمين تلك المعضلة؟ قالت: أجل أيها الملك! إنها رؤيا منام ليس أضغاث أحلام...»[2]

كما تقوم الكاهنة أيضا بدور الوسيط في تزكية الخطاب ولها في ذلك الأثر الحسن والسلطة المطلقة، ومن ذلك تزكيتها لمجموعة من الشباب قصدوا خودا بنت ابن مطرود لطلب ودها:

« فخرج أبوها ، فقال: أخبروني عن أفضلكم، قالت ربيتهم الشعثاء الكاهنة:

اسمع أخبرك عنهم : إنهم إخوة وكلهم أسوة أما الكبير فمالك ، جرئ فاتك يتعب السنابك ، ويستصغر المهالك...»[3]

فالسلطة التي تملكها الكاهنة كما ذكرنا سابقا هي سلطة روحية تدعمها سلطة استشراف الغيب، إضافة إلى الخبرة الحياتية كل هذه الأمور جعلت من الكواهن مقصدا وملجأ.

---

[1]-الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص321.

[2]- إبراهيم شمس الدين، قصص العرب،ج3، ص309

[3]- المصدر نفسه، ج3، 136.

كما كان للمنزلة الدينية أثر جلي في الثقافة الإسلامية، وكان للمرأة المسلمة مكانة اجتماعية مرموقة، خاصة عندما تتحدث عن نساء النبي صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنهن، كما للمتصوفات أيضا خاصة ونحن نتحدث عن العصور الأولى للإسلام وعهوده الذهبية، ومن أهم النساء اللواتي اشتهرن بسلطتهن الدينية السيدة عائشة رضي الله عنها، وقد ورد في مجلسها رضي الله عنها الذي استقبلت فيه معاوية وجماعة من أهل الشام فأذنت له وحده:

« فقالت عائشة: يا معاوية أكنت تأمن أن أقعد لك رجلا فأقتلك كما قتلت أخي بن أبي بكر ؟ فقال معاوية : ما كنت لتفعلي ذلك قالت : لم؟ قال:لأني في بيت أمن ، بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قامت عائشة فحمدت الله وأثنت عليه وذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكرت أبا بكر وعمر وحضته على الاقتداء بهما والاتباع لأثرهما ثم صمتت، أما معاوية فلم يخطب وخاف ألا يبلغ ما بلغت ...»[1].

والشاهد هنا إحجام معاوية عن مجاراة السيدة عائشة في الخطبة، بعد أن أفحمته بخطبة بليغة جعلته يخرج من عندها متكأ ويقول: « تالله إن رأيت كاليوم قط خطيبا أبلغ من عائشة بعد رسول الله»[2].

وقد تمتعت السيدة عائشة بهذه السلطة الدينية باعتبارها زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما كانت المرجع الأول في الحديث والسنة، وأخذ عنها المسلمون نصف دينهم كما ورد في الأثر، وقد قال الإمام الزهري: لو جمع علم عائشة، إلى علم جميع أزواج النبي وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل. كما قال هشام بن عروة عن أبيه : ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة[3]، ومن خلال ذلك اكتسبت الفصاحة الخِطابية، والكفاءة الخَطَابية؛ والخطابة كما نعلم ركيزة أساسية من ركائز الدين الإسلامي.

---

[1]- بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، ص110.

[2]- المصدر نفسه.

[3]- ينظر: عائشة عبد الرحمن، نساء النبي، دار الهلال ، ط5، دب، 1971.ص 103.

ونمثل للسلطة الصوفية بمجالس العابدة الزاهدة أول صوفية في الإسلام السيدة (رابعة العدوية) والتي ذكرها فريد الدين العطار في كتابة (تذكرة الأولياء) وأورد لها مجموعة من المجالس الصوفية، مع كبار المتصوفة أمثال (الحسن البصري) وغيرهم، وقد قيل عن (رابعة العدوية) "إنها ذات الحدر الخالص ، المستورة بستر الإخلاص، المتقدة بنار العشق والاشتياق، المتحرقة إلى القرب والاحترام، الفانية في الوصال، المقبولة عند الرجال ، كأنها مريم ثانية صافية صفية"[1] ومن خلال هذا الوصف يتجلى لنا مدى القيمة الروحية التي تحضى بها السيدة رابعة العدوية في التصوف، وخاصة وأنها تعد بحق أول الزهاد في الإسلام، وقد انتقلت بالتصوف من الزهد القاتم إلى آفاق الحب الصوفي، وأصبح من المعروف قصتها الشهيرة عندما كانت تجوب البصرة حاملة إناء الماء في يد ومشعل نار في اليد الأخرى، ولما سئلت عما تقصده أجابت: أريد أن أطفئ جهنم بالماء، وأشعل النار في الجنة، حتى يختفي حجابهم وليعبد الله الناس لا خوفا من جحيمه ولا طمعا في جنته ولكن ليعبدوه وحده فقط من أجل جماله الأبدي"[2] ، وقد جمعنا مجموعة من المجالس أثبتت من خلالها سلطتها الروحية القوية المتصلة مع الله، جعلت الحسن البصري يخرج من مجلس لم توجد فيه، كانت رابعة العدوية تستضيف زوارها في بيتها عادة ومن هذه المجالس:

« نقل أن الحسن البصرى رحمه الله قال : كنت عند رابعة يوما وليلة ، وكنا نتحدث في الطريقة والحقيقة ولا يخطر ببالي أني رجل ولا ببالها أنها امرأة . ثم لما خرجت من عندها وجدت نفسي مفلسا ، ووجدتها مخلصة»[3].

إن الحديث الصوفي الذي جمع رابعة بالحسن البصري ارتقى إلى مدارج سماوية عالية، جعلت كل من منهما يرتقي من براثن الشهوات الجسمانية الدنيوية، ويحلق في فضاءات روحية عميقة ، ليكون الفضل في الأخير والإخلاص لرابعة العدوية باعتراف من البصري

[1]- عطار ، تذكرة الأولياء، ص 849.

[2] - آنا ماري شيمل، روحي أنثى، الأنوثة في الإسلام، تر: لميس فايد، دار الكتب خان، ط1، مصر، 2016، ص64.

[3]- نفسه، ص102.

نفسه وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على سلطة روحية عظيمة تتمتع بها رابعة العدوية ومن أمثلة المجالس التي ذكرت:

« ونقل أنه جاء جماعة إليها على سبيل الامتحان، ليمسكوا عليها كلاما فقالوا لها في أثناء المكالمة : إن الله تعالى أعطى الرجال كل كرامة وميزة وفضيلة، حتى وضع تاج النبوة على رؤس الرجال وألبس بعضا منهم حلة الخلة، ونوره بنور المحبة، وما صارت النبوة سهما للنساء؟! قالت : نعم، وهكذا، أطلع دعوى ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾(سورة النازعات، الآية 24.) **من جيب أحد من النساء وما صارت واحدة من النساء مخنثة فإن الخنوثة في الرجال»**[1]

يقدم هذا النص محاورة جدلية بين السيدة رابعة العدوية وزائرين لها؛ حيث حاول مجموعة من الرجال أن يمايزوا بين مكانة المرأة ومكانة الرجل في الإسلام، فكان رد السيدة حجاجيا من خلال تقديم أدلة من الواقع ومن القرآن الكريم تسقط دعواهم.

ب- سلطة المرأة المخطوبة:

وقد كانت المرأة في العصور الأولى تتمتع بسلطة مطلقة في الزواج وفي رفض الرجال وقبولهم، يمتد ذلك من العصر الجاهلي حتى عصور متأخرة من العصر الإسلامي، وتظهر هذه السلطة من خلال طبيعة الخطاب المباشر الذي كانت المرأة توجهه للزائرين، من طالبي الزواج ونمثل لذلك بـ:

«...قال: فجئت لأنظر إليها وكان بيني وبينها رواق؛ فدعت بجفنة عظيمة من الثريد، مكللة باللحم، فأتت على آخرها، وألقت العظام نقية، ثم دعت بشن عظيم مملوءة لبنا، فشربته حتى أكفأته على وجهه. وقالت يا جارية، ارفعي السجف، فإذا هي جالسة على جلد أسد، وإذا شابة جميلة؛ فقالت: يا عبد الله، أنا أسدة من بني أسد، وعلى

[1]-عطار، تذكرة الأولياء، ص109

جلد أسد، وهذا طعامي وشرابي؛ فعلام تراني؟ فإن أحببت أن تتقدم فتقدم، وإن أحببت أن تتأخر فتأخر...»[1]

إذ قدمت المرأة في هذا المجلس نفسها دون تردد أو حرج، ويتضح ذلك من قولها أنا أسدة من بني أسد، وعلى جلد أسد، إظهارا لقوتها وهذا طعامي وشرابي مشيرة بذلك إلى طباعها في الأكل والشرب.

ومن ذلك أيضا:

« قالت: أنت عامل هذه المدرة؟ قال: نعم، قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتك خاطبا إليك نفسك، قالت: أما والله لو كنت جئت تبغي جمالا ودينا أو حسبا لتزوجناك ولكنك أردت أن تجلس في موسم من مواسم العرب فتقول: تزوجت بنت النعمان بن المنذر، وهذا والصليب أمر لا يكون...»[2] .

ومن غير ذلك فقد تساوت النساء في باقي المجالس خاصة مجالس الصديقات، والضرائر والأديبات، والمفاضلات، وتساوت مراتب الأخريات في الفصاحة والبلاغة والبيان. بالقدر الذي يصعب التمييز بينهن في أفضلية الخطاب.

ويتضح لنا عموما من خلال هذه النماذج؛ قدرة المرأة على إظهار سلطتها والتمتع بها، في مختلف أنواع المجالس، وإن كانت أكثر بروزا في المجالس النقدية والتعليمية وكذا الدينية والسياسية.

[1]- ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص70.

[2]- الأصفهاني، الأغاني، ج16، ص47.

المبحث الثالث: حجاجية السرد والتمثيل والشاهد

ومن غير أحكام القيم التي يستغلها باث الخطاب لمحاججة الملتقي، يتسلح بعضه الآخر بنوع آخر من الآليات الإقناعية قد تبدو أكثر بروزا وأعمق تأثيرا، ويكون إدراجها في ثنايا الخطاب متفاوتا يتحكم فيه طبيعة الخطاب والمقام ومستوى المتخاطبين ودرجة التقبل وغيرها من ملابسات. ومن ذلك السرد والتمثيل والشاهد.

1- حجاجية السرد:

ويرتبط السرد بالفنون القصصية إلا أنه كأداء لغوي يرتبط بكل أنواع الحديث، وهو في اللغة " تقدمة الشيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعا. سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه .وفلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيد السياق له . وفي صفة كلامه : لم يكن يسرد الحديث سردا أي يتابعه ويستعجل فيه . وسرد القرآن: تابع قراءته في حدر منه...وسرد فلان الصوم إذا والاه وتابعه..."[1] ولا يختلف التعريف في الاصطلاح فهو يشتمل على قص حدث أو أحداث أو خبر أو أخبار سواء أكان ذلك من صميم الحقيقة أم من ابتكار الخيال، وهو كذلك عرض الحديث بتتابع وجودة، وفي الأدب هو بسط الحدث في أي عمل أدبي بسطا عاديا "[2] فلفظ السرد كما هو موضح قبل أن ينتقل إلى مصطلح له توظيفه الفني والأدبي الدقيق تعني تتابع الأحداث في إطار زمنى ومكاني وشخصيات تدير الأحداث وتتفاعل معها.

وقص الأخبار ورواية الحكايات الشعبية وحكايات الجن وغيرها، من أشكال التعبير الشفهي في الثقافة العربية، سيحمل دون شك سردا للأحداث والوقائع " فالسرد العربي قديم قدم الإنسان العربي، وأولى النصوص التي وصلتنا عن العرب دالة على ذلك مارس

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، م7، مادة سرد.

[2]- محمد سيف الإسلام بوفلاقة، سيميائية الخطاب السردي العماني، دار الجنان للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2017، ص20.

العربي السرد والحكي، شأنه في ذلك شأن أي إنسان في أي مكان بأشكال وصور متعددة، وانتهى إلينا مما خلفه العرب تراث مهم، ولكن السرد العربي كمفهوم جديد لم يتبلور بعد بالشكل الملائم، ولم يتم الشروع في استعماله إلا مؤخرا"[1] "إن المفهوم الجامع يستوعب أشكالا متعددة من الممارسات والتجليات النصية، ويغطي تسميات عديدة ألحقت بتلك الأشكال وفي مختلف الحقب، وذلك على اعتبار أن التسميات السابقة كانت محدودة وضيقة عن الشمول، أو كانت تحملها روايات خاصة وهذا ما جعلها غير دقيقة عكس المفهوم الجامع إنه يرصد الظاهرة بصورة أحسن وأوضح"[2] والمقصود بالتسميات كل ما أطلق على النصوص التي تحمل مظاهر سردية مثل الأخبار، والأيام والقصص الشعبية، والحكايات، والسير وموارد الأمثال، حيث أطلقت هذه التسميات مشفوعة بما يبين ارتباطها بالسرد مثل القصة والحكاية، إلا أن مصطلح السرد عند سعيد يقطين كما هو موضح يوسع الأنماط التعبيرية التي يمكنها أن تندرج في مجال السرد عموما، حيث يكون سرد الأحداث وتتابعها هو المؤشر على الخصوصية السردية للنص.

أ- بنية الاستهلال:

وأول خاصية سردية تميزت بها أغلب المجالس النسائية افتتاحها ببنية الاستهلال السردي، و يعرف الاستهلال على أنه " فعل تأليفي يتقدم النص ويؤطره ممهدا لجريان السرد في مسارات شتى تشكل شبكة عريضة من العلاقات"[3] وقد درج رواة الأخبار والأحاديث في مستهل حديثهم على النمط الاستهلالي وعرف على أنه آلية حجية بامتياز، إذ يلجأ إليها قاص الخبر حتى يكون لخبره مرتكز مبنى على استحضار شخصيات متتالية روت الخبر وتداولته، ما اصطلح عليه فيما بعد بالعنعنة، وتسم هذه العنعة الثقافة العربية الشفاهية التي كانت تعتمد على الذاكرة والحفظ قبل أن تلجأ إلى التدوين، ومعلوم أن

[1]- سعيد يقطين، السرد العربي، مفاهيم وتجليات ، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2012ص58.

[2]- المرجع نفسه.

[3]- لؤي حمزة عباس، سرد الأمثال، اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، 2003، ص93.

أكثر العلوم اعتمادا على هذه الخاصية هو علم الحديث النبوي الشريف، لارتباطه بالعقيدة والدين وكانت أكثر العلوم حاجة إلى التحري والاعتماد على الحجج والاستهلال الروائي والإسناد، كما نُقل "الشعر الجاهلي مشافهة في الغالب الأعم طيلة العصر الجاهلي حتى عصر التدوين،واستمرت أخبار العرب ولغتهم بلهجاتها المختلفة وحروبهم وأيامهم تنقل مشافهة. ولقد استمرت الرواية مشافهة، بإسناد المادة المروية من راو لآخر ، الوسيلة العربية التقليدية لحفظ التراث العربي من أخبار وأشعار وخطب وقصص" [1]

ويتكرر الاستهلال باطراد في كتاب الأغاني للأصفهاني إذ نجده اعتمد كثيرا على هذه الخاصية الحجاجية، حيث يتقصى الكاتب رواة الأخبار الواحد تلو الآخر ثم يورد الخبر، ولم يكن هذا الفعل في منظورنا تقليدا بريئا، بل أراد الكاتب من خلال ذلك إضفاء نوع من المصداقية على الأخبار التي يوردها، وهو إذ ذاك يدرك مدى النقد الذي سيتعرض له الكتاب بسبب ما يحمله من أخبار قد يتشكك فيها الكثير، لما تحمله من تشويه لبعض نساء ورجال العصر الإسلامي، وقد رأى العديد من الدارسين أن كثيرا من أخباره موضوعه ومكذوبة ، كما أن هذه الدراسات لم تكن معروفة قبل الإسلام، فكانت وقائع التاريخ وقصصه يروى غثها وسمينها، وصحيحها وضعيفها وحقها وباطلها، وما حدث منها وما لم يحدث، على أنها حقائق مسلمة وكذلك كانت تتلقى الديانات وتنقل الأفكار والأقوال من معلميها أو قائليها إلى من يليهم من غير أي تحر لأحوال نقلها ولمضمونها"[2] ولذلك فإننا نجد أن الأصفهاني هو من الأوائل الذين نقلوا الأخبار من خلال إسناده ولا نجد ذلك في الأخبار والحكايا التي رويت في العصر الجاهلي مثلا ونمثل لذلك بما يلي:

«حدثني الحسين بن عتبة اللهي قال : حدثني من رأى ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص بن محمد الأنصاري وقد أتو منزل جميلة»[3]

---

[1]- عبد الله محمد الغزالي، المنجز السردي العربي القديم، مكتبة آفاق، ط1، الكويت، 2011، ص73.

[2]- محمد عجاج الخطيب، الوجيز في علوم الحديث ونصوصه، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، دط، الجزائر، 1989، ص31.

[3]- الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص207.

«أخبرني الحسين بن الحي قال حماد: قرأت على أبي وذكر جعفر بن سعيد عن عبد الرحمن بن سليمان المكي قال : حدثني المخزومي ويعني الحارث بن خالد قال: بلغني أن الغريض خرج مع نسوة من أهل مكة»[1].

«عن العتبي قال : كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل ....»[2].

ويروى الحديث في المجلسين الأوليين كما هو موضح عن أكثر من رواي واحد وقد وردا في مصنف الأصفهاني، وعن راوي واحد في المثال الأخير من كتاب **طبائع النساء لابن عبد ربه**،

وبالرغم من أن هذه المجالس النسائية أساسها حواري، إلا أن هذا لا ينفي وجود السرد فيها، وذلك من منطلق نمطها الإخباري، وهذا النمط جعل السارد يقدم لنا هذه النصوص من سرد أحداثها، وأول شيء يقدم في هذه النصوص هو بنيتها الاستهلالية.

وبالعودة إلى المجالس النسائية نجد أن أغلب النصوص التي تورد أكبر عدد من الرواة في المجالس النقدية والشعرية، أكثر من الأنواع الأخرى من المجالس، ولعل ذلك مرجعه ما تتطلبه هذه المجالس من التعريف بها وبناقليها وقائليها، لما تحمله من علمية وتحري للدقة بالرغم مما نجده من فجوات، فقد ذكر في المثال الأول والثاني شخصيات مجهولة أو تعبيرا لا يشير إلى شخصية معينة كما في قوله « من رأى» «بلغني»

في حين يقل ذكر الرواة في المجالس الاجتماعية، وذلك لعدم الحاجة لتوثيق قائليها وإن كان المجلس الأخير لم يذكر لدى الأصفهاني ولكن نلاحظ ذلك فيما ذكره من نصوص نذكر تمثيلا:

« قال الزبير حدثني عمي قال: ثم إن حسانا بن ثابت مر يوما بنسوة فيهن عمرة بعدما طلقها ...»[3].

---

[1]- المصدر نفسه، ج6، ص307.

[2]- ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص49.

[3]- الأصفهاني، المصدر السابق، ج3، ص18.

ذلك أن المجالس الاجتماعية أقرب إلى الحكايات والقصص، لا تحتاج إلى دليل على وقوعها وتكون روايتها أشبه بالأخبار العادية ويبقى هذا الحكم نسبيا، إذ قد يختلف في بعض المجالس الأخرى خاصة إذا ذكرت فيها شخصيات ذات منزلة دينية، أو سلطانية، أو تاريخية مؤثرة ، الكذب عليها يعد مذمة وتشويها فيكون التعدد في الرواة من باب تحري الصدق والحجية.

ب- بنية الاستهلال ومحددات الزمن والمكان:

ومن مميزات الاستهلال أيضا تحديد الزمن والمكان والشخصيات المتحاورة في غالبية المجالس:

1. **«اجتمع الفرزدق وجميل وجرير ونصيب وكثير في موسم من المواسم فقال : تتابع لنا في الناس شيء نذكر به ، فقال جرير: هل لكم في سكينة بنت الحسين نقصدها فنسلم عليها ، فلعل ذلك يكون سببا لبعض مانريد !فقالوا : امضوا بنا ، فمكثوا أياما، ثم أذنت لهم ، فدخلوا عليها »[1].**
2. **«أتى نصيب مكة فأتى المسجد الحرام ليلا ، فبينما هو كذلك إذ طلع ثلاث نسوة فجلسن قريبا وجعلن يتذاكرن الشعر والشعراء.»[2].**
3. **« وحدث ابن سراج قال: أخبرني بعض الإخوان أن بعض البصريين أخبره قال : كنا لمة تجتمع ولا يفارق بعضنا بعضا ، فضجرنا من المقام في المنازل فقال بعضنا : لو عزمتم فخرجنا إلى بعض البساتين ، فخرجنا إلى بستان قريب منا، فبينا نحن فيه إذ سمعنا ضجة راعتنا ، فقلت للبستاني : ما هذا ؟ فقال: هؤلاء نسوة لهن قصة....»[3].**

[1]- إبراهيم شمس الدين، قصص نساء العرب، ج3، ص189.

[2]- الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص244.

[3]- بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، ص167.

أما عن الشخصيات فنلاحظ أن أغلبها ممن عرف في التراث الأدبي أو التاريخي وقل أن تكون مجهولة، ويحدث ذلك عادة في المجالس الاجتماعية كما في المثال الأخير حيث لا تذكر أسماء النسوة وينذر أن تكون كذلك في المجالس النقدية والشعرية حيث أن غالبيتها تكون أسماء مشهورة في الساحة الأدبية والشعرية من أمثال: سكينة بنت الحسن وجميلة وغيرهن كما تحدد لنا هذه المقدمات الزمن والمكان كما أسلفنا الذكر ، والزمن على التوالي في الأمثلة السابقة (موسم الحج-الليل) كما يستشف ضمنا من المثال الأخير على أنه في فترة من الفترات الصباحية وبهذا تنفتح مواعيد المجالس النسائية على كل الأزمنة دون أن يقتصر على زمن محدد أو فترة معينة.

أما بالنسبة للمكان فقد كان هو الآخر مختلفا وهو أيضا يستنتج من بعض التعبيرات كقولهم « فدخلوا عليها» فهنا نسلم بأن المكان هو مجلس سكينة أو بيتها، أما في المثال الثاني فقد ذكرت الأماكن تصريحا فهي «مكة» وبالضبط «المسجد الحرام» وفي الأخير يذكر «البستان».

وتتنوع في كثير من المجالس الأخرى الأماكن والأزمنة، حيث تكون هذه المجالس في القصور والمتنزهات والبساتين والبيوت كما تتغير الأزمنة من ليل إلى مساء إلى صباح وتختلف العصور أيضا.

ت- السرد التاريخي والسرد القصصي:

ومما ميز المجالس النسائية اشتمالها على السرد التاريخي والقصصي، حيث سردت المرأة قصصا من التاريخ، ولم يكن غرض هذا السرد الإمتاع والاستئناس به وحسب؛ بل قد اتخذته حجة في خطابها وتدليلا عليه، وإمعانا في التأثير وإفحام المخاطبين، فغلبت على هذه المجالس السرد التاريخي خاصة إذا استحضرت المرأة القصص التاريخية وكما وظفته المرأة في المجالس الاجتماعية نجده حاضرا أيضا في المجالس النقدية وإن كان في الأولى أكثر وذلك راجع لما ذكرناه سابقا في التوجه العلمي لهذه المجالس النقدية، والتي تحمل على

عاتقها مهمة النقد والتوجيه، وبالتالي تعدّ الأكثر استغناء عن طبيعة هذا الخطاب، ومن الأمثلة التي نذكرها في هذا المجال:

« فقالت لهم : ألا أحدثكم بحديث يتم به حسن غنائكم وتمام اختياركم؟ قالوا: بلى والله ... قالت: نازع امرؤ القيس علقمة بن عبدة الفحل الشاعر ، فقال له : قد حكمت بيني وبينك امرأتك...»[1] .

والحادثة التاريخية كما هي معلومة أوردتها صاحبة المجلس، السيدة جميلة بغية التفصيل في النقد، وإن كان بقية القصة يوردها أحد الحضور أيضا رغبة منه في إتمام السرد والإفادة منه أكثر.

« فقال ابن عائشة : جعلت فداك! أتأذنين أن أحدث؟ فقالت : هيه ،قال: إنما تزوج أم جندب حين هرب من المنذر بن ماء السماء فأتي جبلي طئ وكان مفركا، فبينا هو معها ذات ليلة إذ قالت له: قم يا خير الفتيان ..»[2].

وكما نلاحظ أن هذا السرد الذي يأتي في أتون حديث المجالس لم يكن يصدر فقط من صاحبة المجلس، وإن كان في عمومه كذلك، ولكن يتشارك فيه الحاضرون أيضا، وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على العملية التشاركية في الخطاب وعدم استئثار صاحبة المجلس بالحديث أو القص في الغالب، إلا أنه يستحب سماعه من صاحبته كما ورد في المثال الآتي:

« قد والله فهمته يا سيدتي، قالت : لعنك الله يا مخنث إما أجود فهمك وأحسن وجهك ، فهاته حدثنا قال : يا سيدتي وسيدة من حضر والله لا نطقت بحرف وأنت حاضرة ولك الفضل والعتبى»[3]

---

[1]- الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص195.

[2]- المصدر نفسه، ج8، 197.

[3]- المصدر نفسه، ج8، ص195.

إن المكانة التي تحظى بها صاحبة المجلس جعلت الشاعر يتأدب في ترك الحديث لها؛ رغم أنها أذنت له بالقول، وهذه الأمثلة كما سبق لنا القول هي خطابات سردية في المجالس النقدية ننتقل بعد ذلك إلى المجالس الاجتماعية.

ث- السرد في المجالس النثرية الاجتماعية:

ولعل المجالس الاجتماعية أكثر المجالس اشتمالا على السرد، كونها مفتوحة على مضامين متنوعة كما أن طبيعة خطاباتها تقتضي السرد واستحضار القصص وتوظيفها كمادة للاستدلال على وقائع الحاضر أو كأدلة حجاجية نذكر تمثيلا مجلس أم زرع الذي اجتمعت فيه إحدى عشر امرأة وتعاهدن ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا، فأخذت كل واحدة تذكر زوجها وأخلاقه إلا أن أم زرع كانت الأكثر إسهابا في الحوار إذ سردت قصته معها وقد لجأت أم زرع إلى هذا وفي نفسها رغبة في تأكيد ما قالته.

« خرج أبو زرع والأوطاب تمخض، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين ، يلعبان من تحت خصرها برمانتين فطلقني فنكحت بعده رجلا سريا فلو جمعت كل شيء أعطانيه ...ما بلغ أصغر آنية أبي زرع»[1]

حيث ذكرت في بداية حديثها عنه كرمه وغناه وجاءت بالسرد لتحاجج به.

كما جاء في أحد مجالس الخطبة قول إحداهن:

« قالت : يا هذا ، كل هذا عنا غائب، ولكن ما الذي يحصل بأيدينا منك؟ فإني أظنك تريد أن تجعلني كشاة عكرمة، أتدري من عكرمة! قال : لا، قالت: عكرمة بن ربعى فإنه نشأ بالسواد ثم انتقل إلى البصرة. وقد تغذى باللبن، فقال لزوجته: اشترى لنا شاة نحتلبها، وتصنعي لنا من لبنها شرابا .....»[2]

[1]- أحمد بن عبد الغني، حسن القرع على حديث أم زرع، ص43.

[2]- ابن عبد ربه، طبائع النساء،ص67.

إلى آخر ذلك من القص الذي أوردته المرأة في مجلسها وهي تحاول أن تبين للسائل خروجه عن الآداب العامة في طلب الزواج، وقد أوردت هذه القصة حجه على ذلك، ويتضح ذلك من خلال ردة فعل الرجل الذي خرج من عندها كسيفا متحرجا من قولها.

إن هذا السرد في هذه المجالس النسائية لا يتعدى كونه تقديم الحدث مجردا من تأثيراته في الشخصية، أو ارتباطه بالزمن والمكان، تقول "نبيلة إبراهيم" إن من قواعد القص المصطلح عليها في الثقافة العربية السرد المتتابع العاري عن التركيز على الشخصية[1] إن عدم التركيز على الشخصيات مرده إلى أن هذا السرد ليس الغرض منه القص بقدر ما يكون الهدف منه محاججة السامع وإظهار قدرة المتحدث على استحضار وقائع مضت لتكون دليلا على كلامه.

2- الشاهد والمماثلة والمثل:

يتميز الشاهد والمثال بكونهما من أهم مقومات الحجاج فهما يحملان قوة إقناعية بارزة ومؤثرة؛ أما الشاهد فهو سلطة مرجعية معترف بها قادر على تجاوز معارضة الخصم وانتزاع تسليمه، وهو بذلك يساهم في الحجية والإقناع، وترتبط تحديدا في التراث العربي الإسلامي بالآيات القرآنية والحديث النبوي والأبيات الشعرية والأمثال والحكم، وهي حسب الدكتور "محمد العمري" حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها[2]، وأما الحكماء والأدباء فلا يزالون يضربون الأمثال ويبينون للناس تصرف الأحوال بالنظائر والأشكال ويرون هذا النوع من القول أنجع مطلبا وأقرب مذهبا[3] كما أن " للتمثيل دوره في الحجاجات التي تقدم فيها حالة سابقة وفي تلك التي تحمل فيها

[1]- محمد مشبال، البلاغة والسرد جدل التصوير والحجاج في بلاغة الجاحظ ، مطبعة الخليج العربي، دط، المغرب،2010، ص11.

[2]- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص233.

[3]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية ـ الخطابة في القرن الأول نموذجا، أفريقيا الشرق، ط2، الدار البيضاء، 2002، ص83.

حالة راهنة على حالة نمطية و تصدر الأحكام حسب سياقات أحكام ماضية تهم حالات من نفس الصنف"[1] وقد استعانت المرأة في خطاباتها بالشواهد والأمثال.

أ- حجاجية الشاهد:

"أن يحاجج المرء بواسطة الشاهد، معناه افتراض وجود انتظام أو اطراد لما يوفر الشاهد تجسيدا له، فهو يسعى إلى إثبات قاعدة. إذ يبحث، انطلاقا من حالة خاصة، عن القانون أو البنية التي تكشف عنها هذه الحالة. إن الحجاج بالشاهد يرفض اعتبار الحالة الخاصة المثارة، معزولة ومرتبطة بالسياق الذي حدثت فيه، بل يسعى إلى المرور من حالة خاصة إلى قاعدة عامة"[2].

وقد كانت المجالس النسائية تزخر بها ولا يفوتنا أن نذكر أن المجالس النقدية كانت تنقد الشعر وبالتالي كان قوام الخطاب فيها الشواهد الشعرية:

« ثم خرج إلى دار أم جعفر فقالت له أنشدني ما أنشدت أمير المؤمنين فأنشدها فقالت أين هذا من مدائحك في المهدي والرشيد فغضب وقال: إنما أنشدت أمير المؤمنين ما يستملح وأنا القائل فيه:

يا عمود الإسلام خير عمود * والذي صيغ من حياء وجود ...»**[3].

وخطاب أم جعفر موجه إلى الشاعر أبو العتاهية الذي مدح الخليفة الأمين فانتقصت من شعره بموازنته بما قاله من قصائد شعرية مدحية في الرشيد والمهدي، وقد دافع الشاعر عن نفسه بشواهد شعرية مناسبة للمقام.

كما كانت الشواهد الشعرية كثيرة في المجالس الأدبية والمجالس الشعرية منها خاصة ومن ذلك:

---

[1]- كريستيان بلانتان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري عبد الله صولة، دار سيناترا، دط، تونس، 2010، ص87.

[2]- الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج، ص83-84.

[3]- الأصفهاني، الأغاني، ج20، ص11.

«...فقالت أأنت عمر بن أبي ربيعة؟ قلت: أنا عمر، قالت: أنت الفاضح للحرائر؟ قلت: وما ذاك ـ جعلني الله فداك! قالت: ألست القائل:

قالت: وعيش أخي ونعمة والدي * لأنبهن الحي إن لم تخرج**

فخرجت خوف يمينها فتبسمت* فعلمت أن يمينها لم تخرج...»**[1]

وهذا مجلس إحدى السيدات اللواتي لم تذكر أسماؤهن في حوارها مع الشاعر بن أبي ربيعة تذكر شواهد من شعره في تهتكه وسفهه.

كما احتج في المجالس العلمية والدينية بالشواهد القرآنية والأحاديث النبوية؛ حيث يعدان المرجعين الأساسين للحجة الدينية الداحضة التي يقف المتلقي إزاءها موقف المسلم والمقر بقوة الدليل:

«...إنما قال رسول الله : (كان أهل الجاهلية يقولون إنما الطيرة في المرأة والدار والدابة) ثم قرأت ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة الحديد، الآية 22) [2]

استدلت السيدة عائشة رضي الله عنها بشاهدين «قرآن»و«حديث» وقد حملها على ذلك استياؤها من الحديث الذي نسب إلى الرسول كذبا فأرادت أن تستدرك ما يمكن أن يشوب أحاديث المصطفى ص وتبعة ذلك على الدين الإسلامي.

وفي موضع آخر من المجالس الدينية دليل يقيني تبسطه رابعة العدوية أمام زوارها:

«لأني تيقنت قول الله تعالى ووعده: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ﴾ (سورة الأنعام، الآية 160) **فجاءت الجارية بثمانية عشر، علمت أنها أخذت رغيفين، فلما جاءت ثانيا بعشرين علمت أنها حقي...»**

[1]- إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص217.

[2]- ابن قتيبة عيون الأخبار، ج1، ص146- 147.

حين كشفت من خلال يقينها بعدل الله وصدقه من الآية التي استشهدت بها وأدركت من خلالها سرقة الجارية للرغيفين فكان ذلك دليلا على عمق إيمان رابعة وقوة صلتها بالله.

ومن المجالس الاجتماعية نذكر:

« حضرت امرأة شريفة ودخل عليها ابن الأحوص بن محمد الشاعر، فقالت: أتروي قول أبيك:

لي ليلتان فليلة معسولة * ألقى الحبيب بها بنجم الأسعد**

ومريحة همي علي كأنــني* حتى الصباح معلق بالفــرقد**

قال: نعم؛ قالت: أتدري أي الليلتين التي يبيت فيها معلقا بالفرقد؟...»[1].

ونشير هنا إلى أن المجالس العلمية والنقدية كانت أكثر إيرادا للشواهد الشعرية مقارنة بالمجالس الاجتماعية؛ وذلك لطبيعة هذه المجالس التي تتكئ على الشواهد لتكون حججا تزيل عقبات الشك والتردد وترسخ المعلومة وتوطن الفكرة في ذهن المتلقي.

كما يمكن أن تستغرق بعض المحادثات الشعر مطلقا محاورة من البداية إلى النهاية غير أن هذه النصوص لا تدخل في باب الشواهد وإنما لا تعدو كونها محاورات شعرية، الغرض منها إظهار القدرة على نظم الشعر وإجازته.

ب- حجاجية المماثلة:

كما استحضرت المرأة المحاورة أحداثا مماثلة لتدل بها على واقع حالي ومعلوم أنها تستخدم لتوضيح قاعدة معروفة ومسلم بها، أي لتمنح نوعا من الحضور في وعي المستمع وأحيانا يتم تثبيت قاعدة القاعدة بالمقارنة بين حالتين تطبيقيتين[2]

ومن ذلك في حوار أسماء بنت أبي بكر مع الحجاج:

---

[1]- الأغاني، الأصفهاني، ج4، ص263.

[2]- ينظر: الحسين بنوهاشم نظرية الحجاج، ص84-85.

« قال: كيف رأيتِ ما صنعت بابنك؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه الدنيا وأفسد عليك آخرتك ولا خير إن أكرمه الله على يديك، فقد أهدى رأس يحي بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل»[1]

استندت السيدة أسماء ،رضي الله عنها، على حادثة تاريخية لتماثل بينها وبين فعل الحجاج، وقد ناسبت بين صلاح ابنها وتقواه بالنبي يحي عليه السلام، وبين الحجاج والبغي التي أُهدي لها رأس يحي عليه السلام فماثلت في ذلك بين الحادثتين لتبين للحجاج دناءة ما اقترفه في حق ولدها مستحضرة في ذلك إلى هذه الحادثة التاريخية وكان ذلك كفيلا بالمحاجة.

ومن حجاجيات المماثلة أيضا:

« قالت يا هذا كل هذا عنا غائب، ولكن ما الذي يحصل بأيدينا منك؟ فإني أظنك تريد أن تجعلني كشاة عكرمة، أتدري من عكرمة؟ قال: لا. قالت: عكرمة بن ربعى، فإنه نشأ بالسواد...»[2]

والنص اجتماعي تستدل فيه المحاورة بحادثة اجتماعية، تظهر من خلالها تبرمها من المحاور الذي جعل مطلبه يخرج عن الأعراف الاجتماعية التي ينبغي أن تكون عليها، في مثل هذه المواقف. يتضح أثر هذه المماثلة في المتلقي من خلال إقراره في قوله لصاحبه بعد أن خرجا من عندها: (ما كنت أظن أن امرأة تجترئ على مثل هذا الكلام!)

ت- حجاجية المثل:

يعد المثل بعدا حجاجيا قويا إذ يعمل المثل دورا بارزا في ترسيخ الفكرة ونشير هنا إلى أن أغلب المجالس النسائية التي بين أيدينا كانت موارد للمثل حيث تقدم لنا

[1]- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص192.

[2]- ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص67.

مجموعة من الأمثال من خلال سياقات مختلفة ولدت عبارات قوية معنى ومحبوكة مبنى وصارت بعد ذلك مثلا يستشهد به.

وعليه نستنتج أن هذه الأمثال تميزت بميزتين حجاجيتين؛ الميزة الأولى أثره الحجاجي الحيني أي في اللحظة التي قيل فيها، وميزته الثانية في مضاربه التي يحتج بها بعد ذلك.
ومن أشهرها:

« وأصله ما حدثوا عن أن إحدى ملكات سبأ، وفد إليها قوم يخطبونها فقالت: ليصف كل رجل منكم نفسه، وليصدق، وليوجز. لأتقدم إن تقدمت، أو أدع إن تركت على علم. فتكلم رجل منهم يقال له مدرك، فقال: إن أبي كان في العز الباذخ، والحسب الشامخ. وأنا شرس الخليقة، غير رعديد عند الحقيقة، قالت: (لا عتاب على جندل) فأرسلتها مثلا. ثم تكلم آخر...فقالت: (لا يسرك غائبا، من لا يسرك شاهدا) فأرسلتها مثلا...»[1]

وقد أرسلت الملكة في هذا المجلس لوحده أربعة أمثال، لتدل بكل واحد منها على رأيها الذي بلورته من خلال وصف الرجال لأخلاقهم، لتستقيم حججها في الرفض والقبول.
ومنه أيضا:

« وأول من قال ذلك: الخنساء بنت عمرو بن الشريد، وذلك أنها أقبلت من الموسم – في عكاظ- فوجدت الناس مجتمعين على هند بنت عتبة بن ربيعة فعرجت عليها، وهي تنشدهم مراثي في أهل بيتها. فلما دنت منها قالت: على من تبكين؟ قالت: أبكي سادة مضوا. قالت أنشديني بعض ما قلت. فأنشدت هند أبياتا. فقالت الخنساء (مرعى ولا كسعدان)»[2]

ويضرب المثل للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله، وذهب مثلا بعد أن فضلت واستحسنت الخنساء انشاد هند بنت عتبة ومراثيها في سادة قومها.

[1]- محمد بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، ص87.
[2]- بدر معبدي المصدر السابق، ص89.

المبحث الرابع: حجاجية الخطاب الوصفي والكنائي والسجعي

على الرغم من ربط البلاغة بمختلف علومها بالجانب الجمالي للغة لأنها تسهم في إبراز جماليات اللغة وأدبيتها، إلا أن ذلك لا ينفي كونها نشأت لهدف آخر وهو التأثير في المتلقي، وقد أشار الجاحظ إلى ذلك من خلال دراسته للخطابة ولعلم الكلام؛ حيث رأى أن " مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[1] وقد أشارت العديد من الدراسات الحديثة إلى الدور التأثيري المنوط بالبلاغة، وبالتالي نخرج من مجال كون البلاغة علم جمالي إلى إطار أعم من خلال دراسة أثر هذه الجماليات في المتلقي، من خلال تحري المخاطب لمواضع استعمال اللغة الأدبية المناسبة.

وقد ركزنا دراستنا البلاغية حول فنين من فنونها لما رأيناه من انتشارهما كظاهرة متكررة في المجالس النسائية، وهما الكناية والسجع، ولعلنا سنقف بداية عند مفهوم كل منهما لغة واصطلاحا و نشير بداية إلى أننا سنخرج بالسجع من إطاره البديعي الضيق الذي حصر فيه إلى ما كان ينبغي أن يكون عليه بعده نسقا قوليا مختلفا، وقد ظهر ذلك جليا من خلال بعض المجالس النسائية. وقبل ذلك نقف عند الوصف كتيمة ظاهرة وبارزة بقوة في المجالس النسائية. إذ نجده يميز نصوصا كاملة من بدايتها إلى نهايتها حتى نكاد نسلم بأن الوصف أيضا هنا يمثل فنا مكتمل الأركان.

1- حجاجية الوصف:

لا شك أن الوصف يقدم أدوارا تزيينية زخرفية في بعض مواضعه، لكنه يضمر خلف ذلك وظائف أكثر عمقا وأشد أهمية، فعلاوة على الوظائف الخطابية المتصلة بالإخبار

[1]- الجاحظ، البيان والتبين، ص82.

والتطوير والتفسير والتمثيل والتعبير والاستبطان وغيرها... توجد أدوار إقناعية يضطلع بها الوصف تمكن الخطاب من اكتساب طاقة حجاجية لاستمالة مخاطبه[1]

ومن أهم ماميز الوصف في المجالس النسائية الانتقاء والإيجاز نذكر تمثيلا:

«قال القلمس: كلتاكما محسنة، فأي النساء أحب إليك يا جمعة: قالت أحب الغريرة العذراء الرعبوب عيطاء ممكورة، اللفاء ذات الجمال والبهاء والستر والحياء، البضة الرخصة أنه فضة بيضاء

قال القلمس: كيف تسمعين يا هند؟

قالت: وصفت جارية هي حاجة الفتى ونهاية الرضى وغيرها أحب إلي منها.

قال فقولي:

قال أحب إلي مشبعة الخلخال ذات شكل ودلال وظرف وبهاء وجمال.»[2].

يتكون النص من مجموعة من الأوصاف وهو مقتطع من نص طويل فيه مفاضلة وصفية بين العديد من الأشياء وفي هذا المقطع وصف للمرأة الأفضل وتجري هذه المناظرة بين جمعة وهند ابنتا الخس ونلمس في هذه الأوصاف دقة الانتقاء إذ تعمد كل من هند وجمعة على انتقاء أفضل الأوصاف التي يمكن أن تعبر عن الصورة التي تتصورها للمرأة المناسبة. ومن جانب آخر نلاحظ كيف أوجزتا في العبارة واكتفين بموجموعة من الكلمات المباشرة والواضحة دون إطالة في العبارة .

فالأوصاف تقوم على انتقائية توجه المعنى وترفده، وهي اختيارات مباشرة وصريحة ولذلك فإنه (فعل دلالة خاضع لشروط براغماتية)[3].

كما يعتبر الوصف حجاجا توجيها ويظهر التوجيه الحجاجي كمستوى عميق يثوي خلف أشكال الوصف ووظائفه الخطابية، بل إن الوصف يحتكر إنتاج الدلالة وتوجيهها

[1] - عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال القديمة مقاربة سردية تداولية، كنوز المعرفة، ط1، الأردن،1437-2016، ص 306.

[2] - بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، ص29.

[3] - ينظر: عادل الغامدي،المرجع نفسه.

فهو يوجه المخاطب نحو وجهة معينة، ولا يكون محايدا؛ إذ إنه يشف دوما عن وجهة نظر ما ويدرج قيما[1] تقول هند بنت الخس في مثال آخر:

« أتى رجل هند بنت الخس الإيادية يستشيرها في امرأة يتزوجها فقالت : أنظر، رمكاء جسيمة أو بيضاء وسيمة في بيت جد أو بيت حد أو بيت عز وقيل لها : أي النساء أفضل؟ قالت : التي إذا مشت أغبرت وإذا نطقت صرصرت متوركة جارية في بطنها جارية تتبعها جارية»[2].

ففي المثال توجيه صريح إلى اختيار نموذج معين للمرأة التي تراها مناسبة للزواج، ولعل هذه الاختيارات لا تنتج من فراغ بقدر ماهي انعكاس لتوجه اجتماعي تجسد في مخيلة المرأة، فصفات المرأة المناسبة هي: الرمكاء الجسيمة، البيضاء الوسيمة، الجارية المنجبة..

وتختلف الأوصاف في المجالس النسائية اختلاف الموضوع واختلاف المجتمعات التي وحتى اختلاف الأمزجة فنجد في النساء من توظف الأوصاف المادية كما مر سابقا ومن هن من تفضل الأوصاف المعنوية

ومن قولهن في الرجال مثلا:

وقالت الصغرى: أريده بازل عام، كالمهند الصمام؛ قرانه حبور، ولقاؤه سرور؛ إن ضم قضقض، وإن دسر أغمض، وإن أخل أحمض»

«فخرج ليلة إلى متحدث لهن فاستمع إليهن وهن لا يعلمن فقلن: تعالين نتمنى ولنصدق، ...فقالت الثانية:

ألا ليته يملأ الجفان لضيفه * له جفنه يشقى بها النيب والجزر**

له حكمات الدهر من كبرة * تشين ولا الفاني ولا الضرع الغمر»**[3]

ويمثل النموذجين الاختلاف في الأوصاف، ففي حين فضلت الأولى الجوانب المادية في الرجل، نجد الثانية مالت إلى الجوانب المعنوية وكلتاهما اعتمدتا الوصف الدقيق وإن

---

[1] - ينظر: المرجع نفسه، ص309.

[2] - القالي، الأمالي، ج2، ص285.

[3] - الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص89.

جاء على شكل بيت شعري في المثال الثاني إلا أنه يصور بدقة القيم الوصفية المعنوية كالكرم والحكمة.

2- حجاجية الكناية:

و تعد الكناية من الصور البيانية التي حفلت بها اللغة العربية، خاصة في الأدب العربي القديم لما لها من براعة في إيراد معنى وقصد غيره، وقد عُرِّفت الكناية لغة على أنها" عدول عن لفظ إلى آخر دال عليه، والعدول في هذا المفهوم اللغوي للكناية لا يعني ستره وإخفاءه وتضليله كما هو في التورية ولا يعني أيضا إبرازه وإظهاره وكشفه فينقلب التعبير إلى تعبير مباشر يقرر معناه بطريقة مباشرة، وإنما يعني أن المكنى عنه ليس بالواضح وضوح المذكور صراحة، ولا هو بالخفي المضلل الذي لا تكاد تتبينه إلا بالتأمل وإمعان النظر هو أشبه ما يكون بالمكسو بثوب رقيق شفاف يوحي بالمعنى ولا يباشر به، يلمح إليه ولا يقرره"[1] ومن المعاني التي استعملت في الكناية أيضا الكنية وهي " على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره، والثاني أن يكنى الرجل باسم توقيرا وتعظيما، والثالث أن تقوم الكنية مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه كأبي لهب"[2]

وهي عند القزويني : لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ، كقولك: فلان طويل النجاد، أي طويل القامة، وفلانة نؤوم الضحى أي مرهفة مخدومة غير محتاجة إلى السعي بنفسها..."[3] ومن ذلك كل الأمثال التي شهدتها الحضارة العربية.

---

[1]- أحمد فتحي رمضان الحياني، الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالاتها البلاغية، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2014،ص19- 20.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مادة كني.

[3]- الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمان، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت، 2003، ص 248.

ومن دلائل حجية الكناية قول الجاحظ " الكناية أسلوب تقتضيه الضرورة، فهو عنده أبلغ من التصريح إذا كان التصريح لا يحسن، أو كان متعذرا، والتصريح أبلغ إذا كانت الكناية لا تفي بالغرض، يقول في ذلك: وقال بعض أهل الهند: ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها"[1] كما يرى الجرجاني أن الكناية أبلغ من الإفصاح والتعريض أوقع من التصريح"[2] ونلمس أهمية الكناية في التأثير على المتلقي من قوله أوقع وأبلغ، وقال السكاكي أيضا في مفتاح العلوم " واعلم أن أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة مطبقون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه، وأن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر"[3] فقد أجمع علماء اللغة والبلاغة كما هو واضح من هذه التعريفات على أثر البلاغة على الخطاب وعلى المتلقي ومنه ندرك أن تواتره بكثرة في خطاب المرأة العربية في الأدب القديم كان مرده إلى هذا الأثر النفسي الذي يتركه في السامع، كما قد يكون هناك علاقة بين شخصية المرأة العربية وميلها إلى التكنية دون التصريح وكل ذلك راجع إلى طبيعة الفكر الاجتماعي السائد والمحافظ. وفيما يأتي جدولا ببعض الكنايات الواردة في المجالس النسائية مع نوعها:

الكناية	نوعها	نوع المجلس الذي وردت فيه
رفيع العماد	كناية عن صفة السؤدد	نثري اجتماعي
عظيم الرماد	كناية عن صفة الكرم	نثري اجتماعي
طويل النجاد	كناية عن صفة الفروسية	نثري اجتماعي
قريب البيت من الناد	كناية عن صفة المكانة	نثري اجتماعي

[1]- أحمد فتحي، المرجع السابق، ص27.

[2]- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، مطبعة الفجالة الجديدة،ط1، القاهرة، 1969، ص109.

[3]- السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت، 1983، ص194-195.

ابنة ذي العمامة	كناية عن موصوف	نثري اجتماعي
يمنع الجانب	كناية عن موصوف	نثري اجتماعي
يمنح الراغب	كناية عن موصوف	نثري اجتماعي
عظيم النار	كناية عن صفة الكرم	نثري اجتماعي
في الأهل صبي	كناية عن صفة الوداعة	سجعي
عجره وبجره	كناية عن موصوف	نثري اجتماعي/ سجعي
المنسوب جده	كناية موصوف الخيل	سجعي
يمر من البرق	كناية عن صفة السرعة	سجعي
وارم الوريد	كناية عن موصوف	سجعي
ذا ركال شديد	كناية عن صفة القوة	سجعي
لايسترك شاهدا ولاغائبا	كناية عن عدم الأمان	سجعي
مشبعة الخلخال	كناية عن صفة الامتلاء	سجعي
رحب الذراع	كناية عن صفة	سجعي
طويل الباع	كناية عن صفة	سجعي
الذي يحل باليفاع		سجعي
يهين في الحمد المتاع		سجعي
تقعد بالفناء وتملأ الإناء	كناية عن صفة الوداعة	نثري اجتماعي
إذا مشت أغبرت	كناية عن صفة الثقل	سجعي
يطيع أمه ويعصي عمه	كناية عن صفة الجبن	سجعي
إن ضم فضقض إن دسر أغمض إن أخل أحمض	كناية عن الجماع	سجعي
زوجي العشنق	كناية عن صفة الطول	نثري اجتماعي
جارية في بطنها جارية تتبعها	كناية عن المرأة الصغيرة	سجعي

جارية	الولود	
صارت عظاما بالية	كناية عن طول مدة الموت	شعري
إن دخل فهد وإن خرج أسد	كناية عن الجمع بين اللين والقوة	سجعي
يعظم النار	كناية عن صفة الكرم	نثري اجتماعي
ينحر العشار بعد الحوار	كناية عن صفة الضيافة	نثري اجتماعي
عظيم الخطر	كناية عن صفة الشدة	نثري اجتماعي
يحمد منه الورد والصدر	كناية عن صفة	سجعي
يروي السنان عند الطعان	كناية عن صفة البأس	سجعي
المبقية على بعلها	كناية عن حسن المعاشرة	نثري اجتماعي
تجر أعطافها	كناية عن صفة الخيبة	نثري اجتماعي
وقود النار	كناية عن صفة القوة	سجعي
قطعنا في الأرض	كناية عن صفة التشهير	شعري
يملأ الجفان لضيفه	كناية عن صفة الكرم	نثري اجتماعي
تحملنا وضعيفنا معا	كناية عن صفة القدرة	نثري اجتماعي
تملأ الإناء	كناية عن غزارة اللبن	نثري اجتماعي

يحمل الجدول كما هو مبين 40 كناية مختارة من المجالس لا على التعيين، والملاحظ على هذه الكنايات أن 19 منها من المجالس النثرية، و19 من السجعية، وتبقى كنايتين من المجالس الشعرية.

كما نلاحظ أن أغلب الكنايات في المجالس النثرية تأتي ضمن الاجتماعية منها بالخصوص، وعندما نقول اجتماعية فهذا يعني أن الخطاب الحواري في هذه المجالس حوار عام ويومي، ووجود الكنايات فيه بهذه السمة المكثفة دليل على فصاحة لغة المرأة

العادية، إضافة إلى جنوحها للتكنية وذلك راجع كما ذكرنا سابقا إلى طبيعة المجتمع وطبيعة اللغة، وكذا التأثير الذي تمارسه المرأة من خلال رفع مستوى اللغة.

وأما بالنسبة للمجالس السجعية فكثرة الكنايات فيه يعد أمرا ضروريا وطبيعيا إذ الهدف من إيرادها إبراز التفوق اللغوي والتأثير على المتلقي سواء كان من باب المفاضلة أو الوصف.

ومدار الحوار في المجالس الشعرية حول القصائد والأبيات؛ لذلك نلاحظ أن المتحاورين في هذا النوع أقل توظيفا للكناية.

بالنسبة للمجالس النثرية من السياسية والدينية، فواضح أن الخطاب يعتمد أكثر على الوضوح والمباشرة، لما تقتضيه المقامات وأطراف الحوار، وحتى الموضوعات لذلك فإن إيراد الكناية يكاد ينعدم فيها.

3- حجاجية السجع:

ويعدّ السجع كما سبق الذكر نمطا حجاجيا؛ لما للجرس الموسيقي من أثر بالغ في النفس البشرية والنفس بطبعها تنزع إلى الجمال الفني، ولعل ذلك كان سببا لجنوح الكهان إلى استعماله في أحاديثهم وقد رأينا سابقا مكانة الكاهن في المجتمع العربي القديم، وقد لاحظنا أن استعماله امتد إلى أنواع أخرى من النصوص مثل المقامات في العصر العباسي التي كان قوامها الفني السجع في مقدمة ما يتكئ عليه الكاتب في هذا الفن، كما وجدناه ركيزة أساسية في مجالس المفاضلة والوصف، وسنمثل من خلال الآتي بأنواع من مختلف النصوص المسجوعة مع دراسة لهذه الأنواع.

أ- أنواع النصوص السجعية:

نستند في تصنيف النصوص السجعية في هذا البحث إلى ما قدمه بدر الجابري في كتابه حول نسقية السجع حيث رأى أن هذه النصوص تنقسم إلى نوعين نصوص ملتزمة ونصوص محتشمة.

- **النص الملتزم:**

"وهو النص الذي يلتزم فيه السجع من أوله إلى آخره ولا يكاد يخرج عنه إلا إلى الشعر أو جمل مرسلة نادرة لا يظهر لها تأثير" وقد تكون هذه الجمل المرسلة بمثابة الاستهلالات التي يفتتح بها النصوص ونمثل لذلك بـ:

«جلست إحدى عشرة امرأة، فتعاهدن وتعاقدن ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا فقالت الأولى: زوجي لحم جمل غث على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل.

قالت الثانية: زوجي لاأبث خبره، إني أخاف ألا أذره، إن أذكره أذكر عجره وبجره...»[1]

ونلاحظ بأن هذا النص قد افتتح بجملة استهلالية من النثر مرسلة، ثم ينتقل إلى الوصف الذي جاء في مجمل قول النساء مسجعا ومختلفا في السجعات بين الواحدة والأخرى.

ونشير هنا إلى أن النصوص الملتزمة فيما جمعناه من مدونة كانت قليلة مقارنة بالنصوص المحتشمة، وهذا ما سنفصل القول فيه فيما يأتي.

- **النص المحتشم:**

وهو النص الذي تتخلله أجزاء غير مسجوعة بنسبة معينة غير كبيرة، بحيث لا تخرجه من حكم المسجوع. فإذا كانت الفقرات المرسلة هي الأغلب وبدت الفقرات المسجوعة عارضة ومشتتة في النص بنسبة أقل، فإن النص لا يوصف بأنه مسجوع"[2]

[1]- أحمد بن عبد الغني، حسن القرع على حديث أم زرع، ص40.

[2]- بدر الجابري، السجع العربي، ص156.

وهنا نقف على جملة كبيرة من النصوص من هذا النوع باعتبار أنها نصوص مجالس قائمة على المحاورة، بحيث تقتضي انتقال الكلام من مركز تلفظي إلى آخر. وتختلف نسب وورود الجمل المرسلة بحسب عدد المتدخلين في الحوار. نورد تمثيلا:

«ثم اجتمعن إليه فقال للكبرى: يا بنية ما مالكم؟ قالت: الابل؛ قال: فكيف تجدونها؟ قالت: خير مال، نأكل لحومها مزعا، ونشرب ألبانها جرعا، وتحملنا وضعيفنا معا؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: خير زوج، يكرم الحليلة، ويعطي الوسيلة؛ قال: مال عميم وزوج كريم. قال للثانية: يا بنية ما مالكم؟ قالت: البقر، قال: فكيف تجدونها؟ قالت: خير مال، تألف الفناء، وتودك السقاء، وتملأ الإناء، ونساء في نساء...»[1]

فالمجلس يمثل حوارا بين أب وبناته يسألهن ويجبن، فيكون السؤال مرسلا وإجابة البنات مسجوعة ويكون الجواب أكثر طولا من السؤال، كما هو واضح في المثال ما يعني أن النص يدخل في إطار النص السجعي المحتشم كما ذكرنا سابقا.

ويصطلح على العبارات المرسلة الواردة ضمن النوعين على السواء بالأجزاء العارضة.

ب- الأجزاء العارضة:

وتعني " الأجزاء غير المسجوعة من الكلام في النص السجعي. وباعتبار السجع نظاما ذا بنية شكلية مستقلة فإن هذه الأجزاء العارضة إما أن تكون شعرا وإما تكون نثرا. فأما الشعر فيسهل تمييزه لأنه بمثابة تحول كتابي وإيقاعي فارق وواضح. لكن النثر فكثير الاختلاط بالسجع... ويبقى التفريق بينهما رهنا بتحسس الإيقاع"[2]

وقد رأينا سابقا الجملة الاستهلالية التي تكون من الأجزاء العارضة في النص المسجوع، كما يمكن أن تكون هذه الأجزاء في متن النص ويتمثل في المجالس النسائية

[1]- الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص89.

[2]- بدر الجابري، السجع العربي، ص 154.

خاصة في فعل القول وجملة مقول القول التي تكون في الغالب على شكل سؤال لأن هذه النصوص حوارية ونمثل لذلك بـ:

« أتى رجل هند بنت الخس الإيادية يستشيرها في امرأة يتزوجها فقالت : أنظر، رمكاء جسمية أو بيضاء وسمية في بيت جد أو بيت حد أو بيت عز وقيل لها : أي النساء أفضل؟ قالت : التي إذا مشت أغبرت وإذا نطقت صرصرت متوركة جارية في بطنها جارية تتبعها جارية ..»[1]

ت- الوحدات المسجوعة:

" هي الوحدة الكلامية التي ينبني عليها السجع. وقد تحدث القدامى في ثنايا مصنفاتهم عن الوحدة السجعية ، وإن كانوا لم يلقبوها بهذا المصطلح، إلا إنهم فصلوا عناصرها التي تتكون منها، ووضحوا القواعد التي تحكمها...والملاحظ أن القدامى يصنفون السجع وفقا لاثنين من الأسس، الأول هو أساس الطول النسبي للسجعات، والثاني هو أساس تغير الفاصلة أي انتقالها من نوع إلى آخر وأبرز تلك الأنواع ما بني على تغير الحرف الأخير"[2] فقسم السجع من خلال ذلك إلى سجع مطرف وترصيع ومتوازي وكما هو واضح فقد استند في هذا التقسيم إلى الجانب الشكلي مطلقا غير أن الدارسين المحدثين والذين نظروا لنسقية السجع أضافوا مؤشرا آخر وهو الانتقال من محور معنوي إلى آخر إذ ينبغي التأكيد على أن ظاهرة المزاوجة المعنوية لها في السجع أهمية تحمل على ترك القول بأن القافية هي العنصر الأساسي فيه، والتأكيد على أنها مجرد عنصر إيقاعي لا يعدو وظيفة إضافية[3] ويعد تغير الفاصلة المرتبط بتغير المحور المعنوي من أكثر الأشكال التي لاحظناها متواترة في المجالس النسائية ونمثل لذلك بـ:

---

[1]- القالي، الأمالي، ج2، ص285.

[2]- بدر الجابري، المرجع السابق، ص159.

[3]- ينظر، المسعدي، الإيقاع في السجع العربي محاولة تحليل وتحديد، دار الجنوب للنشر، تونس، 2002، ص293، نقلا عن: بدر الجابري، المرجع السابق، ص 159.

- **المطرف:**

هو ما اختلفت فيه الفاصلتان أو الفواصل وزنا واتفقت رويا وذلك بأن يرد في أجزاء الكلام سجعات غير موزونة عروضيا وبشرط أن يكون روي القافية[1] ونمثل لذلك بـ:

«... الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، التعهد لموقع عينه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقود..»[2]

حيث يتضح لنا من خلال قراءة هذا النموذج أنه سجع مطرف، إذ لم تلزم الموصية نفسها بوزن واحد من جهة ومن جهة أخرى فقد التزمت بالروي الذي يختلف هو الآخر من محور معنوي إلى آخر؛ فهو يختلف من وصايا ينبغي أن تتبعها الزوجة فيما يخصها هي كامرأة (شكلا)، إلى الأخلاق التي ينبغي عليها أن تعامل بها زوجها.

- **الترصيع:**

فإن كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها، مثل ما يقابله في الأخرى من الوزن والتقفية فهو الترصيع[3] وبعبارة أخرى هو " مقابلة كل لفظة من فقرة النثر أو صدر البيت بلفظة على وزنها ورويها[4] مثل:

«...أنظر رمكاء جسيمة، أو بيضاء وسيمة، في بيت جد، أو بيت حد، أو بيت عز، قال: ما تركت من النساء شيئا؟ قالت: بلى شر النساء تركت السويداء الممراض والحميراء المحياض الكثيرة المظاظ...»[5]

---

[1]- عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية،دط، بيروت،دت، ص218.

[2]- إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص143.

[3]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص296.

[4]- عبد العزيز عتيق، علم البديع، ص218.

[5]- القالي، الأمالي، ج2، ص260.

حيث كانت المساواة هنا واضحة في الوزن وحرف الروي الذي انقسم إلى قسمين قسم مرتبط بالمرأة المناسبة للزواج وقسم تذكر فيه المرأة غير المناسبة لذلك. ومنه نستنتج أن الاختلاف وقع بين محورين معنويين في هذا المثال. مع توفر الترصيع الملائم لكل جزء.

- **المتوازي:**

وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة أي الفقرة مع نظيرتها في الوزن والروي[1] أي ما تفقت فيه لفظتا آخر الفقرة فقط دون باقي الكلمات المكونة للفقرة في الوزن والروي ومثل ذلك:

«**فتكلم رجل منهم يقال له مدرك، فقال: إن أبي كان في العز الباذخ، والحسب الشامخ. وأنا شرس الخليقة، غير رعديد عند الحقيقة، قالت: (لا عتاب على جندل) فأرسلتها مثلا. ثم تكلم آخر منهم يقال له ضبيس ابن شرس. فقال: أنا في مال أثيث، وخلق غير خبيث، وحسب غير عثيث، أحذو الفعل بالفعل، وأجزى القرض بالفرض، فقالت: (لا يسرك غائبا، من لا يسرك شاهدا) فأرسلتها مثلا.ثم تكلم آخر منهم يقال له شماس بن عباس فقال: أنا شماس بن عباس، معروف بالندى والباس، حسن الخلق في سجية، والعدل في قضية**»[2]

إذ تتفق اللفظات في أواخر الجمل في الوزن والحرف الأخير كما هو واضح من خلال الألفاظ الآتية:

الكلمة1	الكلمة2	الكلمة3
الباذخ	الشامخ	
الخليقة	الحقيقة	
أثيث	خبيث	عثيث
عباس	الباس	

[1] - عبد العزيز عتيق، المرجع نفسه، ص219.

[2] - بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، ص87.

خلاصة:

وجهنا بوصلة المبحث الأول في هذا الفصل صوب أحكام القيم التي حبلت بها مجالس النساء واتخذتها المحاورات حججا في خطاباتها بمختلف مشاربها ففي المجالس العلمية والنقدية اعتمدت قيم الذوق والجمال ومطابقة الشعر للواقع واختلفت في المجالس العلمية بحسب الموضوع المطروق فيها.

وحين عرجنا إلى المجالس الاجتماعية استخلصنا شبكة من القيم الأخلاقية والنفسية حاججت بها المرأة سواء تعلقت هذه القيم بما تواضع عليه المجتمع العربي من مبادئ أو ما توافق وهوى المرأة وقناعاتها الذاتية والنفسية.

كما لمسنا قوة القيم الدينية وارتباط المرأة بالدين واعتزازها بها خاصة عند المرأة المتصوفة والمرأة المعلمة ونمثل هنا بالسيدتين رابعة العدوية والسيدة عائشة رضي الله عنها.

وتمايزت قيم المفاضلة كتيمة متكررة في مختلف المجالس فقد فاضلت المرأة في المجالس النقدية بين الشعراء وفاضلت بين النساء والرجال، وفاضلت بين الأشياء، وهي تبرز في كل ذلك مهارة لغوية وأدبية فضلا عن دقة الوصف وبراعة التصوير ونلمس ذلك خاصة في المجالس الأدبية.

وقد غلب على خطاب المرأة النقد االلاذع والهجاء في كثير من المجالس ولعل ذلك يصور جانبا من شخصية المرأة الواضحة والمباشرة النابذة للتملق والمماراة، يحيل ذلك إلى جوانب من السلطة التي تمتعت بها المرأة العربية كسلطة الناقدة وسلطة العالمة والمتصوفة.

وقادنا البحث في آليات الخطاب النسوي القديم إلى تتبع مكامن السرد الذي نلاحظ أنه استعمل للمحاججة، وكان حضوره في خطاب المجالس الاجتماعية أكثر تواترا من باقي الأنواع، في حين اختصت البقية بحجج الشواهد والأمثال والمماثلة.

وخلصنا من دراسة البيان والبديع بشقيه الكنائي والسجعي في المبحث الرابع إلى تكرر استخدام المرأة لهذين المركبين البلاغيين بصفة كبيرة، ولا يخفى على دارسي البلاغة والحجاج مدى تأثيرهما في محاججة المخاطب والتأثير فيه.

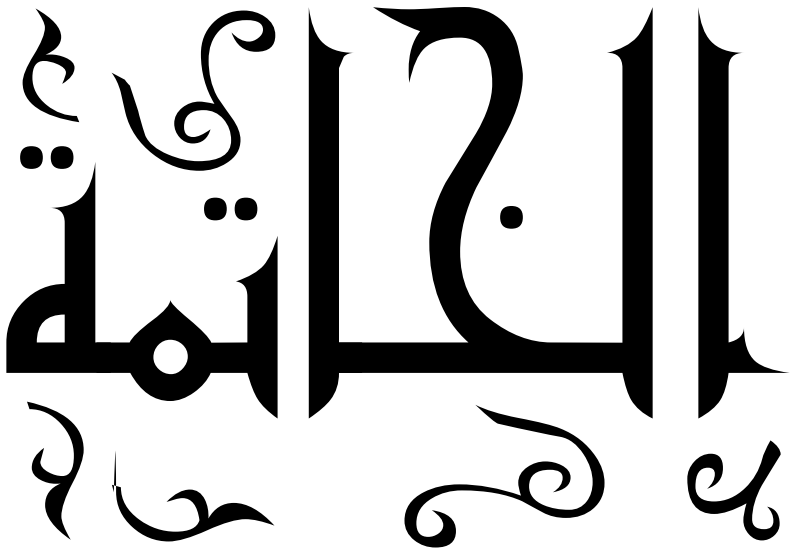
الخاتمة

الخاتمة :

انطلق البحث من اشكالية جوهرية تتغيا التنقيب في طبيعة الخطاب النسوي القديم، من خلال محاورات المجالس التي سعينا إلى جمعها، وذلك برصد وتتبع هذه المجالس في مضان الكتب التاريخية والأدبية، وبعد تحليلنا للخطابات التي دارت فيها توصلنا إلى النتائج التالية:

- أطرت بعض العبارات الابتدائية مقاصد أطراف الحوار من اللقاءات والمجالس فكانت المقصديات تختلف باختلاف طبيعتها، منها ماهو وظيفي علمي يبتدئ بعبارات الرغبة في التعلم والتعليم، وتصحيح الأخطاء والنقد، بل وحتى المبارزة وإظهار التفوق، ومنها ماهو جمالي فني الغرض منه إبراز الجمال اللغوي والشعري، ومنها ماهو اجتماعي هدفه العلاقات الاجتماعية واللقاءات الحميمية الأسرية وكل ذلك يستشف من خلال العبارات الأولية من المجالس.
- تنوع أطراف الحوار تفرضه طبيعة المجلس والهدف من عقده، فهناك مجالس للشعراء والأدباء ومجالس للفقهاء ومجالس نسوية للصديقات ومجالس للأسرة من زوج وزوجة وأبناء...
- اختلاف المساهمات الحوارية لأطراف الحوار بحسب طبيعة المجلس، والموضوع المتحاور فيه حيث:

- استأثرت المرأة الناقدة والمعلمة بمجمل الخطاب، لأنها في الغالب سيدة المجلس وصاحبته كما أنها تسعى إلى التوجيه و التعليم، اتضح لنا ذلك من خلال المجالس النقدية والمجالس التعليمية كمجالس الوصايا وغيرها.
- وقد اختلفت المساهمات الحوارية في باقي أنواع المجالس كالاجتماعية والدينية والسياسية، بين الاستئثار حينا وبين التساوي بين المتحاورين في أحيان كثيرة؛ وخاصة في المجالس الاجتماعية أين يتساوى عادة المجتمعون في المنزلة الاجتماعية، مجالس الضرائر والصديقات نموذجا، وذلك لعدم وجود سيادة على المجلس.

- المبادلات الحوارية تكون في المجالس النثرية النسائية أوسع وأكثر انفتاحا على تعدد أطراف الحوار في حين تكون أقل منها في الأنواع الأخرى، وذلك راجع إلى أن هذه الأخيرة تكون أكثر خصوصية في طبيعة المتحاورين وموضوع الخطاب، كما أنها تكون من نوع السلبية أكثر مما يساعد على انفتاح الحوار وتجديده.

- الالتزام بالمبادئ التداولية في العموم مع عدم استثناء بعض الخروقات للقواعد، وذلك في حدود ما هو معقول؛ فالقاعدة لا تلغي الاستثناء كما أن الاستثناء لا يلغي القاعدة، وهذا يقودنا إلى التنبيه إلى مواضع الدقة والبلاغة ومطابقة الكلام لمقتضى الحال والمقام.
- في حين لاحظنا أن هذه الخروق تتواتر بوتيرة أكبر في مبدأ التأدب واعتبار جانب التهذيب، وذلك راجع إلى المكانة الاجتماعية والدينية والعلمية التي تمتعت بها المرأة في مجالسها؛ حيث نجد أن الخطاب النسوي يميل إلى المباشرة والتصريح.
- أما بالنسبة للأفعال الكلامية فنجدها تنوعت بين الوصفية التقريرية والانجازية؛ ولاحظنا أن أفعال الأمريات والوعديات أكثر تداولا وتكرارا، ويقع ذلك خاصة في المجالس النقدية والتعليمية لأنها تتكون من عبارات الاستفهام والأمر بكل ضروبهما في حين تقل في المجالس الاجتماعية والدينية والسياسية لأنها تعتمد أكثر على سرد الأحداث واسترسال الخطابات.
- وتوزعت الأفعال الناتجة عن القول إلى العديد من الأضرب؛ منها التوبيخ والافتخار والاستصغار والغضب وغيرها، يستشف ذلك من طبيعة الخطاب.
- توصلنا من خلال تحليل المضامين القيمية والخطابية إلى التعرف على أهم القيم التي حملتها خطابات المتحاورين في المجالس النسائية وهي:

- التركيز على قيم الذوق والجمال ومطابقة الخطاب للواقائع النفسية والاجتماعية والعاطفية.

- الدعوة إلى القيم الفاضلة المهذبة للنفوس وتصحيح المعتقدات الخاطئة في المجالس النقدية والتعليمية.
- قوة المرأة في التعبير عن قيمها أي كانت قناعاتها الذاتية، وقوة تأثيرها فيمن حولها
- تمسك المرأة بالقيم الدينية ودفاعها المستميت عن قناعاتها الإيمانية، ومعتقداتها إسلامية أو غيرها، خاصة عند المرأة المتصوفة والكاهنة.
- دقتها اللغوية في إبراز قيم المفاضلة والتمييز بين الأشياء المفاضل فيها مادية ومعنوية
- تمتع المرأة في كثير من المجالس بالقيم السلطوية، يظهر ذلك جليا من خلال إدارة الحوار في مجالسها أو استئثارها عليه. كما يتجسد أيضا في ألفاظ الخطاب المباشرة والتصريحية دون ممراة أو مداراة.
- خروج خطاب المرأة في أكثر من مناسبة عن الآداب العامة إلى الهجاء والنقد اللاذع واللهو والمجون.

- أدرجت المرأة في خطابها السرد التاريخي والقصصي، وتمظهر أكثر في المجالس الاجتماعية إذ تستند أكثر على الحكي.
- حاججت المرأة بالشواهد الدينية والشعرية وماثلت بالوقائع التاريخية.
- أنتجت المجالس النسائية العديد من العبارات المسكوكة التي أصبحت تتداول على أنها أمثال ولها مضارب.
- اتكأت المرأة كثيرا على الكناية في الخطاب حجة وبلاغة؛ حيث عُدّت الكناية أسلوبا من الأساليب البلاغية المراد منها إيصال المعنى بطريق غير مباشر، وللكناية أثرها الجمالي والفني في المتلقين.
- عضدت العديد من نماذج المجالس النسوية نظرية النوع الخطابي الثالث وهو السجع، وذلك من خلال إيراد العديد من الشواهد تدل دلالة قطعية على الفرضيات التي تناولها بعض النقاد الذين أصلوا لهذه الفرضية النقدية.

- وفيما يخص المجالس عموما كما رأينا في الفصل الأول، فقد أشرنا إلى كون المجالس النسائية في دائرة الخبر الأدبي، ولذلك تناولناه تداوليا وحجاجيا واستخلصنا من خلال جمعها وتصنيفها إلى أنها تنقسم إلى أنواع:

- المجالس النقدية والعلمية، كمجالس سكينة بنت الحسين في النقد، ومجالس عائشة رضي الله عنها.
- المجالس الاجتماعية، وهذه اختلفت بحسب المواضيع وأطراف المشاركين في الحوار.
- المجالس الدينية والسياسية حيث شاركت المرأة بفاعلية في هذين المجالين ولم تكن غائبة عنها.
- اعتبرنا البيت مجلسا والقصر مجلسا والمتنزه مجلسا والصومعة مجلسا، ولم نكتف بالمجالس المعروفة تاريخيا فقط، ذلك أن الاكتفاء بمجالس نساء الخلفاء أو الشهيرات من النساء يحاصر نشاط المرأة، و يقنن مساهمتها في عجلة الفكر، والمعلوم أن الكثير من البيوت تعد مرابع للعلم والفكر.

- التزام المجالس النسائية بجملة من الآداب على غرار المجالس عامة، مع وجود استثناءات وخرق كبير لهذه الآداب العامة.
- غياب تام لخطاب الجندر وحضور بارز للمرأة كفاعل قوي في مختلف الميادين.

وتبقى هذه النتائج قابلة للإثراء والبحث والتنقيب أكثر، ولعل الفصل بين أنواع المجالس في البحوث مستقبلا يكون أدعى لاستخلاص نتائج أدق والتعمق في طبيعة كل نوع على حدة، ولعل ذلك يساعد أكثر في إبراز مساهمات المرأة العربية في القديم في الجانب الحضاري والفكري، ومحاورة الفكر الإقصائي الحداثي الذي يغيب بعلم وبجهل دور المرأة في الثقافة العربية.

الإملاء

الملاحق:

أولا:المجالس النثرية:

1) مجلس عمرة مع نسوة:

« قال الزبير حدثني عمي قال: ثم إن حسان بن ثابت مر يوما بنسوة فيهن عمرة بعد أن طلقها، فأعرضت عنه وقالت لامرأة منهن: إذا حاذاك هذا الرجل فاسأليه من هو وانسبيه وانسبي أخواله وهي متعرضة له، فلما حذاهن سألته من هو ونسبته فانتسب لها، فقالت : فمن أخوالك؟ فأخبرها، فبصقت عن شمالها وأعرضت عنه؛ فحدد النظر إليها وعجب من فعلها وجعل ينظر إليها، فبصر بامرأته وهي تضحك فعرفها وعلم أن الأمر من قبلها أتى»[1]

2) مجلس صديقات يذكرن صديقتهن المتوفية:

« وحدث ابن سراج قال: أخبرني بعض الإخوان أن بعض البصريين أخبره قال : كنا لمة تجتمع ولا يفارق بعضنا بعضا ، فضجرنا من المقام في المنازل فقال بعضنا : لو عزمتم فخرجنا إلى بعض البساتين ، فخرجنا إلى بستان قريب منا، فبينا نحن فيه إذ سمعنا ضجة راعتنا ، فقلت للبستاني : ما هذا ؟ فقال: هؤلاء نسوة لهن قصة فقلت له أنا دون أصحابي : ماهي؟ قال العيان أكبر من الخبر، فقم حتى أريك وحدك، فقلت لأصحابي أقسمت ألا يبرح أحد منكم حتى أعود، فنهضت وحدي فصعدت إلى موضع أشرف عليهن وأراهن ولا يرينني، فرأيت نسوة أربعا كأحسن مايكون من النساء وأشكلهن، ومعهن خدم لهن ومعه خمسة أجزاء من القرآن فدفع إلى كل واحدة منهن جزءا ووضع الجزء الخامس بينهن فقرأن أحسن قراءة، ثم أخذن الجزء الخامس فقرأت كل واحدة منهن ربع الجزء، ثم أخرجن صورة معهن في ثوب ديبقي فبسطنها بينهن فبكين عليها ودعون لها ثم أخذن في البوح فقالت الأولى:

[1] - الأصفهاني، الأغاني،ج3، ص18..

خلس الزمان أعز مختلس*** ويد الزمان كثيرة الخلس

لله هالكة فجعت بها*** ما كان أبعدها من الدنس

أتت البشارة والنعي بها *** ياقرب مأتمها من العرس

ثم قالت الثانية:

ذهب الزمان بأنس نفسي عنوة *** وبقيت فردا ليس لي من مؤنس

أودى بملك لو تفادى نفسها *** لفديتها ممن أعز بأنفس

ظلت تكلمني كلاما مطمعا *** لم أسترب فيه بشيء مؤيس

حتى إذا فتر اللسان وأصبحت *** للموت قد ذبلت ذبول النرجس

و.....منها محاسن وجهها *** وعلا الأنين تحته بتنفس

جعل الرجاء مطامعي يأسا كما *** قطع الرجاء صحيفة المتلمس

ثم قالت الثالثة:

جرت على عهدها الليالي*** وأحدثت بعده أمور

فاعتضت باليأس منك صبرا *** فاعتدل اليأس والسرور

فلست أرجو ولست أخشى *** ماأحدثت بعدك الدهور

فليبلغ الدهر في مساتي*** فما عسى جهده يضير

ثم قالت الرابعة:

خدن نفيس من الدنيا فجعت به *** أفضى إليه الردى في حومة القدر

ويح المنايا أما تنفك أسهمها *** معلقات بصدر القوس والوتر

يبلى الجديدان والأيام بالية *** والدهر يبلى وتبلى جدة الحجر

ثم قمن وقلن بصوت واحد:

كنا من المساعدة *** نحيا بنفس واحدة

فمات نصف نفسي*** حين ثوى في الرمس

فما بقائي بعده *** وشطر نفسي عنده

فهل سمعتم قبلي *** فيمن مضى بمثلي

عاش بنصف روح *** في بدن صحيح

ثم تنحين وقلن لبعض الخدم: كم عندك منهن؟ قال: أربعة، قلن : ائت بهن، فلم ألبث إلا قليلا حتى طلع بقفص فيه أربعة غربان مكتفات فوضع القفص بين أيديهن فدعون بعيدان فأخذت كل واحدة منهن عودا فغنت:

لعمري لقد صاح الغراب بينهم*** فأوجع قلبي بالحديث الذي يبدي

فقلت له أفصحت لاطرب بعدها *** بريش فهل للقلب ويحك من رد

ثم أخذن واحدا من الغربان فنتفن ريشه حتى تركنه كأن لم يكن عليه ريش قط، ثم ضربنه بقضبان معهن لا أدري ما هي حتى قتلنه، ثم غنت:

أشاقك والليل ملقى الجران *** غراب ينوح على غصن بان

أحص الجناح شديد الصياح *** يبكي بعينين ما تهملان

وفي نعبات الغراب اغتراب *** وفي البان بين بعيد التدان

ثم أخذن الثاني فشددن في رجليه خيطين وباعدن بينهما وجعلن يقلن له:

أتبكي بلا دمع وتفرق الألاف فمن أحق بالقتل منك؟ ثم فعلن به ما فعلن بصاحبه، ثم غنت الثالثة:

ألا يا غراب البين لونك شاحب *** وأنت بلوعات الفراق جدير

فبين لنا ما قلت إذ أنت واقع *** وبين لنا ماقلت حين تطير

فإن بكك حقا ما تقول فأصبحت ***همومك شتى والجناح كسير

ولازلت مكسورا عديما لناصر*** كما ليس لي من ظالمي نصير

ثم قالت له: أما الدعوة فقد استجيبت، ثم كسرت جناحيه، وأمرت ففعل به ذلك، ثم غنت الرابعة:

عشية مالي حيلة غير أنني *** بلقط الحصى والخط في الدار مولع

أخط وأمحو كل ماقد خططته *** بدمعي والغربان في الدار وقع

ثم قالت لأخواتها: أي قتلة أقتله؟ فقلن لها: علقيه برجليه وشدي في رأسه شيئا ثقيلا حتى يموت، ففعلت به ذلك، ثم وضعن عيدانهن ودعون بالغداء فأكلن، ودعون بالشراب فشربن، وجعلن كلما شربن قدحا شربن للصورة مثله وأخذن عيدانهن فغنين؛ فغنت الأولى:

أبكي فراقكم عيني فأرقها *** إن المحب على الأحباب بكاء

لازال يعدو عليهم ريب دهرهم *** حتى تفانوا وريب الدهر عداء

ثم غنت الثانية:

أما والذي أبكى وأضحك والذي *** أمات و أحيا والذي أمره الأمر

لقد تركنني أحسد الوحش أن أرى *** ألفين منها لا يروعهما الدهر

ثم غنت الثالثة:

سأبكي على ما فات منك صبابة *** وأندب أيام الأماني الذواهب

أحين دنا من كنت أرجو دنوه *** رمتني عيون الناس من كل جانب؟

فأصبحت مرحوما وكنت محسدا *** فصبرا على مكروه مر العواقب

....»[1]

3) مجلس هند بنت ربيعة مع أبيها:

« وذكروا أن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت لأبيها: يا أبت، إنك زوجتني من هذا الرجل ولم تؤامرني في نفسي، فعرض لي معه ما عرض؛ فلا تزوجني من أحد حتى تعرض علي أمره، وتبين لي خصاله، فخطبها سهيل بن عمر، وأبو سفيان بن حرب، فدخل عليها أبوها وهو يقول:

أتاك سهيل وابن حرب وفيهما*** رضا لك يا هند الهنود ومقنع

وما منهما إلا يعاش بفضله*** وما منهما إلا يضر وينفع

[1]- محمد بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، ص167.

وما منهما إلا كريم مرزأ ***وما منهما إلا أغر سميدع

فدونك فاختاري فأنت بصيرة *** ولا تخدعي إن المخادع يخدع

فقالت: يا أبت، والله ما أصنع بهذا شيئا، ولكن فسر لي أمرهما، وبين لي خصالهما، حتى أختار لنفسي أشدهما موافقة لي، فبدأ بذكر سهيل بن عمر، فقال:

أما أحدهما – ففي ثروة واسعة من العيش، إن تابعته تبعك، وإن ملت عنه حط إليك تحكمين عليه في أهله وماله.

وأما الآخر – فموسع عليه، منظور إليه، في الحسب الحسيب والرأي الأريب، مدره أرمته، وعز عشيرته، شديد الغيرة، كثير الظهرة، لا ينام على ضعة، ولا يرفع عصاه عن أهله

فقالت: يا أبت الأول سيد مضياع للحرة، فما عست أن تلين بعد إبائها، وتضيع تحت جناحه، إذا تابعها بعلها فأشرت، وخافها أهلها فأمنت، فساء عند ذلك حالها، وقبح عند ذلك دلالها، فإن جاءت بولد أحمقت، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت؛ فاطو ذكر هذا عني ولا تسمه علي بعد

وأما الآخر فبل الفتاة الخريدة، الحرة العفيفة، وإني للتي لا أريب له عشيرة فتعيره، ولا تصيره بذعر فتضيره، وإني لأخلاق مثل هذا موافقة فزوجنيه»[1]

4) أسماء ترثي زوجها:

قالت أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين رضي الله عنها ترثي زوجها الزبير بن العوام، وكان قتله عمرو بن جرموز المجاشعي بوادي السباع وهو منصرف من وقعة الجمل وتروي هذه الأبيات لزوجته عاتكة التي تزوجها بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة *** يوم الهياج وكان غير معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدته *** لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما *** حلت عليك عقوبة المتعمد »[1]

[1] - ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص35.

5) مجلس أعرابية مع بنات عمها:

« أبو حاتم عن الأصمعي قال: قالت أعرابية لبنات عم لها: السعيدة منكن من يتزوجها ابن عمها ، فيمهرها بتيسين، وكلبين، وعيرين، ورحيين، فينب التيسان، وينهق العيران، وينبح الكلبان، وتدور الرحيان، فيعج الوادي؛ والشقية منكن من يتزوجها الحضري، فيكسوها الحرير، ويطعمها الخمير، ويحملها يوم الزفاف على عود، تعني: سرجا »[2]

6) مجلس ضرائر الوليد بن عبد الملك:

«وعن العتبى قال: كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل: لبابة بنت عبد الله بن عباس، وفاطمة بنت يزيد بن معاوية، وزينب بنت سعيد بن العاص، وأم جحش بنت عبد الرحمن بن الحارث. فكن يجتمعن على مائدته ويفترقن فيفخرن، فاجتمعن يوما.

فقالت لبابة: أما والله إنك لتسويني بهن، وأنت تعرف فضلي عليهن.

وقالت بنت سعيد بن العاص، أما والله كنت أرى أن للفخر علي مجازا، وأنا ابنة ذي العمامة؛ إذ لا عمامة غيرها!

وقالت بنت عبد الرحمن بن الحارث: ما أحب بأبي بدلا، ولو شئت لقلت فصدقت وصدقت!

وكانت بنت يزيد بن معاوية جارية حديثة السن، فلم تتكلم فتكلم عنها الوليد فقال:

نطق من احتاج إلى نفسه، وسكت من اكتفى بغيره؛ أما والله لو شاءت لقالت: أنا ابنة قادتكم في الجاهلية، وخلفائكم في الإسلام! فظهر الحديث حتى تحدث به في مجلس ابن عباس، فقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته»[3]

---

[1] - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص231.

[2] - ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص80.

[3] - ابن عبد ربه،طبائع النساء،ص49.

7) مجلس أم البنين بنت عبد العزيز مع الحجاج:

«وأتاه الحجاج فحجبته ثم أدخلته ولم تأذن له في القعود، فلم يزل قائما ثم قالت: إيه يا حجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتال الزبير وابن الأشعث!

أما والله لولا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام ولا بقتل ابن ذات النطاقين؛ أول مولود في الإسلام وأما نهيك أمير المؤمنين عن بلوغ أوطاره، فإن كن يلدن مثلك فما أحقه بالقبول منك، وإن كن يلدن مثله فهو غير قابل لقولك؛ أما والله لقد نفض نساء أمير المؤمنين الطيب من غدائرهن والحلي من أيديهن وأرجلهن فبعنه في أعطية أهل الشام، حين كنت في أضيق من القرن ، فقد أظلتك رماحهم وأثخنك كفاحهم ، وحين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم، فأنجاك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه، قاتل الله القائل حين نظر إليك وسنان غزالة بين كتفيك:

أسد علي وفي الحروب نعامة *** فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلا كررت على غزالة في الوغى *** بل كان قبلك في جوانح طائر»[1]

8) مجلس خطبة المغيرة بن شعبة:

« خطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امراة، وكان شابا جميلا، فأرسلت إليهما أن يحضرا عندها، فحضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما، فلما رأى المغيرة ذلك الشاب ، وعاين جماله علم أنها تؤثره عليه، فأقبل على الفتى وقال: لقد اوتيت جمالا، فهل عندك غير هذا؟ قال: نعم، فعدد محاسنه ثم سكت، فقال: له المغيرة: كيف حسابك مع أهلك؟ قال: ما يخفى علي منه شيء وإني لأستدرك منه أدق من الخردل. فقال المغيرة: لكني أضع البدرة في بيتي، فينفقها أهلي على ما يريدون فلا أعلم بنفادها حتى يسألةوني غيرها.

[1]- إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص188.

فقالت: والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب إلي من هذا الذي يحصي علي مثقال الذرة، فتزوجت المغيرة»[1]

9) مجلس مأتم:

«كانت جليلة بنت مرة أخت جساس زوجا لكليب بن ربيعة؛ فلما قتل جساس كليبا اجتمع نساء الحي للمأتم، فقلن لأخت كليب، رحلي جليلة عن مأتمك؛ فإن قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب؛ فقالت لها: يا هذه أخرجي عن مأتمنا فأنت أخت واترنا وشقيقة قاتلنا؛ فخرجت وهي تجر أعطافها؛ فلقيها أبوها مرة، فقال لها: ماوراءك يا جليلة؟ قالت: ثكل العدد، وحزن الأبد، وفقد حليل، وقتل أخ عن قليل، وبين ذين غرس الأحقاد، وتفتت الأكباد؛ فقال لها: أو يكف ذلك كرم الصفح وإغلاء الديات؟ فقالت جليلة: أمنية مخدوع ورب الكعبة! أبالبدن تدع لك تغلب دم ربها! ...»[2]

10)مجلس الكاهنة عفيراء:

«فقالت: أبيت اللعنة أيها الملك الهمام هل لك في الطعام؟ فاشتد إشفاقه وخاف على نفسه لما رأى أنها عرفته، وتصام عن كلمته، فقالت له: لا حذر، فداك البشر، فجدك الأكبر، وحظنا بك الأوفر.

ثم قربت إليه ثريدا وقديدا وحيسا، وقامت تذب عنه حتى انتهى أكله، ثم سقته لبنا صريفا وضريبا، فشرب ما شاء، وجعل يتأملها مقبلة مدبرة، فملأت عينه حسنا، وقلبه هوى، فقال لها: ما اسمك يا جارية؟ قالت: اسمي عفيراء، فقال لها : يا عفيراء، من الذي دعوته بالملك الهمام؟ قالت : مرثد العظيم الشان ! حاشر الكواهن والكهان المعضلة بعد عنها الجان!

[1] -

[2] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3،ص138.

فقال: يا عفيراء أتعلمين تلك المعضلة؟ قالت: أجل أيها الملك! إنها رؤيا منام ليس أضغاث أحلام...» فقال الملك: أصبت يا عفيراء! فما تلك الرؤيا؟ قالت رأيت أعاصير زوابع بعضها ببعض تابع، فيها لهب لامع. ولها دخان ساطع يقفوها نهر متدافع، وسمعت فيما أنت سامع، دعاء ذي جرس صادع: هلموا إلى المشارع؛فروي جارع، وغرق كارع!

فقال الملك: أجل! هذه رؤياي فما تأويلها ياعفيراء؟ قالت: الأعاصير والزوابع ملوك تبابع والنهر علم واسع، والداعي نبي شافع، والجارع ولي تابع، والكارع عدو منازع!

فقال الملك: ياعفيراء، أسلم هذا النبي أم حرب؟ قالت: أقسم برافع السماء؛ ومنزل الماء من العماء إنه لمطل الدماء، ومنطق العقائل نطق الإماء.

فقال الملك: إلام يدعو يا عفيراء؟ قالت إلى صلاة وصيام، وصلة أرحام، وكسر أصنام، وتعطيل أزلام واجتناب آثام.

فقال الملك يا عفيراء، إذا ذبح قومه فمن أعضاده؟ فقالت: أعضاده غطاريف يمانون، طائرهم به ميمون، يغزيهم فيغزون؛ ويدمث بهم الحزون، وإلى نصره يعتزون ! فأطرق الملك يؤمر نفسه في خطبتها؛ فقالت: أبيت اللعن أيه الملك! إن تابعي غيور، ولأمري صبور، والكلف بي ثبور فنهض الملك، وحال في صهوة جواده وانطلق؛ فبعث إليها بمائة ناقة كوماء»[1]

11)مجلس أوس مع بناته:

« فقالت: من رجل واقف عليك فلم يطل، قال: ذاك سيد العرب الحارث بن عوف، قالت: فمالك لم تستنزله؟ قال: إنه استحمق. قالت: وكيف؟ قال: جاءني خاطبا. قالت: أفتريد أن تزوج بناتك؟ قال: نعم، قالت: فإذا لم تزوج سيد العرب فمن؟ قال قد كان ذلك. قالت: فتدارك ما كان منك. قال بماذا؟ قالت: بماذا؟ قالت: تلحقه فترده، قال: وكيف وقد فرط مني ما فرط إليه! قالت: تقول له لقيتني مغضبا بأمر لم تقدم فيه قولا، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت. عد ولك عندي كل ما أحببت، فإنه سيفعل.

[1] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، 309.

ودخل أوس منزله وقال: لزوجته: ادعي لي فلانة ـ لأكبر بناته ـ فأتته فقال: يا بنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب، قد جاءني طالبا خاطبا، وقد أردت أن أزوجك منه، فما تقولين؟ قالت: لا تفعل ، قال: ولم؟ قالت: لأني امرأة في وجهي ردة، وفي خلقي بعض العهدة، ولست بابنة عمه فيرعى رحمي، وليس بجارك في البلد فيستحي منك، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني، فيكون علي في ذلك ما فيه قال: قومي، بارك الله عليك، ادعي لي فلانة –لابنته الوسطى- فدعتها، ثم قال لها مثل قول لأختها، فأجابته بمثل جوابها، وقالت:إني خرقاء ، وليست بيدي صناعة، ولا آمن أن يرى مني ما يكره، فيطلقني، فيكون علي في ذلك ما تعلم، وليس بابن عمي فيرعى حقي، ولا جاركفي بلدك فيستحييك، وقال قومي بارك الله عليك، ادعي لي بهيسة –صغرى بناته- فأتى بها، فقال لها كما قال لهما، فقالت:أنت وذاك فقال :قد عرضت ذلك على أختيك فأبتاه فقالت ولم يذكر مقالتيها: لكني والله الجميلة وجها، الصناع يدا الرفيعة خلقا الحسيبة أبا ،فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير فقال: بارك الله عليك»[1]

12)مجلس سكينة مع ابنة عثمان:

« حدثني أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثني يحي بن الحسين العلوي قال: كتب إلي عباد بن يعقوب يخبرني عن جدي يحي بن سليمان بن الحسين قال: كانت سكينة في مأتم فيه بنت لعثمان رضي الله عنه، فقالت بنت عثمان: أنا بنت الشهيد، فسكتت سكينة، فلما قال المؤذن: وأشهد أن محمدا رسول، قالت سكينة: هذا أبي أم أبوك؟ فقالت العثمانية: لا جرم لا أفخر عليكم أبدا»[2]

13) مجلسها في لقاء أهل الكوفة:

[1] - نفسه، ص149.

[2] - الأصفهاني، الأغاني،ج16،ص93.

«جاء قوم من أهل الكوفة يسلمون على سكينة فقالت لهم: الله يعلم أني أبغضكم قتلتم جدي عليا، وقتلتم أبي الحسين، وأخي عليا، وزوجي مصعبا، أيتمتموني صغيرة وأرملتموني كبيرة، فبأي وجه تلقونني؟»[1]

14)مجلس إجارة:

«فبينما انا أسير إذا رأيت خياما، فعدلت إليها، فملت إلى بيت منها مضروب، وبفنائه رمح مركوز، وفرس مربوط؛ فدنوت فسلمت، فرد علي نساء من وراء السجف، وقالت لي إحداهن: اطمئن يا حضري، فنعم مناخ الضيفان بوأك القدر، ومهدك السفر. قلت: وأنى يطمئن المطلوب، ويأمن المرغوب، من دون أن يأوي إلى جبل يعصمه، أو مأمن أو مفزع يمنعه! وقليا ما يهجع من السلطان طالبه، والخوف غالبه! قالت: لقد ترجم لسانك عن ذنب عظيم وقلب صغير، وأيم الله لقد حللت بفناء رجل لا يضام بفنائه أحد ولا يجوع بساحته كبدهذا الأسود بن قنان، أخواله كعب، واعمامه شيبان، صعلوك الحي في ماله، وسيدهم في حاله، وسندهم في فعاله صدوق الجوار، وقود النار؛ وبهذا وصفته أمامة بنت خزرج حيث تقول:

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته *** بكل معدي وكل يماني

وفى بهام فضلا وجودا وسوددا *** ورأيا، فذاك الأسود بن قنان

فتى لا يرى في ساحة الأرض مثله*** ليوم ضراب أو ليوم طعان

قال: فقلت: يا جارية، وأنى لي به! فقالت: يا خادم مولاك! فلم تلبث أن جاءت وهو معها في جماعة من قومه، وقال : أي المنعمين علينا أنت؟ فسبقتني المرأة وقالت: هذا رجل نبت به أوطانه، وأزعجه زمانه، وأوحشه سلطانه، وقد ضمنا له ما يضمن لمثله على مثلك، قال: بل

[1] -

الله فاك أشهدكم يا بني عمي أن هذا الرجل في جواري وفي ذمتي، فمن آذاه فقد آذاني، ومن كاده فقد كادني...»[1]

15)مجلس خطبة:

« خطب إلى أعرابي رجل موسر إحدى ابنتيه وكان للخاطب امرأة فقالت الكبرى: لا أريده! قال أبوها: ولم؟ قالت: يوم عتاب ويوم اكتئاب، يبلى فيما بين ذلك الشباب!

قالت الصغرى: زوجنيه! قال لها : على ما سمعت من أختك؟ قالت : نعم يوم تزين ، ويوم تسمن، وقد تقر فيما بين ذلك الأعين »[2]

16)مجلس...

« كانت امرأة من العرب من بنات ملوك اليمن ذات جمال وكمال وحسب ومال، فآلت ألا تزوج نفسها إلا من كريم ولئن خطبها لئيم لتجدعن انفه ؛ فتحاماها الناس حتى انتدب إليها زيد الخيل، وحاتم بن عبد الله، وأوس بن حارثة الطائيون، فارتحلوا إليها.

فلما دخلوا عليها قالت: مرحبا بكم، ما كنتم زوارا؛ فما الذي جاء بكم؟ قالوا جئنا زوارا خطابا، قالت: أكفاء كرام. ثم أنزلتهم وفرقت بينهم القرى، وأسبغت لهم القرى، وزادت فيه.

فلما كان اليوم الثاني بعثت بعض جواريها متنكرة في زي سائلة تتعرض لهم؛ فدفع إليها زيد وأوس شطر ما حمل إلى كل واحد منهما.فلما صارت إلى رحل حاتم دفع إليها جميع ما كان من نفقته، وحمل إليها جميع ما حمل إليه.

فلما كان اليوم الثالث دخلوا عليها، فقالت: ليصف كل واحد منكم نفسه في شعره؛ فابتدر زيد وانشأ يقول:

هلا سألت بني ذبيان: ما حسبي *** عند الطعان إذا ما احمرت الحدق

[1]- إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، 214.

[2]- ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص84.

وجاءت الخيل محمرا بوادرها *** بالماء يسفح من لباتها العلق

والجار يعلم أني لست خاذله*** إن ناب دهر لعظم الجار معترق

هذا الثناء، فإن ترضي فراضية *** أو تسخطي فإلى من تعطف العنق

وقال أوس بن حارثة: إنك لتعلمين أنا أكرم احسابا، وأشهر أفعالا من ان نصف أنفسنا لك؛ أنا الذي يقول فيه الشاعر:

إلى أوس بن حارثة بن لأم *** ليقضي حاجتي ولقد قضاها

فما وطئ الحصى مثل ابن سعدى *** ولا لبس النعال ولا احتذاها

وأنا الذي عقت عقيقته، وأعتقت عن كل شعرة فيها نسمة، ثم أنشأ يقول:

فإن تنكحي ماوية الخير حاتام*** فما مثله فينا ولا في الأعاجم

فتى لا يزال الدهر أكبر همه *** فكاك أسير أو معونة غارم

وإن تنكحي زيدا ففارس قومه*** إذا الحرب يوما أقعدت كل قائم

وإن تنكحيني تنكحي غير فاجر *** ولا جارف جرف العشيرة هادم

ولا متق يوما – إذا الحرب شمرت- *** بأنفسها ننسى، كفعل الأشائم

وإن طارق الأضياف لاذ برحله *** وجدت ابن سعدى للقرى غير عاتم

فأي فتى أهدى لك الله فاقبلي *** فإنا كرام من رؤوس أكارم

وأنشد حاتم يقول:

أماوي قد طال التجنب والهجر *** وقد عذرتني في طلابكم عذر

أماوي إن المال غاد ورائح ***ويبقى من المال الأحاديث والذكر

أماوي إني لا أقول لسائل *** إذا جاء يوما: حل في مالنا النزر

أماوي إما مانع فمبين *** وإما عطاء لا ينهنه الزجر

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى *** إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

(...)

فقالت: أما أنت يا زيد فقد وترت العرب وبقاؤك مع الحرة قليل وأما أنت يا أوس فرجل ذو ضرائر والدخول عليهن شديد، وأما أنت يا حاتم فمرضي الأخلاق محمود الشيم ، كريم النفس ، وقد زوجتك نفسي»[1]

17)مجلس عثمان رضي الله عنه مع زوجه:

« قال لها : لعلك تكرهين ما ترين من شيبي؟ قالت : والله يا أمير المؤمنين إني من نسوة أحب أزواجهن إليهن الكهل! قال: إني قد جزت الكهول، وأنا شيخ ! قالت: أذهبت شبابك مع رسول الله في خير ماذهبت فيه الأعمار!»[2]

18)مجلس قريبة مع زوجها:

« وعن العتبي قال : خطب قربية إبنة حرب أخت أبي سفيان بن حرب أربعة عشر رجلا من أهل بدر فأبتهم وتزوجت عقيل بن أبي طالب

قالت: إن عقيلا كان مع الأحبة يوم قتلوا وإن هؤلاء كانوا عليهم !

ولاحته يوما فقالت: يا عقيل أين أخوالي؟ أين أعمامي ؟ كأن أعقانهم أباريق الفضة ! قال لها : إذا دخلت النار فخذي على يسارك»[3]

19)مجلس نساء في المفاضلة:

« خرجت العجفاء بنت علقمة السعدي وثلاث نسوة من قومها، وتواعدن روضة يتحدثن فيها، فوافين بها ليلا في قمر زاهر، وليلة طلقة ساكنة، وروضة معشبة خصبة

[1]- إبراهيم شمس الدين، نفسه، ص147.

[2]- ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص42.

[3]- نفسه، ص69.

فلما جلسن قلن : ما رأينا كالليلة ليلة، ولا كهذه الروضة روضة أطيب ريحا ولا أنضر! ثم أفضن الحديث، فقلن: أي النساء خير؟ قالت إحداهن: الخرود الودود الولود. قالت الأخرى: خيرهن ذات الغناء، وطيب الثناء، وشدة الحياء، قالت الثالثة: خيرهن السموع، النفوع، غير المنوع.قالت الرابعة: خيرهن الجامعة لأهلها، الوادعة، الرافعة لا الواضعة

قلن فأي الرجال أفضل؟: قالت إحداهن: إن أبي يكرم الجار، ويعظم النار، وينحر العشار بعد الحواروبحمل الأمور الكبار، ويأنف من الصغار. فقالت الثانية: إن أبي عظيم الخطر، منيع الوزر، عزيز النفر، يحمد منه الورد والصدر.

فقالت الثالثة: إن أبي صدوق اللسان، حديد الجنان، كثير الأعوان يروي السنان عند الطعان.

قالت الرابعة: إن أبي كريم النزال، منيف المقال؛ كثير النوال، قليل السؤال، كريم الفعال.

ثم تنافرن إلى كاهنة معهن في الحي، فقلن لها: اسمعي ما قلنا، واحكمي بيننا واعدلي؛ ثم أعدن عليها قولهن، فقالت لهن: كل واحدة منكن ماردة، بأبيها واجدة، على الإحسان جاهدة، لصواحباتها حاسدة، ولكن اسمعن قولي: خير النساء المبقية على بعلها، الصابرة على الضراء، مخافة أن ترجع إلى أهلها؛ فهي تؤثر حظ زوجها على حظ نفسها، فتلك الكريمة الكاملة. وخير الرجال الجواد البطل، القليل الفشل، إذا سأله الرجل ألفاه قليل العلل، كثير النفل، ثم قالت: كل فتاة بأبيها معجبة».[1]

20)مجلس الخنساء مع أبنائها:

«يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين و والله الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب العظيم في حرب الكافرين،

[1]- إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص137.

واعلموا أن الدار الباقية، خير من الدار الفانية، يقول الله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا أصبحتم غدا فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، ولله على أعدائه مستنصرين»[1]

21)مجلس أعرابية مع بنات عمها:

أعرابية لبنات عم لها: السعيدة منكن من يتزوجها ابن عمها فيمهرها بتيسن،وكلبين،وعيرين، ورحيين والشقية منكن من يتزوجها الحضري، فيكسوها الحرير، ويطعمها الخمير. ويحملها ليلة الزفاف على عود ، تعني: سرجا»[2]

22)مجلس خطبة خود بنت مطرود:

« كانت عثمة بنت مطرود البجلية ذات عقل ورأي مستمع في قومها، وكانت لها أخت يقال لها خود؛ ذات جمال وميسم وعقل. ثم إن سبعة إخوة من الأزد خطبوا خودا إلى أبيها، فأتوه وعليهم الحلل اليمانية، وتحتهم النجائب الفره. فقالوا: نحن بنو مالك بن غفيلة. فقال لهم : انزلوا على الماء، فنزلوا ليلتهم ثم أصبحوا غادين في الحلل والهيئة، ومعهم ربيبتهم الشعثاء.فمروا بوصيدها يتعروضون لها، وكلهم وسيم جميل، وخرج أبوها فجلسوا إليه، فرحب بهم، فقالوا: بلغنا أن لك بنتا، ونحن كما ترى شباب. وكلنا يمنع الجانب، ويمنح الراغب. فقال أبوها: كلكم خيار. فأقيموا حتى نرى رأينا.

ثم دخل على ابنته فقال: ما ترين ؟ فقد أتاك هؤلاء القوم. فقالت: زوجني على قدري ولا تشطط في مهري؛ فإن تخطئني أحلامهم فلا تخطئني أجسامهم.لعلي أصيب ولدا، وأكثر عددا.

فخرج أبوها ، فقال: أخبروني عن أفضلكم، قالت ربيبتهم الشعثاء الكاهنة:

---

[1]- خزانة الأدب، ج1، 395.

[2]- ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص80.

اسمع أخبرك عنهم : إنهم إخوة وكلهم أسوة أما الكبير فمالك ، جرئ فاتك يتعب السنابك ، ويستصغر المهالك.أما الذي يليه فالعمرو، بحر غمر، يقصر دونه الفخر، نهد صقر. وأما الذي يليه فعلقمة، صليب المعجمة، منيع المشتمة، قليل الجمجمة. واما الذي يليه فعاصم ، سيد ناعم، جلد صارم، أبي حازم، جيشه غانم، وجاره سالم. وأما الذي يليه فثواب سريع الجواب، عتيد الصواب، كريم النصاب؛ كليث الغاب. وأما الذي يليه فمدرك، بذول لما يملك عزوب عما يترك، يفني ويهلك. وأما الذي يليه فجندل، لقرنه مجدل، مقل لما يحمل، يعطي ويبذل، وعن عدوه لا ينكل.

فشاورت أختها عثمة فيهم، فقالت: ترى الفتيان كالنخل، وما يدريك ما الدخل، اسمعي مني كلمة: إن شر الغريبة يعلن، وخيرها يدفن، تزوجي في قومك، ولا تغررك الأجسام.

فلم تقبل منها وبعثت إلى أبيها: زوجني مدركا، فتم ذلك على مائة ناقة ورعاتها...»[1]

23)مجلس خطبة امرأة من بني أسد:

«عن المفضل بن محمد الضبي قال: أخبرني مسعر بن كدام عن معبد ابن خالد الجدلى قال: خطبت امرأة من بني أسد في زمن زياد – وكان النساء يجلسن لخطابهن- قال: فجئت لأنظر إليها وكان بيني وبينها رواق؛ فدعت بجفنة عظيمة من الثريد، مكللة باللحم، فأتت على آخرها، وألقت العظام نقية، ثم دعت بشن عظيم مملوءة لبنا، فشربته حتى أكفأته على وجهه. وقالت يا جارية، ارفعي السجف، فإذا هي جالسة على جلد أسد، وإذا شابة جميلة؛ فقالت: يا عبد الله، أنا أسدة من بني أسد، وعلى جلد أسد، وهذا طعامي وشرابي؛ فعلام تراني؟ فإن أحببت أن تتقدم فتقدم، وإن أحببت أن تتأخر فتأخر! فقلت: أستخير الله في أمري وأنظر! قال: فخرجت ولم أعد»[2]

[1]- إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، 136.

[2]- ابن عبد ربه، طبائع النساء، ص70.

24)مجلس خطبة...

« قالت: أنت عامل هذه المدرة؟ قال: نعم، قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتك خاطبا إليك نفسك، قالت: أما والله لو كنت جئت تبغي جمالا ودينا أو حسبا لتزوجناك ولكنك أردت أن تجلس في موسم من مواسم العرب فتقول: تزوجت بنت النعمان بن المنذر، وهذا والصليب أمر لا يكون أبدا أوما يكفيك فخرا أن تكون في ..... النعمان وبلاده تدبرها كما تريد، وبكت، فقال لها: أي العرب كان أحب إليك؟ قالت: ربيعة، قال: فأين كان يجعل قيسا؟ قال: بحيث كان يراهم من طاعته، قال: فأين كان يجعل ثقيفا؟ قالت: رويدك لا تعجل، بينا أنا ذات يوم جالسة في خدرلي إلى جنب أبي إذ دخل عليه رجلان: أحدهما من هوازن والآخر من بني مازن، كل واحد منهما يقول إن ثقيفا منا فأنشأ أبي يقول:

إن ثقيفا لم تكن هوازنا*** ولم تناسب عامرا ومازنا

إلا قريبا فانشروا المحاسنا

فخرج المغيرة وهو يقول:

أدركت ما منيت نفسي خاليا *** لله درك يا ابنة النعمان»[1]

25)مجلس بنات ذو الأصبع:

« أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو بكر العلمي قال حدثنا محمد بن داود الهاشمي قال: كان لذي الأصبع أربع بنات وكن يخطبن إليه فيعرض ذلك عليهن فيستحين ولا يزوجهن، وكانت أمهن تقول: لو زوجتهن! فلا يفعل قال: فخرج ليلة إلى متحدث لهن فاستمع إليهن وهن لا يعلمن فقلن: تعالين نتمنى ولنصدق، فقالت الكبرى:

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى*** حديث الشباب طيب الريح والعطر

لبيب بأدواء النساء كأنه *** خليفة جان لا ينام على وتر

[1]- الأصفهاني، الأغاني، ج16، ص47.

قالت الثانية:

ألا ليته يملأ الجفان لضيفه *** له جفنه يشقى بها النيب والجزر

له حكمات الدهر من كبرة *** تشين ولا الفاني ولا الضرع الغمر

فقلن لها أنت تحبين رجلا شريفا، وقلن للصغرى : تمني! فقالت: لا أريد شيئا؛ قلن: والله لا تبرحين حتى نعلم ما في نفسك؛ قالت: زوج من عود خير من قعود. فلما سمع ذلك أبوهن زوجهن أربعتهن.

فمكثن برهة ثم اجتمعن إليه فقال للكبرى: يا بنية ما مالكم؟ قالت: الإبل؛ قال: فكيف تجدونها؟ قالت: خير مال، نأكل لحومها مزعا، ونشرب ألبانها جرعا، وتحملنا وضعيفنا معا؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: خير زوج، يكرم الحليلة، ويعطي الوسيلة؛ قال: مال عميم وزوج كريم. قال للثانية: يا بنية ما مالكم؟ قالت: البقر، قال: فكيف تجدونها؟ قالت: خير مال، تألف الفناء، وتودك السقاء، وتملأ الإناء، ونساء في نساء قال فكيف تجدين زوجك؟ قالت: خير زوج يكرم أهله وينسى فضله؛ قال: حظيت ورضيت ثم قال للثالثة: ما مالكم قالت المعزى؛ قال : فكيف تجدونها؟ قالت: لا بأس بها نولدها فطما ونسلخها أدما؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: لا بأس به ليس بالبخيل الحكر ولا بالسمح البذر ، قال : جدوى مغنية، ثم قال للرابعة: يا بنية ما مالكم؟ قالت الضان؛ قال وكيف تجدونها؟ قالت: شر مال، جوف لا يشبعن، وهيم لا ينفعن، وصم لا يسمعن، وأمر مغويتهن يتبعن؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: شر زوج، يكرم نفسه ويهين عرسه؛ قال: أشبه امرؤ بعض بزه»[1]

26)مجلس نساء بني يربوع

«جالس نسوة من بني اليربوع وكان شأنهن إذا جلسوا للتغزل أن يتعابثوا بشق الثياب وشده والمغالبة على إبداء المحاسن، فقال سحيم:

[1]- الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص89.

كأن الصبيريات يوم لقيننا*** ضباء حنت أعناقها في المكانس

فكم شققنا من رداء منير*** ومن برقع عن طفلة غير ناعس

إذا شق برد شق بالبرد برقع *** على ذاك حتى كلنا غير لابس"[1]

حدثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت: مررت بجدك عبد الله بن مصعب وأنا داخلة منزله وهو بفنائه ومعي دفتر فقال: ما هذا معك؟ ودعاني فجئته وقلت: شعر عمر بن أبي ربيعة، فقال ويحك! تدخلين على النساء بشعر عمر بن أبي ربيعة! إن لشعره لموقعا من القلوب ومدخلا لطيفا، لو كان شعر يسحر لكان هو: فارجعي به. قالت: ففعلت»[2]

27)مجلس الملاءة بنت زرارة بن أوفى مع عبد المجيد بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف:

« فدخلنا دار زرارة فإذا هي دار فيها مقاصير، فاستأذنا على أمها، فلقيتنا بمثل كلام الشيخ ثم قالت: وهاهي في تلك الحجرة. قلت: لا تأتها. قال أليست بكرا قالت: بلى، قال: أدخل بنا إليها، فاستأذنا فأذنت لنا فوجدناها جالسة وعليها ثوب قوهي رقيق معصفر، تحته سراويل يرى منها بياض جسدها، ومرط قد جمعته على فخذيها، ومصحف على كرسي بين يديها فأشرجت المصحف ونحته، فسلمنا فردت، ثم رحبت بنا ثم قالت: من أنت؟ قال: أنا عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى خال رسول الله صلى الله عليه ومد بها صوته، قالت: يا هذا، إنما يمد هذا الصوت للساسانيين! قال موسى: فدخل بعضي في بعض! ثم قالت: ما حاجتك؟ قلت: جئت خاطبا. قالت: ومن ذكرت؟ قال: ذكرتك. قالت: مرحبا بك يا أخا أهل الحجاز. ما لذي بيدك، قال: لنا سهمان بخيبر أعطاناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم- ومد بها صوته- وعين بمصر، وعين باليمامة، ومال باليمن.

قالت : يا هذا ، كل هذا عنا غائب، ولكن ما الذي يحصل بأيدينا منك؟ فإني أظنك تريد أن تجعلني كشاة عكرمة، أتدري من عكرمة! قال : لا، قالت: عكرمة بن ربعى فإنه نشأ

[1] - الأصفهاني أبو الفرج، الأغاني، دار الثقافة، ط4، بيروت، دت، ج22، ص306.

[2] - المصدر نفسه، ج1، ص78.

بالسواد ثم انتقل إلى البصرة. وقد تغذى باللبن، فقال لزوجته: اشترى لنا شاة نحتلبها، وتصنعي لنا من لبنها شرابا وكامخا.

ففعلت وكانت عندهم الشاة إلى أن استحرمت، فقالت: يا جارية، خذي بأذن الشاة وانطلقي بها إلى التياس، فنزى عليها! ففعلت فقال التياس: آخذ منك على النزوة درهما! فانصرفت إلى سيدتها فأعلمتها، فقالت: إنما رأينا من يرحم ويعطي أما من يرحم ويأخذ فلم نره! ولكن يا أخا أهل المدينة أردت أن تجعلني كشاة عكرمة. فلما خرجنا قلت له: ما كان أغناك عن هذا! ما كنت اعتقد أن امرأة تجترئ على مثل هذا الكلام! »[1]

28)مجلس أم عمر بنت مروان:

«حدثني أحمد قال: حدثني محمد بن القاسم قال: حدثنا أحمد بن يحي قال: أخبرنا مصعب قال: حجت أم عمر بنت مروان، فاستحجبت أشعب، وقالت له: أنت أعرف الناس بأهل المدينة، فأذن لهم على مراتبهم، وجلست لهم مليا: ثم قامت ودخلت القائلة، فجاء طويس فقال لأشعب: استأذن لي على أم عمر، قال: مازالت جالسة حتى دخلت، فقال له: يا أشعب ملكت يومين فلم تفت بعرتين ولم تقطع شعرتين، فدق أشعب الباب ودخل إليها وقال لها: أنشدك الله ياابنة مروان ، هذا طويس بالباب فلا تتعرضي للسانه، ولا تعرضيني، فأذنت له، فلما دخل قال لها: والله لئن كان بابك غلقا لقد كان باب أبيك فلقا ثم أخرج دفه ونقر به وتمشى وغنى:

ما تمنعي يقظي فقد تؤتينه*** في النوم غير مصرد محسوب

كان المنى بلقائها فلقيتها *** فلهوت من لهو امرئ مكذوب

قالت أيهما أحب إليك العاجل أم الآجل؟ فقال: عاجل وآجل فأمرت له بكسوة »[2]

[1]- ابن عبد ربه، طبائع النساء،ص67.

[2]- الأصفهاني، الأغاني، ج19، ص111- 112.

29)مجلس كاهنة:

« زعموا أن رقية بنت جشم بن معاوية ، ولدت نميرا وهلال وسواءة، ثم اعتاظت فأتت كاهنة بذي الخلصة، فأرتها بطنها، وقالت : إني قد ولدت، ثم اعتظت فنظرت إليها ومست بطنها، وقالت: رب قبائل فرق، ومجالس خلق، وظعن حزق في بطنك زرق.

فلما مخضت بربيعة بن عامر، قالت، إني أعرف ضرطي بهلال؛ أي هو غلام، كما أن هلالا كان غلاما»[1]

30)مجلس ملكة حمير:

«وحدث أبو بكر بن دريد قال: كان قيل من أقيال حمير منع الولد دهرا، ثم ولدت له بنت، فبنى لها قصرا منيعا بعيدا عن الناس، ووكل بها نساء من بنات الأقيال يخدمنها ويؤدبنها، حتى بلغت مبلغ النساء، فنشأت أحسن منشا واتمه في عقلها وكمالها، فلما مات أبوها ملكها أهل مخلافها، فاصطنعت النسوة اللاتي ربينها وأحسنت إليهن، وكانت تشاورهن، ولا تقطع أمرا دونهن، فقلن لها يوما: يابنت الكرام لو تزوجت لتم لك الملك! فقالت: وما الزوج؟ فأخذت كل واحدة تصف العذب الهني من صفات زوجها، فقالت: أمهلني أنظر فيما قلتن، فاحتجبت عنهن سبعا، ثم دعتهن، فقالت: قد نظرت فيما قلتن فوجدتني أملكه رقي، وأبثه باطلي وحقي، فإن كان محمود الخلائق، مأمون البوائق، فقد أدركت بغيتي، وإن كان غير ذلك فقد طالت شقوتي، على انه لا ينبغي إلا أن يكون كفؤا كريما، يسود عشيرته، ويرب فصيلته، لا أتقنع به عارا في حياتي، ولا أرفع به شنارا لقومي بعد وفائي، فعليكنه فابغينه، وتفرقن في الأحياء، فأيتكن أتتني بما أحب فلها أجزل الحباء، وعلى لها الوفاء، فخرجن فيما وجهتهن له – وكن بنات مقاول ذوات عقل ورأي- فجاءتها إحداهن- وهي عمرطة بنت زرعة ابن ذي خنفر- فقالت: قد أصبت البغية. فقالت: صفيه، ولا تسميه، فقالت: غيث في المحل، ثمال في الأزل، مفيد مبيد،

[1]- .....مجمع الأمثال، ج1، ص321.

يصلح الناثر، وينعش العاثر؛ طاهر الأثواب. قال: ومن هو؟ قالت: سبرة بن عوال بن شداد بن الهمال. ثم خلت بالثانية فقالت: أصبت من بغيتك شيئا؟ قالت: نعم. قالت: صفيه؛ ولا تسميه، قالت: مصامص النسب؛ كريم الحسب؛ كامل الأدب؛ غزير العطايا؛ مألوف السجايا، مقتبل الشباب، خصيب الجناب، أمره ماض، وعشيره راض. قالت: ومن هو؟ قالت: يعلى بن هزال بن ذي جدن. ثم خلت بالثالثة: فقالت: ما عندك؟ قالت: وجدته كثير الفوائد، عظيم المرافد يعطي قبل السؤال، وينيل قبل أن يستنال. في العشيرة معظم، وفي الندى مكرم، جم الفواضل، كثير النوافل، بذال أموال، محقق آمال، كريم أعمام وأخوال. قالت: ومن هو؟ قالت: رواحة بن حمير مضحى بن ذي هلاهلة، فاختارت يعلى بن هزال»[1]

1) مجلس معاوية مع أمه:

« ... ولما قدم معاوية من الشام وكان عمر قد استعمله عليها دخل على أمه هند، فقالت له: يا بني، إنه قلما ولدت حرة مثلك! فاعمل بما وافقه، أحببت ذلك أم كرهته»[2]

2) من مجالس الخيزران:

« كانت الخيزران أم الهادي والرشيد في دارها وعندها أمهات أولاد الخلفاء وغيرهن من بنات بني هاشم؛ وبينما هي كذلك إذ دخلت عليها جارية من جواريها فقالت : أعز الله السيدة! بالباب امرأة ذات حسن وجمال، وفي أطمار رثة، وليس وراء ما هي عليه من سوء الحال غاية، تأبى أن تخبر باسمها وهي تروم الدخول.

فقالت الخيزران للجارية: أدخليها.

[1] - أدب النساء، ص52-53.

[2] - أحمد بن محمد بن عبد ربه، طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وغرائب وأخبار وأسرار، تح: محمد سليم إبراهيم، مكتبة القرآن، د ط، د ت، القاهرة، ص 37.

قالت: أنا مزنة زوج مروان بن محمد، وقد أصارني الدهر إلى ما ترين، ووالله ما الأطمار الرثة التي علي إلا عارية وإنكم لما غلبتمونا على هذا الأمر، وصار لكم دوننا لم نأمل مخالطة العامة على ما نحن فيه من الضرر. على بادرة إلينا تزيل موضع الشرف؛ فقصدناكم لنكون في حجابكم على أية حال كانت؛ حتى تأتي دعوة من له الدعوة.

فاغرورقت عينا الخيزران بالدموع، ونظرت إليها زينب بنت سليمان بن علي فقالت: لا خفف الله عنك يا مزنة أتذكرين وقد دخلت إليك وأنت على هذا البساط بعينه، فكلمتك في جثة إبراهيم الإمام، فانتهرتني، وأمرت بإخراجي، وقلت: ما للنساء والدخول على الرجال في آرائهم! فوالله لقد كان مروان أرعى للحق منك! لقد دخلت إليه فحلف إنه ما قتله – وهو كاذب – وخيرني بين أن يدفنه، أو يدفع إلي جثته، وعرض علي مالا فلم أقبله

فقالت مزنة: والله ما أداني إلى هذه الحال التي ترينها إلا تلك الفعال التي كانت مني، وكانك استحسنتها، فحرضت الخيزران على مثلها؛ إنما كان يجب أن تحضيها على فعل الخير، وترك المقابلة بالشر؛ لتحرز بذلك نعيمها، وتصون دينها...»[1]

3) ومن مجالسها:

«دخلت هليها جاريتها وهي جالسة بين الهاشميات فقالت لها: ياسيدتي لقد مات موسى، فقالت الخيزران: إن مات موسى فقد بقي هارون، ثم دعت بسويق فشربت وسقت ضيوفها، وطلبت مبلغا من المال فوزعته عليهن كأن بشارة زفت لها»[2]

4) مجلس أمنا عائشة مع معاوية:

« أقبل معاوية ومعه خلق كثير من أهل الشام حتى أتى عائشة وهي بالمدينة فاستأذن عليها بعد أن بايع أهل الشام لابنه يزيد فأذنت له وحده ولم يدخل عليها أحد وعندها

[1] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، دار الكتب العلمية،ط1، لبنان،2002، ج3، ص201.

[2] - الطبري، تاريخ الأمم و الملوك، ج2، ص569.

مولاها ذكوان، فقالت عائشة: يا معاوية أكنت تأمن أن أقعد لك رجلا فأقتلك كما قتلت أخي بن أبي بكر ؟ فقال معاوية : ما كنت لتفعلي ذلك قالت : لم؟ قال:لأني في بيت أمن ، بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قامت عائشة فحمدت الله وأثنت عليه وذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكرت أبا بكر وعمر وحضته على الاقتداء بهما والاتباع لأثرهما ثم صمتت، أما معاوية فلم يخطب وخاف ألا يبلغ ما بلغت فارتجل الحديث ارتجالا ، ثم قال أنت والله يا أم المؤمنين العالمة بالله وبرسول الله دللتنا على الحق وحضضتنا على حظ أنفسنا وأنت أهل لأن يطاع أمرك ويسمع قولك، وإن أمر يزيد قضاء من القضاء، وليس للعباد الخيرة من أمرهم، وقد أكد الناس بيعتهم في أعناقهم وأعطوا عهودهم ومواثيقهم، فلما سمعت ذلك عائشة علمت أنه سيمضي على أمره فقالت: أما ما ذكرت من عهود ومواثيق فاتق الله في هؤلاء الرهط ولا تعجل فيهم فلعلهم لا يصنعون إلا ما أحببت...ثم خرج ومعه ذكوان فاتكأ على يد ذكوان وهو يمشي ويقول تالله إن رأيت كاليوم قط خطيبا أبلغ من عائشة بعد رسول الله ...»[1]

مجالس رابعة العدوية:

5) مجلس رابعة العدوية مع الحسن البصري:

« نقل أن الحسن البصرى رحمه الله قال : كنت عند رابعة يوما وليلة ، وكنا نتحدث في الطريقة والحقيقة ولا يخطر ببالي أني رجل ولا بيالها أنها امرأة . ثم لما خرجت من عندها وجدت نفسي مفلسا ، ووجدتها مخلصة»[2]

6) مجلس رابعة العدوية:

[1]- بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية، ص والإسلام، ص110.

[2]- العطار، تذكرة الأولياء، ص102.

« ونقل أنه جاء جماعة إليها على سبيل الامتحان، ليمسكوا عليها كلاما فقالوا لها في أثناء المكالمة : إن الله تعالى أعطى الرجال كل كرامة وميزة وفضيلة، حتى وضع تاج النبوة على رؤس الرجال وألبس بعضا منهم حلة الخلة، ونوره بنور المحبة، وما صارت نعم النبوة سهما للنساء؟!

7) مجلسها مع الواحد بن عامر وسفيان:

«قال عبد الواحد بن عامر: أنا و سفيان ذهبنا إلى رابعة للعيادة، ما استجرينا أن نبتدئ عندها بالكلام من غاية مهابتها، قلت لسفيان: تكلم بشيء. قال: يا رابعة، لو دعوت الله في كشف هذه الكربة عنك، وتسهيل الأمر عليك. فتوجهت إليه، وقالت: يا سفيان، ألا تعلم أن هذا الوجع بإرادة الله تعالى؟ قال: نعم.إذن تعلم أنه إرادة الله، فكيف تقول أن أدعو الله ليفعل شيئا على خلاف مراده؟ لا يجوز مخالفة الحبيب بحال. ثم قال سفيان: ماذا تشتهين يا رابعة؟ قالت: يا سفيان، أنت رجل من أهل العلم، كيف تقول ماذا تشتهين؟ بعزة الله إني أشتهي الرُّطب من اثنتي عشرة سنة، وتعلم أن الرطب بالبصرة أكثر سيء يكون، وبعد ما أكلته؛ لأني عبد ولا شغل للعبد بتحصيل المشتهيات، فإني إن أردت ولا يريد سيدي فذا كفر في الطريقة، يجب على العبد أن لا يشتهي ولا يريد إلا ما يريده السيد ليكون عبدا على الحقيقة، وإن أراد الله فشيء آخر. فسكت سفيان، ولم يتكلم بعده، إلا أنه قال: لا يمكننا أن نتكلم في شأنك؛ ولكن تكلمي في شأني. قال: نعم الرجل أنت لو لم تكن محبا للدنيا.قال سفيان: وما ذلك؟ قال: لأنك تحب رواية الحديث للجاه في الدنيا.قال سفيان: رق قلبي من هذا الكلام، قلت: يارب، ارض عني. قالت: ألا تستحي أن تطلب رضا من لست أنت راضيا عنه.»[1].

8) مجلسها مع مسمع:

[1] - فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، ص110.

« قال مسمع: ذهبت إلى رابعة وقت العصر، وكانت تريد طبخ طعام، وقد وضعت القدر على الأثفية، وصبت فيه الماء، واشتغلنا بالحديث، وبقينا إلى المغرب وتركت الطبخ، وقالت: الحديث خير منه.حتى أذنوا المغرب، وصلينا وقامت رابعة وقدمت بماء في كوز، وكسيرة خبز يابس، وأفطرنا عليه، ثم راحت رابعة إلى القدر لترفعها، فأحست بالحرارة، فنظرت فإذا الطعام الذي كان فيه قد انطبخ، والقدر بعد يغلي بأمر الله تعالى، فأتت به، وأكلنا الطبخ واللحم، وما أكلنا ألذ من ذلك»[1]

9) مجلسها مع جماعة:

«ونقل أنه جاء جماعة إليها على سبيل الامتحان، ليمسكوا عليها كلاما، فقالوا لها في أثناء المكالمة: إن الله تعالى أعطى الرجال كل كرامة ومزية وفضيلة، حتى وضع تاج النبوة على رؤوس الرجال، وألبس بعضا منهم حلة الخلة، ونوره بنور المحبة، وما صارت النبوة سهما للنساء؟! قالت : نعم، وهكذا، أطلع دعوى ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ من جيب أحد من النساء وما صارت واحدة من النساء مخنثة فإن الخنوثة في الرجال»[2]

10)وجاء في أحد مجالسها:

«ونقل أنه جاء إليها شخصان من الأكابر زيارة لها، ولهما رغبة في الطعام، فقال أحدهما للآخر: لعلها تطعمنا شيئا. فلما جلسا عندها، جاءت إليهما برغيفين كانا عندها، ففرحا بذلك، وشرعا في الأكل، إذ جاء سائل بالباب، فأخذت الرغيفين، وأعطتهما إياه، فتعجب الضيفان من ذلك الفعل، ولكن سكتا، فبعد ساعة جاءت جارية، وأتت لها بخبز كثير طري، وقالت: سيدتي بعثت لك. فعدته رابعة، فإذا هي ثمانية عشر، فردته على الجارية،

[1]- العطار، تذكرة الأولياء، ص112.

[2]- العطار، تذكرة الأولياء، ص109

وقالت: ليس هذا بتمام ما بعثته سيدتك.فبالغت الجارية معها لتقبلها وما قبلته، فأخذت الجارية الخبز، وخرجت من عندها، ثم رجعت به فعدته رابعة، فإذا هو عشرون، فقبلته، وقالت: هذا الذي بعثت إلي. وقدمته إلى الضيفين، وهما في التعجب من أحوالها وأفعالها، فشرعا ثانيا يأكلان، ثم سألاها عما جرى بين يديها من الأول إلى الآخر من الأسرار، وقالا: اشتهينا الخبز الأول وما تركته لنأكل منه، ثم عددت الخبز الذي جاءت به الجارية، ثم قبلت ثانيا بعد العد، وقلت أولا: ليس هذا الخبز بتمام، وفي المرة الثانية قلت: هذا تمام. قالت: فحين دخلتما علي علمت أنكما جائعان، قلت في نفسي: كيف أقدم رغيفين إليكما؟ فلما جاء السائل أعطيتهما السائل طمعا في أن يعوضني الله تعالى عن كل واحدة عشرة؛ لأني تيقنت قول الله تعالى ووعده: چک ک ک گ گ چ فجاءت الجارية بثمانية عشر، علمت أنها أخذت رغيفين، فلما جاءت ثانيا بعشرين علمت أنها حقي فقبلتها لذلك»

11)من مجالس أسماء رضي الله عنها مع الحجاج:

«حز الحجاج رأسه في مسجد الكعبة ، ودخل على أسماء فقالت له : يا حجاج قتلت عبد الله؟ فقال: يا ابنة أبي بكر إني قاتل الملحدين، قالت: بل، أنت قاتل المؤمنين الموحدين.

قال: كيف رأيت ما صنعت بابنك؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك ولا خير إن أكرمه الله على يديك، فقد.... يحي بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل»[1]

12)مجلس حفصة مع أبيها في مرضه:

« قالت السيدة حفصة في مرض أبيها: يا أبتاه ما يحزنك وفادتك على رب رحيم، ولا تبعة لأحد عندك، وعي لك بشارة لا أذيع السر مرتين، ونعم الشفيع لك العدل، لم تخف

[1] - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص192.

على الله عز وجل، خشنة عيشتك وعفاف نهمتك، وأخذك بأكظام المشركين والمفسدين في الأرض »[1]

13) مجلس عائشة رضي الله عنها مع أبيها في مرضه:

« عن القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها انها دخلت على أبيها في مرضه الذي مات فيه، فقالت له: يا أبت، اعهد إلى خاصتك، وأنفذ رأيك في عامتك، وانقل من دار جهازك إلى دار مقامك؛ وإنك محظور ومتصل بقلبي لوعتك، وأرى تخاذل الناس أطرافك، وانتقاع لونك؛ فإلى الله تعزيتي عنك، ولديه ثواب حزني عليك، أرقأ فلا أرقأ وأشكو فلا أشكى.

فرفع رأسه فقال: يا بنية، هذا يوم يحل فيه غطائي؛ وأعاين جزائي، إن فرحا فدائم، وإن نوحا فمقيم؛ إني اضطلعت بإمامة هؤلاء القوم، حين كان النكوص إضاعة، والحذر تفريطا فشهيدي الله ما كان بقلبي إلا إياه؛ فتبلغت بصحفتحهم وتعللت بدرة لقحتهم، وأقمت صلاي معهم، لا مختالا أشرا، ولا مكابرا بطرا، لم أعد سدا لجوعة، وتورية لعورة، طوى ممغص، تهفو له الأحشاء وتجب له الأمعاء؛ واضطررت إلى ذلك اضطرار الجرض إلى المعيف الآجن، فإذا أنا مت فردي إليهم صحفتهم ولقحتهم وعبدهم ورحاهم، ودثارة ما فوقي اتقيت بها أذى البرد، ودثارة ما تحتي اتقيت بها أذى الأرض، كان حشوهما قطع السعف »[2]

مجلس مصعب بن عمير مع أمه:

«بلغ أمه أنه قدم فأرسلت إليه: يا عاق أتقدم بلدا انا فيه لا تبدأ بي؟ فقال: ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: إنك لعلى ما أنت عليه من الصبأة بعد؟! قال: أنا على دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الإسلام، الذي رضي الله لنفسه ولرسوله، قالت: ما شكرت ما رثيتك مرة بأرض الحبشة ومرة بيثرب؟ فقال: أفر

[1]- ابن عبد ربه، بلاغات النساء، ص30.

[2] - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص187.

بديني أن تفتنوني. فأرادت حبسه فقال: لئن حبستني لأحرصن على قتل من يتعرض لي، فقالت: فاذهب لشأنك. وجعلت تبكي، فقال مصعب يا أمة إني لك ناصح، عليك شفيق فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، قالت: والثواقب لا أدخل في دينك فيزرى برأيي ويضعف عقلي ولكني أدعك وما أنت عليه وأقيم على ديني»[1]

14)محاورة طليب بن عميرة مع أمه:

«أسلم طليب بن عمير في دار الأرقم ثم خرج فدخل على أمه وهي أروى بنت عبد المطلب، فقال: تبعت محمدا وأسلمت لله، فقالت أمه: إن أحق من وازرت وعضدت ابن خالك، والله لو كن انقدر على ما يقدر عليه الرجال لمنعناه وذببنا عنه، فقال يا امة فما يمنعك أن تسلمي وتتبعيه؟ فقد أسلمك أخوك حمزة، فقالت: أنظر ما يصنع أخواتي ثم أكون إحداهن، فقال: فإني أسألك بالله إلا أتيته فسلمت عليه وصدقته وشهدت أن لا إله إلا الله فقالت : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. ثم كانت بعد تعضد النبي صلى الله عليه وسلم بلسانها وتحض ابنها على نصرته...»[2]

ثانيا: المجالس الشعرية

1) مجلس نسوة يدعين عمر ابن أبي ربيعة ويستنشدنه:

«أخبرني الحسن بن يحي عن حماد عن أبيه قال، قال أبو عبد الله مصعب الزبيري: اجتمع نسوة فذكرن عمر ابن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن مجلسه وحديثه وتشوقن إليه وتمنينه؛ فقالت سكينة: أنا لكن به، فبعثت إليه رسولا ووعدته الصورين لليلة سمتها، فوافاها على رواحله ومعه الغريض، فحدثهن حتى وافى الفجر وحان انصرافهن، فقال لهن: إني والله لمشتاق إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده، ولكن لا أخلط بزيارتكن شيئا، ثم انصرف إلى مكة وقال:

[1] - ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ج3، ص 119.

[2] - ابن سعد، الطبقات، ج3، ص123

ألمم بزينب إن البين قد أفدا *** قل الثواء لئن كان الرحيل غدا...»[1]

1) مجلس نسوة مع الغريض:

«أخبرني الحسين بن يحي قال حماد: قرأت على أبي، وذكر جعفر بن سعيد عن عبد الرحمن بن سليمان المكي قال: حدثني المخزومي (يعني الحارث بن خالد) قال:

بلغني أن الغريض خرج مع نسوة من أهل مكة من أهل الشرف ليلا إلى بعض المتحدثات من نواحي مكة، وكانت ليلة مقمرة؛ فاشتقت إليهن وإلى مجالستهن وإلى حديثهن وخفت على نفسي لجناية كنت أطال بها، وكان عمر مهيبا معظما لا يقدم عليه سلطان ولا غيره، وكان مني قريبا؛ فأتيته فقلت له: إن فلانة وفلانة وفلانة – حتى سميتهن كلهن– قد بعثنني ، وهن يقران عليك السلام، وقلن: تشوقن إليك في ليلتنا هذه لصوت أنشدناه فويسقك الغريض وكان الغريض يغني هذا الصوت فيجيده وكان ابن أبي ربيعة به معجبا، وكان كثيرا ما يسال الغريض أن يغنيه، وهو قوله:

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا *** إذا أقول صحا يعتاده عيدا

كأن أحور من غزلان ذي نفر *** أهدى لها شبه العينين والجيدا

قامت تراءى وقد جد الرحيل بنا *** لتنكأ القرح من قلب قد اصطيدا

كأنني يوم أمسي لا تكلمني *** ذو بغية يبتغي ما ليس موجودا

أجري على موعد منها فتخلفني *** فما أمل وما توفي المواعيدا

قد طال مطلي، لو أ، اليأس ينفعني *** أو أن أصادف من تلقائها جودا

فليس تبذل لي عفرا وأكرمها *** من أن ترى عندنا في الحرص تشديدا

فلما أخبرته الخبر قال: لقد أزعجتني في وقت كانت الدعة أب فيه إلي؛ ولكن صوت الغريض وحديث النسوة ليس له مترك ولا عنه محيص.فدعا بثيابه فلبسها، وقال: امض؛ فمضينا نمشي العجل حتى قربنا منهن. فقال لي عمر: خفض عليك مشيك ففعلت، حتى وقفنا عليهن وهن في أطيب حديث وأحسن مجلس؛ فسلمنا، فتهيبنا وتخفرن منا، فقال الغريض:

[1] - الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص246.

لا عليكن هذا ابن أبي ربيعة والحارث بن خالد جاءا متشوقين إلى حديثكن وغنائي فقالت فلانة: وعليك السلام يا ابن أبي أبي ربيعة، والله ما تم مجلسنا إلا بك، اجلسا فجلسنا غير بعيد، وأخذن عليهن جلابيبهن وتقنعن بأخمرتهن وأقبلن علينا بوجوههن وقلن لعمر: كيف أحسست بنا وقد أخفينا أمرنا؟ فقال: هذا الفاسق جاءني برسالتكن وكنت وقيذا من علة وجدتها، فأسرعت الإجابة، ورجوت منكن على ذلك حسن الإثابة. فرددن عليه: قد وجب أجرك، ولم يخب سعيك، ووافق منا الحارث إرادة. فحدثتهن بما قلت له من قصة غناء الغريض؛ فقال النسوة: والله ما كان ذلك كذلك، ولقد نهتنا إلى صوت حسن، يا غريض هاته.فاندفع الغريض يغني ويقول:

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا *** إذا أقول صحا يعتاده عيدا

حتى أتى على الشعر كله إلى آخره، فكل استحسنه. وأقبل علي ابن أبي ربيعة فجزاني الخير، وكذلك النسوة.فلم نزل بأنعك ليلة وأطيبها حتى بدأ القمر يغيب، فقمنا، جميعا، وأخذ النسوة طريقا ونحن طريقا وأخذ الغريض معنا»[1]

2) مجلس نسوة يتذاكرن شعرا:

«أتى نصيب مكة فأتى المسجد الحرام ليلا، فبينما هو كذلك إذ طلع ثلاث نسوة فجلسن قريبا وجعلن يتذاكرن الشعر والشعراء وإذا هن من أفصح النساء وآدبهن. فقالت إحداهن: قاتل الله جميل حيث يقول:

وبين الصفا والمروتين ذكرتكم *** بمختلف مابين ساع وموجف

وعند طوافي قد ذكرتك ذكرة *** هي الموت بل كادت على الموت تضعف

فقالت الأخرى بل قاتل الله كثير عزة حيث يقول:

[1] - الأصفهاني، الأغاني، ج6، ص308.

طلعن علينا بين مروة والصفا *** يمرن على البطحاء مور السحائب

فكدن لعمر الله يحدثن فتنة *** لمختشع من خشية الله تائب

فقالت الأخرى: قاتل الله ابن الزانية نصيبا حيث يقول:

ألام على ليلي ولو أستطيعها*** وحرمة مابين البنية والســـتر

لملت على ليلي ميـــــلة *** ولو كان في يوم التحالق والنحر

فقام نصيب إليهن فسلم عليهن، فرددن عليه السلام. فقال لهن: إني رأيتكن تتحادثن شيئا عندي منه علم. فقلن: ومن أنت؟ فقال: اسمعن أولا.فقلن: هات. فأنشدهن قصيدته التي أولها:

ويوم ذي سلم شاقتك نائحة*** ورقاء في فنن والريح تضطرب

فقلن له: نسألك بالله وبحق هذه البنية، من أنت؟ فقال: أنا ابن المظلومة المقذوفة بغير جرم نصيب. فقمن إليه فسلمن عليه ورحبن به، واعتذرت إليه القائلة وقالت: والله ما أردت سوءا، وإنما حملني الاستحسان لقولك على ما سمعت. فضحك وجلس إليهن، فحادثهن إلى أن انصرفن »[1]

3) مجلس هند بنت الحارث مع عمر:

«بينا أنا منذ أعوام جالس، إذ أتاني خالد الخريت، فقال لي: يا أبا الخطاب، مرت بي أربع نسوة قبيل العشاء يردن موضع كذا وكذا لم أر مثلهن في بدو ولا حضر، فيهن هند بنت الحارث المرية، فهل لك أن تأتيهن متنكرا فتسمع من حديثهن وتتمتع بالنظر إليهن ولا يعلمن من أنت؟ فقلت له: ويحك، وكيف لي أن أخفي نفسي؟ قال: تلبس لبسة أعرابي ثم تجلس على قعود ثم ائتيهن فسلم عليهن، فلا يشعرن إلا بك قد هجمت عليهن. ففعلت ما قال، وجلست على قعود، ثم أتيتهن فسلمت عليهن ثم وقفت بقربهن. فسألنني أن أنشدهن وأحدثهن، فأنشدتهن لكثير وجميل والأحوص ونصيب وغيرهم. فقلن لي: ويحك يا أعرابي؛ ما

[1] - نفسه، ج1، ص244.

أملحك وأظرفك! لو نزلت فتحدثت معنا يومنا هذا؛ فإذا أمسيت انصرفت في حفظ الله. قال: فأنخت بعيري ثم تحدثت معهن وأنشدتهن، فسررن بي وجدلن بقربي وأعجبهن حديثي. قال: ثم انهن تغامزن وجعل بعضهن يقول لبعض: كأنا نعرف هذا الأعرابي؛ ما أشبهه بعمر بن أبي ربيعة! فقالت إحداهن: فهو والله عمر، فمدت هند يدها فانتزعت عمامتي فألقتها عن رأسي ثم قالت لي: هيه بالله يا عمر؛ أتراك خدعتنا منذ اليوم، بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالد، فأرسلناه إليك لتأتينا في أسوأ هيئة ونحن كما ترى »[1]

4) مجلس سيدة مع عمر ابن أبي ربيعة:

« كان عمر بن أبي ربيعة جالسا بمنى في فناء مضربه، وغلمانه حوله إذ أقبلت امرأة برزة عليها أثر النعمة؛ فسلمت فرد عليها عمر السلام فقالت له أنت عمر بن أبي ربيعة؟ فقال لها: أنا هو؛ فما حاجتك؛ قالت له: حياك الله وقربك، هل لك في محادثة : أأنت عمر بن أبي ربيعة؟ قلت: أنا عمر، قالت: أنت الفاضح للحرائر؟ قلت: و ما ذاك ـ جعلني الله فداك؟ قالت: ألست القائل:. «...فقالت أأنت عمر بن أبي ربيعة؟ قلت: أنا عمر، قالت: أنت الفاضح للحرائر؟ قلت: وما ذاك ـ جعلني الله فداك! قالت: ألست القائل:

قالت: وعيش أخي ونعمة والدي *** لأنبهن الحي إن لم تخرج

فخرجت خوف يمينها فتبسمت*** فعلمت أن يمينها لم تخرج...

فتناولت رأسي لتعرف مسه***بمخضب الأطراف غير مشنّج

فلثمت فاها آخذًا بقرونها *** شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

ثم قالت: قم فاخرج عني، ثم قامت من مجلسها فجاءت المرأة فشدت عيني ثم أخرجتني حتى انتهت بي إلى مضربي وانصرفت وتركتني فحللت عيني فدخلني من الحزن والكآبة ما الله

[1]. الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص130.

أعلم به، وبت ليلتي ، فلما أصبحت إذا انا بها فقالت: هل لك فى العود؟ فقلت: شأنك ففعلت بي مثل فعلها بالامس حتى انتهت بي إلى الموضع ، فلما دخلت إذا بتلك الفتاة على كرسي فقالت : إيه يا فضاح الحرائر؟ قلت: بماذا؟ جعلني الله فداءك ؛ قالت بقولك وناهدة الثديين.

ثم قالت: قم فاخرج عنى!

فقمت فخرجت ثم رددت فقالت لي: لولا وشك الرحيل وخوف الفوت ومحبتي لمناجاتك والاستكثار من محادثتك لأقصيتك، هات الآن كلمنى وحدثنى وأنشدنى. فكلمت آدب الناس وأعلمتهم بكل شىء، ثم نهضت وأبطأت العجوز وخلا لى البيت، وأخذت أنظر فإذا بتور فيه خلوق، فأدخلت يدى فيه وخبأتها فى ردني، وجاءت تلك العجوز فشدت عينى ونهضت بى تقودنى حتى إذا صرت على باب المضرب أخرجت يدى فضربت بها عليه، ثم صرت إلى مضربى فدعوت غلمانى ووعدتهم أيهم يقفني على باب مضرب عليه خلوق، كأنه أثر كف فهو حر وله خمسمائة درهم. فلم ألبث أن جاء بعضهم فقال: قم ! فنهضت معه فإذا أنا بالكف طرية وإذا المضرب مضرب فاطمة بنت عبد الملك بن مروان »[1]

5) مجلس امرأة مع الأحوص:

« حضرت امرأة شريفة ودخل عليها ابن الأحوص بن محمد الشاعر، فقالت: أتروي قول أبيك:

لي ليلتان فليلة معسولة *** ألقى الحبيب بها بنجم الأسعد

ومريحة همي علي كأنــني*** حتى الصباح معلق بالفــرقد

قال: نعم؛ قالت: أتدري أي الليلتين التي يبيت فيها معلقا بالفرقد؟...»[2]

[1]- إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص217.

[2]- الأغاني، الأصفهاني، ج4، ص263.

6) مجلس ليلى مع عمر:

«أخبرني بذلك جحظة عنه .وأخبرني بهذا الخبر عبد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا أحمد بن الحارث بن الخراز عن ابن الأعرابي: أن ليلى هذه كانت جالسة في المسجد الحرام، فرأت عمر بن أبي ربيعة، فوجهت إليه مولى لها فجاءها به. فقالت له: يا بن أبي ربيعة، حتى متى لا تزال سادرا في حرم الله تشبب بالنساء وتشيد بذكرهن؟ أما تخاف الله؟ قال: دعيني من ذاك واسمعي ما قلت. قالت وما قلت؟ فأنشدها الأبيات المذكورة. فقالت له القول الذي تقدم أنها أجابته به. وقال لها: اسمعي أيضا ما قلت فيك، ثم أنشدها قوله:

أمن الرسم وأطلال الدمن*** عاد لي وجدي وعاودت الحزن

إن حبي آل ليلى قاتلي*** ظهر الحب بجسمي وبطن

يا أبا الحارث قلبي طائر*** فأتمر أمر رشيد مؤتمن

التمس للقلب وصلا عندها*** إن خير الوصل ما ليس يمن

علق القلب، وقد كان صحا*** من بني بكر غزالا قد شدن

أحور المقلة كالبدر، إذا *** قلد الدر فقلبي ممتحن

ليس حب فوق ما احببتكم*** غير ان أقتل نفسي او اجن

خلقت للقلب مني فتنة *** هكذا يخلق معروض الفتن»[1]

7) مجلس ليلى مع النميري الشاعر:

«... فمر بها النميري الشاعر، فسألت عنه فنسب لها، فقالت: إئتوني به فأتوها به. فقالت له: أنشدني مما قلت في زينب؛ فامتنع عليها وقال: تلك ابنة عمي وقد صارت عظاما بالية، قالت أقسمت عليك بالله إلا فعلت؛ فأنشدها قوله:

تضوع مسكا بطن نعمان إذ مشت*** به زينب في نسوة عطرات

[1] - الأغاني، ج ، ص119.

تهادين مابين المحصب من منى*** وأقبلن لا شعثا ولا غبرات

أعان الذي فوق السموات عرشه*** مواشي بالبطحاء مؤتجرات

مررن بفخ، ثم رحن عشية*** يلبين للرحمن معتمرات

يخبئن أطراف البنان من التقى*** ويقتلن بالألحاظ مقتدرات

تقسمن لبي يوم نعمان إنني*** رأيت فؤادي عارم النظرات

جلون وجوها لم تلحها سمائم*** حرور، ولم يسفعن بالسبرات

ولما رأت ركب النميري راعها*** وكن من أن يلقينه حذرات

فأدنين حتى جاوز الركب دونها*** حجابا من القسي والحبرات

فكدت اشياقا نحوها *** تقطع أنفاسي إثرها حسرات

فراجعت نفسي والحفيظة بعدما*** بللت رداء العصب بالعبرات

فقالت: والله ما قلت إلا جميلا، وما ذكرت إلا كرما وطيبا، ولا وصفت إلا دينا وتقى أعطوه ألف درهم.

فلما كانت الجمعة الأخرى تعرض لها؛ فقالت: علي به، فاحضره. فقالت له انشدني من شعرك في زينب، فقال لها: أو انشدك من شعر الحارث بن خالد فيك؟ فوثب مواليها إليه؛ فقالت: دعوه فإنه أراد أن يستقيد لبنت عمه؛ هات مما قال الحارث في فأنشدها:

ظعن الأمير بأحسن الخلق *** وغدا بلبك مطلع الشرق

في البيت ذي الحسب الرفيع ومن *** أهل التقى والبر والصدق

ما صبحت أحدا برؤيتها *** إلا غدا بكواكب الطلق

فقالت: والله ما ذكر إلا جميلا؛ ذكر أني إذا صبحت زوجي بوجهي غدا بكواكب الطلق، وأني غدوت مع أمير تزوجني إلى الشرق، وأني أحسن الخلق في البيت ذي الحسب الرفيع؛ أعطوه ألف درهم واكسوه حلتين، ولا تعد لإتياننا بعد هذا يا نميري»[1]

[1] - قصص العرب، ج3، ص197،198.

8) من مجالس نزهون الغرناطية:

«ومن نوادرها أن ابن قزمان الشاعر جاء ليناظرها، وكان يلبس غفارة صفراء على زي الفقهاء، فلما رأته قالت إنك اليوم كبقرة بني إسرائيل صفراء فاقع لونها، ولكن لا تسر الناظرين فضحك الحضور وثار بن قزمان واندفع يسب، وتدافع القوم عليه حتى طرحوه في بركة أمام البستان الذي احتفل المجلس به»[1]

«سمعت علي بن الجهم يقول: كنت يوما عند فضل الشاعرة، فلحظتها لحظة استرابت بها فقالت:

رب رام حسن تعرضه *** يرمي ولا يشعر أني غرضه

فقلت:

أي فتى لحظك لا يمرضه *** وأي عقد محكم لا ينقضه

فضحكت وقالت: خذ في غير هذا الحديث»[2]

وفي حسن الرد جاء في مجلس :

«سهر عباد ليلة لأمر حزبه وهي نائمة، فقال:

تنام ومدنفها يسهر *** وتصبر عنه ولا يصبر

فأجابته بديهة بقولها:

لئن دام هذا وهذا له*** سيهلك وجدا ولا يشعر»[3]

9) « مرعى ولا كالسعدان: يضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله.

[1] - محمد بدر معبدي، أدب النساء، ص157.

[2] - الأصفهاني، الأغاني، ج19، ص259.

[3] - المقري، نفح الطيب، ج4، ص283.

وأول من قال ذلك: الخنساء بنت عمرو بن الشريد، وذلك أنها أقبلت من الموسم – في عكاظ- فوجدت الناس مجتمعين على هند بنت عتبة بن ربيعة فعرجت عليها، وهي تنشدهم مراثي في أهل بيتها. فلما دنت منها قالت: على من تبكين؟ قالت: أبكي سادة مضوا. قالت أنشديني بعض ما قلت. فأنشدت هند أبياتا. فقالت الخنساء (مرعى ولا كسعدان)»[1]

10)الغريض في مجلس عائشة بنت طلحة

«أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام قال: حجت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله فجاءتها الثريا وأخواتها ونساء أهل مكة القرشيات وغيرهن، وكان الغريض فيمن جاء، فدخل النسوة عليها فأمرت لهن بكسوة وألطاف كانت قد أعدتها لمن يجيئها، فجعلت تخرج كل واحدة ومعها جاريتها ومعها ما أمرت لها به عائشة والغريض بالباب حتى خرج مولياته مع جواريهن الخلع والألطاف؛ فقال الغريض: فأين نصيبي من عائشة؟ فقلن له: أغفلناك وذهبت عن قلوبنا؛ فقال: ما أنا ببارح من بابها أو آخذ بحظي منها فإنها كريمةٌ بنت كرام، واندفع يغني بشعر جميل:

تذكرت ليلى فالفؤاد عميد وشطت نواها فالمزار بعيد

فقالت: ويلكم! هذا مولى العبلات بالباب يذكر بنفسه هاتوه، فدخل، فلما رأته ضحكت وقالت: لم أعلم بمكانك، ثم دعت له بأشياء أمرت له بها، ثم قالت له: إن أنت غنيتني صوتاً في نفسي فلك كذا وكذا "شيءٌ سمته له ذهب عن ابن سلام" قال: فغناها في شعر كثير:

ومازلت من ليلى لدن طر شارب إلى اليوم أخفي حبها وأداجن

وأحمل في ليلى لقومٍ ضغينةً وتحمل في ليلى علي الضغائن

فقالت له: ما عدوت ما في نفسي، ووصلته فأجزلت. قال إسحاق: فقلت لأبي عبد الله: وهل علمت حديث هذين البيتين؟ ولم سالت الغريض ذلك؟ قال: نعم.

[1]- المصدر نفسه، ص89.

11)الغريض في مجلس سكينة:

«أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال قال أبو عبد الله مصعب الزبيري: اجتمع نسوةٌ فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن مجلسه وحديثه وتشوقن إليه وتمنينه؛ فقالت سكينة: أنا لكن به، فبعثت إليه رسولاً ووعدته الصورين لليلةٍ سمتها، فوافاها على رواحله ومعه الغريض، فحدثهن حتى وافى الفجر وحان انصرافهن، فقال لهن: إني والله لمشتاقٌ إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده، ولكن لا أخلط بزيارتكن شيئاً، ثم انصرف إلى مكة وقال:

ألمم بزينب إن البين قد أفدا قل الثواء لئن كان الرحيل غدا

قال: وانصرف عمر بالغريض معه، فلما كان بمكة قال عمر: يا غريض، إني أريد أن أخبرك بشيء يتعجل لك نفعه ويبقى لك ذكره، فهل لك فيه؟ قال: افعل من ذلك ما شئت وما أنت أهله، قال: إني قد قلت في هذه الليلة التي كنا فيها شعراً فامض به إلى النسوة فأنشدهن ذلك وأخبرهن أني وجهت بك فيه قاصداً؛ قال: نعم، فحمل الغريض الشعر ورجع إلى المدينة فقصد سكينة وقال لها: جعلت فداك يا سيدتي ومولاتي، إن أبا الخطاب - أبقاه الله - وجهني إليك قاصداً، فقالت: أو ليس في خيرٍ وسرور تركته؟ قال: نعم؛ قالت: وفيم وجهك أبو الخطاب حفظه الله؟ قال: جعلت فداك، إن ابن أبي ربيعة حملني شعراً وأمرني أن أنشدك إياه؛ قالت: فهاته، قال فأنشدها:

ألمم بزينب إن البين قد أفدا قل الثواء لئن كان الرحيل غدا

الشعر كله، قالت: فيا ويحه! فما كان عليه ألا يرحل في غده! فوجهت إلى النسوة فجمعتهن وأنشدتهن الشعر، وقالت للغريض: هل عملت فيه شيئاً؟ قال: قد غنيته ابن أبي ربيعة؛ قالت: فهاته، فغناه الغريض؛ فقالت سكينة: أحسنت والله وأحسن ابن أبي ربيعة، لولا أنك سبقت فغنيته عمر قبلنا لأحسنا جائزتك، يا بنانة، أعطيه بكل بيت

ألف درهم، فأخرجت إليه بنانة أربعة آلاف درهم فدفعتها إليه وقالت سكينة: لو زادنا عمر لزدناك»[1]

12) إبراهيم الموصلي والرشيد في مجلس نسوة:

«وذكر أحمد بن أبي طاهر أن المدائني حدث قال: قال، إبراهيم الموصلي قال لي الرشيد يوماً: يا إبراهيم، إني قد جعلت غداً للحريم، وجعلت ليلتهللشرب مع الرجال، وأنا مقتصرٌ عليك من المغنين، فلا تشتغل غداً بشيء ولا تشرب نبيذاً، وكن بحضرتي في وقت العشاء الآخرة، فقلت: السمع والطاعة لأمير المؤمنين، فقال: وحق أبي لئن تأخرت أو اعتللت بشيء لأضربن عنقك، أفهمت. فقلت: نعم، وخرجت فما جاءني أحد من إخواني إلا احتجبت عنه ولا قرأت رقعة لأحد، حتى إذا صليت المغرب ركبت قاصداً إليه، فلما قربت من فناء داره مررت بفناء قصر، وإذا زنبيلٌ كبير مستوثق منه بحبال وأربع عرى أدم وقد دلي من القصر، وجاريةٌ قائمة تنتظر إنساناً قد وعد ليجلس فيه، فنازعتني نفسي إلى الجلوس فيه، ثم قلت: هذا خطأ، ولعله أن يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاك، فلم أزل أنازع نفسي وتنازعني حتى غلبتني، فنزلت فجلست فيه، ومد الزنبيل حتى صار في أعلى القصر، ثم خرجت فنزلت، فإذا جوار كأنهن المها جلوسٌ، فضحكن وطربن، وقلن: قد جاء والله من أردناه ة فلما رأينني من قريب تبادرن إلى الحجاب وقفن: يا عدو الله، ما أدخلك إلينا. فقلت: يا عدوات الله، ومن الذي أردتن إدخاله؟ ولم صار أولى بهذا مني؟ فلم يزل هذا دأبنا وهن يضحكن وأضحك معهن، ثم قالت إحداهن: أما من أردناه فقد فات، وما هذا إلا ظريف، فهلم نعاشره عشرة جميلة، فأخرج إلي طعام ودعيت إلى أكله، فلم يكن في فضلٌ إلا أني كرهت أن أنسب إلى سوء العشرة، فأصبت منه إصابة معذر، ثم جيء بالنبيذ فجعلنا نشرب، وأخرجن إلي ثلاث جوارٍ لهن فغنين غناء مليحاً، فغنت إحداهن صوتاً لمعبد،

[1] - الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص246-247.

فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر: أحسن إبراهيم، هذا له، فقلت: كذبت ليس هذا له، هذا لمعبد، فقالت: يا فاسق، وما يدريك الغناء ما هو، ثم غنت الأخرى صوتاً للغريض، فقالت تلك: أحسن إبراهيم، هذا له أيضاً، فقلت: كذبت يا خبيثة، هذا للغريض، فقالت: اللهم أخزه، ويلك! وما يدريك! ثم غنت الجارية صوتاً لي، فقالت تلك: أحسن ابن سريج، هذا له، فقلت: كذبت هذا لإبراهيم، وأنت تنسبين غناء الناس إليه وغناءه إليهم، فقالت: ويحك! وما يدريك!، فقلت: أنا إبراهيم، فتباشرن بذلك جميعاً وطربن كلهن وظهرن كلهن لي وقلن: كتمتنا نفسك وقد سررتنا، فقلت: أنا الآن أستودعكن الله، فقلن: وما السبب. فأخبرتهن بقصتي مع الرشيدة فضحكن وقلن: الآن والله طاب حبسك، علينا وعلينا إن خرجت أسبوعاً، فقلت: هو والله القتل، قلن: إلى لعنة الله. فأقمت والله عندهن أسبوعاً لا أزول فلما كان بعد الأسبوع ودعنني وقلن: إن سلمك الله فأنت بعد ثلاث عندنا، قلت نعم، فأجلسنني في الزنبيل وسرحت، فمضيت لوجهي حتى أتيت دار الرشيد، وإذا النداء قد أشيع ببغداد في طلبي وأن من أحضرني فقد سوغ ملكي وأقطع مالي، فاستأذنت فتبادر الخدم حتى أدخلوني على الرشيد، فلما رآني شتمني وقال: السيف والنطع! إيهٍ يا إبراهيم، تهاونت بأمري وتشاغلت بالعوام عما أمرتك به وجلست مع أشباهك من السفهاء حتى أفسدت علي لذتي!، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا بين يديك، وما أمرت به غير فائت، ولي حديث عجيب ما سمع بمثله قط وهو الذي قطعني عنك ضرورةً لا اختياراً، فاسمعه، فإن كان عذراً فاقبله وإلا فأنت أعلم، قال: هاته فليس ينجيك، فحدثته، فوجم ساعةً ثم قال: إن هذا لعجب، أفتخضرني معك هذا الموضع؟ قلت: نعم، وأجلسك معهن إن شئت قبلي حتى تحصل عندهن، وإن شئت فعلى موعد، قال: بل على موعد، قلت: أفعل، فقال: انظر، قلت: ذلك حاصلٌ - إليك متى شئت، فعدل عن رأيه في وأجلسني وشرب وطرب، فلما أصبحت أمرني بالانصراف وأن أجيئه من عندهن، فمضيت إليهن في وقت الوعد، فلما وافيت الموضع إذا الزنبيل معلق، فجلست فيه ومده الجواري فصعدت، فلما رأينني

تباشرن وحمدن الله على سلامتي، وأقمت ليلتي، فلما أردت الانصراف قلت لهن: إن لي أخاً هو عدل نفسي عندي، وقد أحب معاشرتكن ووعدته بذلك، فقلن: إن كنت ترضاه فمرحباً به، فوعدتهن ليلة غدٍ وانصرفت وأتيت الرشيد وأخبرته، فلما كان الوقت خرج معي متخفياً حتى أتينا الموضع، فصعدت وصعد بعدي ونزلنا جميعاً، وقد كان الله وفقني لأن قلت لهن: إذا جاء صديقي فاسترن عني وعنه ولا يسمع لكن نطقة، وليكن ما تختزنه من غناء أو تقلنه من قولٍ مراسلةٍ فلم يتعدين ذلك وأقمن على أتم ستر وخفر، وشربنا شرباً كثيراً، وقد كان أمرني ألا أخاطبه بأمير المؤمنين، فلما أخذ مني النبيذ قلت سهواً: يا أمير المؤمنين،فتواثبن من وراء الستارة حتى غابت عنا حركاتهن، فقال لي: يا إبراهيم لقد أفلت من أمر عظيم، والله لو برزت إليك واحدة منهن لضربت عنقك، قم بنا، فانصرفنا، وإذا هن له، قد كان غضب عليهن فحبسهن في ذلك القصر، ثم وجه من غد بخدم فردوهن إلى قصره، ووهب لي مائة ألف درهم، وكانت الهدايا والألطاف تأتيني بعد ذلك منهن، أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبي قال: دخلت على الرشيد يوماً فقال لي: أنا اليوم كسلان خاثر، فإن غنيتني صوتاً يوقظ نشاطي أحسنت صلتك، فغنيته:

ولم ير في الدنيا محبان مثلنا على ما نلاقي من ذوي الأعين الخزر

صفيان لا نرضى الوشاة إذا وشوا عفيفان لا نغشى من الأمر ما يزري

فطرب، ودعا بالطعام فأكل وشرب، وأمر لي بخمسين ألف درهم»[1]

1) مجلس نقدي لسكينة بنت الحسين:

«أخبرني الحسين بن علي عن أحمد بن زهير عن مصعب الزبيري قال: أنشدت سكينة بنت الحسين قول الحارث بن خالد:

ففزعن من سبع وقد جهدت *** أحشاؤهن موائل الخمر

[1] - الأصفهاني ، الأغاني،ج5، ص222.

فقالت: أحسن عندكم ما قال؟ قالوا نعم، فقالت: وما حسنه؟ فوالله لو طافت الإبل سبعا لجهدت أحشاؤها»[1]

2) مجلس سكينةمع رواة الشعراء:

« قال أبو عبد الله الزبيري: اجتمع راوية جرير، وراوية كثير، وراوية جميل وراوية الأحوص، وراوية نصيب، فافتخر كل منهم وقال: فافتخر كل منهم، وقال : صاحبي أشعر، فحكموا السيدة سكينة بنت الحسين رضي الله عنها بينهم لعقلها وتبصرها بالشعر، فخرجوا حتى استأذنوا عليها، وذكروا لها أمرهم فقالت لراوية جرير أليس صاحبك الذي يقول:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا *** وقت الزيارة فارجعي بسلام

وأي ساعة أحلى من الزيارة بالطروق! قبح الله صاحبك وقبح شعره فهلا قال: فادخلي بسلام وقبح شعره. ثم قالت لراوية كثير أليس صاحبك الذي يقول:

يقر بعيني ما يقر بعينها *** وأحسن شيء ما به العين قرت

وليس شيء أقر بعينها من النكاح، أيحب صاحبك أن ينكح! قبح الله صاحبك

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها*** ولكن طلابها لما فات من عقلي

فما أراه هوى وإنما طلب عقله،قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية نصيب أليس صاحبك الذي يقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت *** فواحزني من ذا يهيم بها بعدي

فما له همة همة إلا من يتعشقها بعده. قبحه الله وقبح شعره هلا قال:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت *** فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

ثم قالت لراوية الأحوص أليس صاحبك الذي يقول:

من عاشقين تواعدا وتراسلا *** ليلا إذا نجم الثريا حلقا

[1] - نفسه، ج، ص227.

باتا بأنعم ليلة وألذها*** حتى إذا وضح الصباح تفرقا

قبحه الله وقبح شعره. هلا قال: تعانقا. فلم تثن على واحد منهم، وأحجم رواتهم عن جوابها رضي الله عنها»[1]

3) مجلسها مع الشعراء:

«عن أبي الزناد قال: اجتمع الفرزدق وجميل وجرير ونصيب وكثير في موسم من المواسم فقال بعضهم لبعض: والله لقد اجتمعنا في هذا الموسم، وما ينبغي لنا أن نتفرق إلا وقد تتابع لنا في الناس شيء نذكر به. فقال جرير هل لكم في سكينة بنت الحسين، نقصدها فنسلم عليها؛ فلعل ذلك يكون سببا لبعض ما نريد! فقالوا: امضوا بنا. فمكثوا أياما ثم أذنت لهم، فدخلوا عليها وقعدت لهم حيث تراهم ولا يرونها، ثم أخرجت لهم وصيفة لها وضيئة، وقد روت الأشعار والأحاديث فأقرأها كل منهم السلام فقالت: أيكم الفرزدق؟ فقال: ها أنا ذا، قالت: أنت الذي تقول:

أبيت أمنّي النفس أن سوف نلتقي ***وهل هو مقدور لنفسي لقاؤها

فإن ألقها أو يجمع الدهر بيننا ***ففيها شفاء النفس منها وداؤها

قال: نعم، قالت: قولك أحسن من منظرك! وأنت القائل:

ودّعني بإشارة وتحيةٍ*** وتركني بين الديار قتيلا

لم أستطع رد الجواب عليهم ***عند الوداع وما شفين غليلا

[1] - المصدر نفسه.

لو كنت أملكهم إذاً لم يبرحوا***حتى أودّع قلبي المخبولا

قال: نعم، قالت: أحسنت أحسن الله إليك! وأنت القائل:

هما دلّتاني من ثمانين قامةً***كما انقضّ بازٌ أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي في الأرض نادتا***أحيٌّ فيرجى أم قتيل نحاذره
فقلت: ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا***وولّيتُ في أعقاب ليلٍ أُبادره

قال: نعم، قالت: سوءة لك! فما دعاك إلى إفشاء سرها وسرك هلا سترت عليها وعلى نفسك!، فضرب بيده على جبهته وقال: نعم فسوءة لي!
ثم دخلت على مولاتها وخرجت وقالت: أيكم جرير؟

فقال: هأنذا؛ قالت: أنت القائل:
رُزقنا به الصيد الغزير ولم نكن *** كمن نبله محرومةٌ وحبائله
فهيهات هيهات العقيق ومن به*** وهيهات حيٌّ بالعقيق نواصله
قال: نعم، قالت: أحسن الله إليك! وأنت القائل:
كأن عيون المجتلين تعرّضت*** وشمساً تجلّى يوم دجنٍ سحابها
إذا ذُكرت للقلب كاد لذكرها *** يطير إليها واعتراه عذابها
قال: نعم، قالت: أحسنت! وأنت القائل:
سرت العموم فبتن غير نيام ***وأخو الهموم يروم كلَّ مرام

ذم المنازل بعد منزلة اللوى*** والعيش بعد أولئك الأيام

طرقتك صائدةُ القلوب وليس ذا***وقت الزيارة فارجعي بسلام

لو كان عهدك كالذي حدثتني***لوصلت ذاك فكان غير ذمام

تجري السّواك على أغرّ كأنه *** بردٌ تحدّر من متون غمام

قال: نعم، قالت: سوءة لك! جعلتها صائدة القلوب حتى إذا أناخت ببابك جعلت دونها حجاباً، ألا قلت:

طرقتك صائدة القلوب فمرحباً*** نفسي فداؤكِ فادخلي بسلام

قال: نعم فسوءة لي!

ودخلت على مولاتها وخرجت وقالت: أيكم كثيّر؟ فقال: هأنذا، فقالت: أنت القائل:

وأعجبني يا عزّ منك خلائقٌ***حسانٌ إذا عُدّ الخلائق أربع

دُنوُّكِ حتى يطمع الصبُّ في الصِّبا***وقطعك أسباب الصبا حين تقطع

فوالله ما يدري كريمٌ مَطلتهِ *** أيشتدّ إن قاضاك أم يتضرع

قال: نعم، قالت: أعطاك الله مناك! وأنت القائل:

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامرٍ *** لعزة من أعراضنا ما استحلت

فما أنا بالداعي لعزة في الورى*** ولا شامتٍ إن نعل عزة زلّت

وكنت كذي رجلين، رجلٍ صحيحةٍ***ورِجلٍ رمى فيها الزمان فشلّت

قال: نعم، قالت: أحسن الله إليك! ثم دخلت على مولاتها وخرجت وقالت: أيكم نُصَيب؟ فقال: هأنذا، قالت: أنت القائل:

ولولا أن يقال صبا نصيبٌ***لقلت بنفسي النّشأ الصغارُ

قال: نعم، قالت: أحسنت وأكرمت، إلا أنك صبوت إلى الصغار، وتركت الناهضات بأحمالها.

ثم دخلت على مولاتها وخرجت وقالت: أيكم جميل؟ قال: أنا، قالت: أنت القائل:

لقد ذرفت عيني وطال سفوحها***وأصبح من نفسي سقيما صحيحها

ألا ليتنا كنا جميعاً وإن نمت***يجاور في الموتى ضريحي ضريحها

أظل نهاري مستهاما ويلتقي***مع الليل روحي في المنام وروحها

فهل لي في كتمان حبي راحةٌ***وهل تنفعنّي بوحةٌ لو أبوحها

قال: نعم، قالت: بارك الله عيك! وأنت القائل:

خليلي فيما عشتما هل رأيتما*** قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبلي

أبيت مع الهلاك ضيفاً لأهلها***وأهلي قريبٌ موسعون ذوو فضل

فيا ربّ إن تهلك بثينة لا أعش***فواقاً ولا أفرح بمالي ولا أهلي

ويا رب إن وقّيت شيئاً فوقّها***حتوف المنايا ربّ واجمع بها شملي

قال: نعم، قالت: أحسنت أحسن الله إليك! وأنت القائل:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً***بوادي القرى إني إذاً لسعيد

لكل حديثٍ عندهن بشاشةٌ***وكلُّ قتيلٍ بينهنّ شهيد

ويا ليت أيام الصبا كنّ رجّعاً***ودهراً تولّى يا بثين يعود

إذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي***من الحب قالت ثابتٌ ويزيد

وإن قلت ردّي بعض عقلي أعش به*** تناءت وقالت ذاك منك بعيد

فما ذكر الخلاّن إلا ذكرتها***ولا البخل إلا قلت سوف تجود

فلا أنا مردودٌ بما جئت طالباً***ولا حبها فيما يبيد يبيد

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها***ويحيا إذا فارقتها ويزيد

قال: نعم، قالت: لله أنت! جعلت لحديثها ملاحة وبشاشة وقتيلها شهيداً. وأنت القائل:

ألا ليتني أعمى أصمّ تقودني***بثينة لا يخفى عليّ مكانها

قال: نعم، قالت: قد رضيت من الدنيا أن تقودك بثينة وأنت أعمى أصم؟ قال: نعم، ثم دخلت على مولاتها وخرجت ومعها مدهن فيه غالية ومنديل فيه كسوة وصرّة فيها خمس

مائة دينار فصبّت الغالية على رأس جميل حتى سالت على لحيته ودفعت إليه الصرة والكسوة وأمرت لأصحابه بمائة مائة.»[1]

4) مجلس السيدة سكينة مع الفرزدق:

«خرج الفرزدق حاجا؛ فلما قضى حجه عدل إلى المدينة، فدخل إلى سكينة بنت الحسين، فسلم، فقالت له: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت. أشعر منك الذي يقول:

بنفسي من تجنبه عزيز*** عليَّ ومَنْ زيارته لمام

ومن أمسى وأصبح لا أراه *** ويطرقني إذا هجع النيام

فقال لها: أما والله لو أذنت لي لأسمعتك أحسن منه. قالت أقيموه؛ فأخرج.

ثم عاد إليها من الغد، فدخل عليها؛ فقالت: يا فرزدق من أشعر الناس؟ فقال: أنا. قالت: كذبت، صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول:

لولا الحياء لعادني استعبار*** ولزرت قبرك والحبيب يزار

كانت إذا هجر الضجيع فراشها*** كتم الحديث وعفت الأسرار

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا *** ليل يكر عليهم ونهار

فقال: والله لئن أذنت لي لأسمعنك أحسن منه. فأمرت به فأخرج.

ثم عاد في اليوم الثالث، وحولها مولدات لها كأنهن التماثيل؛ فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجب بها، وبهت ينظر إليها. فقالت له سكينة: يا فرزدق من أشعر الناس؟ قال: أنا؛ قالت: كذبت. صاحبك أشعر منك حيث يقول:

إن العيون التي في طرفها حَوَر *** قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

[1] - قصص نساء العرب، ج3، ص191.

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به *** وهن أضعف خلق الله إنسانا

فقال: لئن تركتني لأسمعنك أحسن منه، فأمرت بإخراجه

فالتفت إليها، وقال: يا بنت رسول الله، إن لي عليك حقا عظيما. قالت: وماهو؟ قال: ضربت إليك آباط الإبل من مكة إرادة التسليم عليك، فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطردي، وتفضيل جرير علي، ومنعك إياي أن انشدك شيئا من شعري، وبي ماقد عيل منه صبري؛ وهذه المنايا تغدو وتروح، ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت، فإذا أنا مت فمري بي أدرج في كفني، ثم أدفن في ثياب هذه الجارية.

فضحكت سكينة وأمرت له بالجارية، فخرج بها آخذا بريطتها؛ ثم قالت له: يا فرزدق احتفظ بها وأحسن صحبتها، فإني آثرتك بها على نفسي، بارك الله لك فيها

قال الفرزدق فلم أزل والله أرى بركة بدعائها في نفسي وأهلي ومالي»[1]

5) مجلس آخر لسكينة في النقد:

«أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال: بلغني أن سكينة بنت الحسين رضي الله عنها أنشدت، وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن مصعب قال: أنشدت سكينة، وأخبرني الحسين بن يحي عن عباد عن أبيه عن أبي يحي العبادي: أن سكينة أنشدت أبيات عروة بن أذينة في أخيه بكر؛ فلما انتهت إلى قوله:

على بكر أخي ولى حميدا*** وأي العيش يحسن بعد بكر

قالت سكينة: ومن أخوه بكر؟ أليس الدحداح الأسيد القصير الذي كان يمر بنا صباحا ومساء؟ قالوا نعم ؛ كل العيش والله يصلح ويحسن بعد بكر حتى الخبز والزيت»[2]

[1] - قصص العرب،ص193- 194.

[2] - الأصفهاني، المصدر السابق، ج7، ص62.

6) مجلس سيدة من بني أمية في النقد:

«... أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني عبد الله بن إسماعيل بن أبي عبيد الله كاتب المهدي قال: وجدت في كتاب أبي بخطه: حدثني أبو يوسف التجيبي قال حدثني إسماعيل بن المختار مولى آل طلحة وكان شيخاً كبيراً قال: حدثني النصيب أبو محجن أنه خرج هو وكثير والأحوص غب يومٍ أمطرت فيه السماء، فقال: هل لكم في أن نركب جميعاً فنسير حتى نأتي العقيق فنمتع فيه أبصارنا؟ فقالوا نعم. فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من الدواب، ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من الثياب، وتنكروا ثم ساروا حتى أتوا العقيق، فجعلوا يتصفحون ويرون بعض ما يشتهون، حتى رفع لهم سواد عظيم فأموه حتى أتوه، فإذا وصائف ورجال من الموالي ونساء بارزات، فسألنهم أن ينزلوا فاستحيوا أن يجيبوهن من أول وهلة، فقالوا: لا نستطيع أو نمضي في حاجة لنا فحلفنهم أن يرجعوا إليهن، ففعلوا وأتوهن رفع لهم سوادٌ عظيمٌ فأموه حتى أتوه، فإذا وصائف ورجالٌ من الموالي ونساء بارزاتٌ، فسألنهم أن ينزلوا، فاستحيوا أن يجيبوهن من أول وهلةٍ، فقالوا: لا نستطيع أو نمضي في حاجةٍ لنا. فحلفنهم أن يرجعوا إليهن، ففعلوا وأتوهن، فسألنهم النزول فنزلوا. ودخلت امرأةٌ من النساء فاستأذنت لهم، فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت: ادخلوا. فدخلنا على امرأة جميلة برزةٍ على فرش لها، فرحبت وحيت، وإذا كراسي موضوعةٌ، فجلسنا جميعاً في صف واحدٍ كل إنسانٍ على كرسي. فقالت: إن أحببتم أن ندعو بصبي لنا فنصيحه ونعرك أنذه فعلنا، وإن شئتم بدأنا بالغداء. فقلنا: بل تدعين بالصبي ولن يفوتنا الغداء. فأومأت بيدها إلى بعض الخدم، فلم يكن إلا كلا ولا حتى جاءت جاريةٌ جميلةٌ قد سترت بمطرفٍ، فأمسكوه عليها حتى ذهب بهرها، ثم كشف عنها وإذا جاريةٌ ذات جمالٍ قريبةٌ من جمال مولاتها، فرحبت بهم وحيتهم، فقالت لها مولاتها: خذي - ويحك - من قول النصيب عافى الله أبا محجن:

ألا هل من البين المفرق من بد ... وهل مثل أيامٍ بمنقطع السعد

تمنيت أيامي أولئك، والمنى ... على عهد عادٍ ما تعيد ولا تبدي

فغنته، فجاءت به كأحسن ما سمعته قط بأحلى لفظٍ وأشجى صوت. ثم قالت لها: خذي أيضاً من قول أبي محجن عافى الله أبا محجن:

أرق المحب وعاده سهده لطوارق الهم التي ترده

وذكرت من رقت له كبدي وأبى فليس ترق لي كبده

لا قومه قومي ولا بلدي فنكون حيناً جيزةً بلده

ووجدت وجداً لم يكن أحد قبلي من أجل صبابةٍ يجده

إلا ابن عجلان الذي تبلت هندٌ ففات بنفسه كمده

قال: فجاءت به أحسن من الأول، فكدت أطير سروراً. ثم قالت لها: ويحك! خذي من قول أبي محجن عافى الله أبا محجن:

فيا لك من ليلٍ تمتعت طوله وهل طائفٌ من نائمٍ متمتع

نعم إن ذا شجوٍ متى يلق شجوه ولو نائماً مستعتبٌ أو مودع

له حاجةٌ قد طالما قد أسرها من الناس في صدرٍ بها يتصدع

تحملها طول الزمان لعلها يكون لها يوماً من الدهر منزع

وقد قرعت في أم عمرٍو لي العصا قديماً كما كانت لذي الحلم تقرع

قال: فجاءت والله بشيء حيرني وأذهلني طرباً لحسن الغناء وسروراً باختيارها الغناء في شعري، وما سمعت فيه من حسن الصنعة وجودتها وإحكامها. ثم قالت لها: خذي أيضاً من قول أبي محجنٍ، عافى الله أبا محجن:

يا أيها الركب إني غير تابعكم حتى تلموا وأنتم بي ملمونا

فما أرى مثلكم ركباً كشكلكم يدعوهم ذو هوى إلا يعوجونا

أم خبروني عن دائي بعلمكم وأعلم الناس بالداء الأطبونا

قال نصيب: فوالله لقد زهيت بما سمعت زهواً خيل إلي أني من قريش، وأن الخلافة لي. ثم قالت: حسبك يا بنية! هات الطعام يا غلام! فوثب الأحوص وكثيرٌ وقالا: والله لا نطعم لك طعاماً ولا نجلس لك في مجلس؛ فقد أسأت عشرتنا واستخففت بنا، وقدمت شعر هذا على

أشعارنا، واستمعت الغناء فيه، وإن في أشعارنا لما يفضل شعره، وفيها من الغناء ما هو أحسن من هذا. فقالت: على معرفةٍ كل ما كان مني، فأي شعركما أفضل من شعره؟ أقولك يا أحوص:

"يقر بعيني ما يقر بعينها وأحسن شيء ما به العين قرت

أو قولك يا كثير في عزة:

وما حسبت ضمريةٌ جدويةٌ سوى التيس ذي القرنين أن لها بعلا

أم قولك فيها:

إذا ضمريةٌ عطست فنكها فإن عطاسها طرف السفاد

قال: فخرجا مغضبين واحتبستني، فتغديت عندها، وأمرت لي بثلثمائة دينار وحلتين وطيبٍ، ثم دفعت إلي مائتي دينار وقالت: ادفعها إلى صاحبيك؛ فإن قبلاها وإلا فهي لك. فأتيتهما منازلهما فأخبرتهما القصة. فأما الأحوص فقبلها، وأما كثير فلم يقبلها، وقال: لعن الله صاحبتك وجائزتها ولعنك معها! فأخذتها وانصرفت.

فسألت النصيب: ممن المرأة؟. فقال: من بني أمية ولا أذكر اسمها ما حييت لأحد.»[1]

الرشيد والجواري الثلاث (الأصمعي في مجلس نقدي):

قالت شهرزاد للملك شهريار: يحكى أيها الملك السعيد، أن الخليفة هارون الرشيد، شكا أرقاً شديداً في ليلة من الليالي، فنهض عن فراشه، وأخذ يتمشى في جوانب قصره، ثم حاول النوم بعد ذلك فتعذَّر عليه، وأبي أن يزور جفنيه. حينها، أرسل في طلب الأصمعي، وقال له: أريد منك أن تحدثني بأطرف ما عندك من أخبار النساء وأشعارهن.

حدّثه الأصمعي قائلاً: سمعت كثيراً من أشعار البدويات والحضريات، فلم يعجبن حقاً إلا ثلاثة أبيات لثلاث فتيات. كنتُ مقيماً في البصرة في سنة من السنين، فاشتد عليَّ الحر يوماً وخرجت إلى بعض البساتين، وفيما أنا أسير وذهني مشغول بالتفكير، إذا بي أجد نفسي في

[1] - نفسه، ص233.

بستان كبير نضير قد حفل بالأشجار وأطايب الثمار، وتناغت فيه الأطيار بأصوات أعذب من رنات الأوتار، وفاحت روائح الأزهار... فكان متعة للأسماع والأبصار. وجدت أمامي خميلة جميلة، وضعتُ فيها أريكة مستطيلة، ومن فوقها نافذة مفتوحة على الحديقة، قد زُينت بزخرفة أنيقة دقيقة، تصدر منها أصوات عذبة رقيقة، فاضطجعت على تلك الدكة لأستريح، وأمتع سمعي وبصري بالمنظر المليح والحديث الفصيح.

قال الأصمعي: بينما أنا كذلك، إذ سمعت جارية تقول لزميلات لها في الغرفة التي بها تلك النافذة: ما دامت المؤانسة هي الغاية من هذه المجالسة، فلتخرج كل منا نحن الثلاث مئة دينار، ثم نتناشد الأشعار، ونحكم لصاحبة أعذب بيت وأملحه بالثلاثمئة دينار. وافقن على هذا الاقتراح، ثم أخذن في إنشاد الأشعار في سرور وانشراح.

قالت الكبرى منهن:

عجبتُ له أن زار في النوم مضجعي*** ولو زارني مستيقظا كان أعجبا

فقالت الجارية الوسطى:

وما زارني في اليوم إلا خياله*** فقلت له: أهلاً وسهلاً ومرحباً

ثم قالت الجارية الصغرى:

بنفسي وأهلي من أرى كل ليلة *** وانشق من رياه مسكاً وأطيبا

قال الأصمعي: أعجبت بفصاحتهن، واشتاقت نفسي إلى مشاهدتهن. ولكني لم أجد سبيلاً إلى بلوغ هذه الأمنية، فاكتفيت بما أمضيت من ساعة هنية ونهضت قاصداً الانصراف، فإذا بجارية لينة الأعطاف، كاملة الأوصاف، تهتف بي قائلة: أجلس يا شيخ حتى تحكم بيننا بالعدل والإنصاف، ثم أعطتني ورقة كتب فيها بخط مستقيم الألفات، مجوف الهاءات مدور الواوات: اعلم أننا ثلاث بنات أخوات، وقد أنشدنا في مسامراتنا ثلاثة أبيات، وجعلنا ثلاثمئة دينار لصاحبة البيت الأملح، وارتضيناك حكماً تقضي بيننا بما تراه الأصلح. قال الأصمعي: لما انتهيت من قراءة رسالتهن، كتبت ردي عليهن، وكان ردي هذه الأبيات:

أحدِّث عن خودٍ حسانٍ كواعب*** حديث امرئ قاس الأمور وجرَّبا

ثلاث بناتٍ كالزهورٍ صاحبة*** تملكن قلباً للمشوق معذباً

خلون إلى روض كحور بجنة*** ورحن يدرن القول عذباً مطيباً

فقالت فتاة ذات دل مليحة*** بصوت من الأنغام أحلى وأعذبا

عجبت له أن زار في النوم مضجعي*** ولو زارني مستيقظا كان أعجبا»

فلما انتهت من شعرها ونظامها*** تقدمت الوسطى «وقالت تطريا:

«وما زارني في النوم إلا خياله*** فقلت له: أهلا وسهلا ومرحباً»

وأحسنت الصغرى، وقالت مجيبة*** بلفظ كما أطعمت شهداً مذوبا:

«بنفسي وأهلي ما أرى كل ليلة*** وأنشق ما رياه مسكا وأطيبا»

فلما تدبرت الذي قلن كله*** وما اخترت إلا الحق في الحب مذهبا

حكمت لصغراهن بالسبق، أنني*** رأيت الذي قال إلى الحق أقربا

قال الأصمعي: ثم دفعت الورقة إلى الجارية، فما رجعت بها إلى زميلتيها، واطلعن على ما فيها، حتى تعالت ضحكاتهن، وأطلت الجارية الصغرى التي حكمت لها من النافذة، وقالت لي: أجدت يا أصمعي، وهذه الثلاثمئة دينار هدية مني إليك لعدلك في حكمك، ثم رمت لي صرة فيها الدنانير، ورجعت عن النافذة، وانصرفت بعد ذلك وأنا في عجب من جمالها وفصاحتها وذكائها وفطنتها إذ عرفتني من شعري وهي لم ترني من قبل!

لما انتهى الأصمعي من حديثه، قال له الرشيد: لم حكمت للصغرى؟ فأجاب: الكبرى لم تزد على أن عجبت لزيارة من تهواه لها في المنام، والوسطى لم تزد على الترحيب بخياله مكتفية بالتحية والسلام، أما الصغرى فأبت إلا أن يكون معها بشخصه على الدوام، وفدته بنفسها وأهلها، وليس بعد ذلك دليل على شدة العشق والهيام.

فقال له الرشيد: أحسنت يا أصمعي، وأعطاه ثلاثمئة دينار أخرى!»[1]

مجالس جميلة:

7) وصف مجلس من مجالسها غنت فيه وغنى فيه مغنو مكة والمدينة:

«قال إسحاق وحدثني هشام بن المرية المدني قال حدثني جرير المدني - قال إسحاق: وكانا جميعاً مغنيين حاذقين شيخين جليلين عالمين ظريفين، وكانا قد أسنا، فأما هشام فبلغ الثمانين، وأما جرير فلا أدري - قال جرير: وفد ابن سريج والغريض وسعيد بن مسجح ومسلم بن محرز المدينة لبعض من وفدوا عليه، فأجمع رأيهم على النزول على جميلة مولاة بهزٍ، فنزلوا عليها فخرجوا يوماً إلى العقيق متنزهين، فوردوا على معبد وابن عائشة فجلسوا إليهما فتحدثوا ساعةً، ثم سأل معبدٌ ابن سريج وأصحابه أن يعرضوا عليهم بعض ما ألفوا. فقال ابن عائشة: إن للقوم أعمالاً كثيرةً حسنةً ولك أيضاً يا أبا عباد، ولكن قد اجتمع علماء مكة، وأنا وأنت من أهل المدينة، فليعمل كل واحد منا صوتاً ساعته ثم يغن به. قال: معبد: يا بن عائشة، قد أعجبتك نفسك حتى بلغتك هذه المرتبة! قال ابن عائشة: أو غضبت يا أبا عباد، إني لم أقل هذا وأنا أريد أن أتنقصك فإنك لأنت المفاد منه. قال معبدٌ: أما إذا قد اختلفنا وأصحابنا المكيون سكوتٌ فلنجعل بيننا حكما. قال ابن عائشة: إن أصحابنا شركاء في الحكومة. قال ابن سريج: على شريطةً، قال: على أن يكون ما نغني به من الشعر ما حكمت فيه امرأةٌ. قال ابن عائشة ومعبد: رضينا، وهي وأم جندب. فأجمع رأيهم على الاجتماع في منزل جميلة من غدٍ. فلما حضروا قال ابن عائشة: ما ترى يا أبا عباد؟ قال: أرى أن يبتدىء أصحابنا أو أحدهم. قال ابن سريج: بل أنتما أولى. قالا: لم نكن لنفعل. فأقبل ابن سريج على سعيد بن

[1] - ألف ليلة وليلة،

مسجح فسأله أن يبتدىء فأبى. فأجمع رأي المكيين على أن يتبدىء ابن سريج. فغنى ابن سريج: صوت

ذهبت من الهجران في غير مذهب ولم يك حقاً كل هذا التجنب

خليلي مرا بي على أم جندب أقض لبانات الفؤاد المعذب

فإنكما إن تنظراني ساعةً من الدهر تنفعني لدى أم جندب

ألم تراني كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

الشعر لامرئ القيس. ولابن سريج فيه لحنان ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى، وخفيف رملٍ بالسبابة في مجرى الوسطى جميعاً عن أسحاق وغنى معبد: صوت

فلله عينا من رأى من تفرقٍ *** أشت وأنأى من فراق المحصب

علون بأنطاكيةٍ فوق عقمةٍ *** كجرمة نخلٍ أو كجنة يثرب

فريقان منهم سالكٌ بطن نخلةٍ *** وآخر منهم جازعٌ نجد كبكب

فعيناك غرباً جدولٍ في مفاضةٍ*** كمر خليجٍ في سنيحٍ مثقب

وغنى ابن مسجح: صوت

وقالت فإن يبخل عليك ويعتلل يسؤك وإن يكشف غرامك تدرب

وإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يغلبك مثل مغلب

وإنك لم تقطع لبانة عاشقٍ بمثل بكور أو رواحٍ مؤوب

بأدماء حرجوجٍ كأن قتودها على أبلق الكشحين ليس بمغرب

يغرد بالأسحار في كل سدفةٍ تغرد مياح الندامى المطرب

وغنى ابن عائشة: صوت

وقد أغتدي والطير في وكناتها وماء الندى يجري على كل مذنب

بمنجردٍ قيد الأوابد لاحه طراد الهوادي كل شأوٍ مغرب

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه تقول هزيز الريح مرت بأثأب

له أيطلا ظبيٍ وساقا نعامةٍ وصهوة عيرٍ قائم فوق مرقب

وغنى ابن محرز: صوت

فللسوط ألهوب وللساق درة *** وللزجر منه وقع أخرج مهذب

فأدرك لم يجهد ولم يبل شدة*** يمر كخذروف الوليد المثقب

تذب به طورا وطورا تمره*** كذب البشير بالرداء المهدب

إذا ما ضربت الدف أو صلت صولة*** ترقب مني غير أدنى ترقب

وغنى الغريض:

أخا ثقة لا يلعن الحي شخصه *** صبورا على العلات غير مسبب

رأينا شياها يرتعن خميلة ***كمشي العذارى في الملا المجوب

وما أنت أم ماذكرها ربيعية *** تحل بإير أو بأكناف شربب

أطعت الوشاة والمشاة بصرمها *** فقد انهجت حبالها للتقضب

فقالت جميلة: كلكم محسن وكلكم مجيد في معناه ومذهبه، قال ابن عائشة: ليس هذا بمقنع دون التفصيل. فقالت:أما أنت يا أبا يحي فتضحك الثكلى بحسن صوتك ومشاكلته للنفوس . وأما أنت يا أبا عباد فنسج وحدك بجودة تأليفك وحسن نظمك مع عذوبة غنائك، وأما أنت يا أبا عثمان فلك أولية هذا الأمر وفضيلته، وأما أنت يا أبا جعفر فمع الخلفاء تصلح وأما أنت يا أبا الخطاب فلو قدمت أحدا على نفسي لقدمتك، وأما أنت يا مولى العبلات فلو ابتدأت لقدمتك عليهم. ثم سألوها جميعا أت تغنيهم لحنا كما غنوا؛فغنتهم بيتا لامرئ القيس وأربعة لعلقمة وهي:

خَليلَيَّ مُرّا بي عَلى أُمِّ جُندَبِ*** نُقَضِّ لُباناتِ الفُؤادِ المُعَذَّبِ

لَيالِيَ لا تَبلى نَصيحَةُ بَينِنا*** لَيالِيَ حَلّوا بِالسِتارِ فَغُرَّبِ

مُبَتَّلَةٌ كَأَنَّ أَنضاءَ حَلِيِها***عَلى شادِنٍ مِن صاحَةٍ مُتَرَبَّبِ

مَحالٌ كَأَجوازِ الجَرادِ وَلُؤلُؤٌ***مِنَ القَلَقِيّ وَالكَبيسِ المُلَوَّبِ

إِذا أَلحَمَ الواشونَ لِلشَرِّ بَينَنا***تَبَلَّغَ رَسُّ الحُبِّ غَيرُ المُكَذَّبِ

فكلهم أقروا لها وفضلوها. فقالت لهم: ألا أحدثكم بحديث يتم به حسن غنائكم وتمام اختياركم؟ قالوا بلى والله. قال الغريض: قد والله فهمته يا سيدتي. قالت: لعنك الله يا مخنث! ما أجود فهمك وأحسن وجهك! وما يلام فيك أبو يحي إذ عرفته؛ فهاته حدثنا، قال: يا سيدتي وسيدة من حضر، والله لا نطقت بحرف منه وأنت حاضرة، ولك الفضل والعتبى. قال: نازع امرؤ القيس علقمة بن عبدة الفحل الشعر؛ فقال له: قد حكمت بيني وبينك امرأتك أم جندب؛ قال: قد رضيت. فقالت لهما فقالت: أم جندب لهما: قولا شعرا تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة وروي واحد، فقال إمرؤ القيس:

خليلي مرا بي على أم جندب*** نقض لبانات الفؤاد المعذب

وقال علقمة:

ذهبت من الهجران كل مذهب ***ولم يك حقا طول هذا التجنب

وأنشداها فغلبت علقمة، فقال لها زوجها: بأي شيء غلبته؟ قالت: لأنك قلت:

فللسوط ألهوب وللساق درة *** وللزجر منه وقع أحرج مهذب

فجهدت فرسك بسوطك، ومريته بساقك وزجرك وأتعبته بجهدك، وقال علقمة:

فولى على آثارهن بحاصب *** وغبية شؤبوب من الشد ملهب

فأدركهن ثانيا من عنانه *** يمر كمر الرائح المتحلب

فلم يضرب فرسه بسوط ، ولم يمره بساق، ولم يتعبه بزجر. فقال ابن عائشة: جعلت فدائك أتأذنين أن أحدث ؟ قالت: هيه. قال: إنما تزوج أم جندب حين هرب من المنذر بن ماء السماء فأتى جبل طيء، وكان مفركا.فبينا هو معها ذات ليلة إذ قالت له: قم يا خير الفتيان فقد أصبحت، فلم يقم؛ فكررت عليه فقام فوجد الفجر لم يطلع، فرجع فقال لها: ما حملك على ماصنعت؟ فأمسكت. وألح عليها فقالت: حملني أنك ثقيل الصدر،

خفيف العجيزة، سريع الإراقة بطيء الإفاقة. فعرف تصديق قولها وسكت.فلما أصبح أتى علقمة وهو في خيمته وخلفه أم جندب، فتذاكروا الشعر، فقال امرؤ القيس: أنا أشعر منك، وقال علقمة مثل ذلك ، فتحاكما إلى أم جندب، ففضلت أم جندب علقمة على امر ئ القيس فقال لها: بما فضلته علي؟ قالت: فرس ابن عبدة أجود من فرسك. زجرت وضربت وحركت ساقيك، وابن عبدة جامد لا مقتدر.فغضب من قولها وطلقها، وخلف عليها علقمة. فقالت جميلة: ما أحسن مجلسنا لو دام اجتماعنا! ثم دعت بالغداء فأتى بألوان الأطعمة وأنواع من الفاكهة.ثم قالت: لولا شناعة مجلسنا لكان الشراب معدا ولكن الليل بيننا. فلم يزالوا يومهم ذلك بأطيب مجلس وأحسن حديث. فلما جنهم الليل دعت بالشراب ودعت لكل رجل منهم بعود، وأخذت هي عودا فضربت، ثم قالت: اضربوا فضربوا عليها بضرب واحد، وغنت بشعر امرئ القيس:

أَأَذْكَرْتَ نَفْسَكَ مَا لَنْ يَعودا ... فَهَاجَ التّذَكُّرُ قَلْباً عَمِيدا

تَذَكّرْتُ هِنْداً وَأَتْرَابَهَا ... فأصْبَحتُ أزْمَعتُ منها صُدُودَا

وَنَادَمتُ قَيْصَرَ في مُلْكِهِ ... فأوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ البَرِيدَا

فما سمع السامعون بشيء أحسن من ذلك. ثم قالت: تغنوا جميعا بلحن واحد؛ فغنوها هذا الشعر والصوت بعينه كما غنته. وعلم القوم ما أرادت بهذا الشعر؛ فقال ابن عائشة: جعلت فداك! نرجو أن يدوم مجلسنا، ويؤثر أصحابنا المقام بالمدينة فنواسيهم من كل ما نملكه. قال أبو عباد: وكيف بذاك! فباتوا بأنعم ليلة وأحسنها. قال إسحاق قال أبي قال لي يونس: قال أبو عباد: لا أعرف يوما واحدا منذ عقلت ولا ليلة عند خليفة ولا غيره مثل ذلك اليوم، ولا أحسبه يكون بعد. قال يونس: ولا أدركنا نحن مثل ذلك ولا بلغنا. قال إسحاق: ولا أنا، ولا أحسب ذلك اليوم يكون بعد.»[1]

8) مجلس جميلة مع الأحوص:

[1] - الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص195.

« كان الأحوص معجباً بجميلة، ولم يكن يكاد يفارق منزلها إذا جلست. فصار إليها غلاماً بغلام جميل الوجه يفتن من رآه، فشغل أهل المجلس، وذهبت اللحون عن الجواري وخلطن في غنائهن. فأشارت جميلة إلى الأحوص أن أخرج الغلام، فالخلل قد عم مجلسي وأفسد علي أمري. فأبى الأحوص وتغافل، وكان بالغلام معجباً، فآثر لذته بالنظر إلى الغلام مع السماع. ونظر الغلام إلى الوجوه الحسان من الجواري ونظرن إليه، وكان مجلساً عاماً. فلما خافت عاقبة المجلس وظهور أمره أمرت بعض من حضر بإخراج الغلام فأخرج، وغضب الأحوص وخرج مع الغلام ولم يقل شيئاً، فأحمد أهل المجلس ما كان من جميلة، وقال لها بعضهم: هذا كان الظن بك، أكرمك الله! فقالت: إنه والله ما استأذنني في المجيء به ولا علمت به حتى رأيته في داري، ولا رأيت له وجهاً قبل ذلك، وإنه ليعز علي غضب الأحوص، ولكن الحق أولى، وكان ينبغي له ألا يعرض نفسه وإياي لما نكره مثله. فلما تفرق أهل المجلس بعثت إليه: الذنب لك ونحن منه برءاء، إذ كنت قد عرفت مذهبي، فلم عرضتني للذي كان، فقد ساءني ذلك وبلغ مني، ولكن لم أجد بداً من الذي رأيت إما حياءً وإما تصنعاً. فرد عليها: ليس هذا لك بعذر إن لم تجعلي لي وله مجلساً نخلو فيه جميعاً تمحين به ما كان منك. قالت: أفعل ذلك سراً، قال الأحوص: قد رضيت. فجاءاها ليلاً فأكرمتهما، ولم تظهر واحدةً من جواريها على ذلك إلا عجائز من مواليها. وسألها الأحوص وأقسم عليها أن تغنيه من شعره:

وبالفقر دارٌ من جميلة هيجت سوالف حبٍّ في فؤادك منصب
وكانت إذا تنأى أو تفرقت شداد الهوى لم تدر ما قول مشغب
أسيلة مجرى الدمع خمصانة الحشا برود الثنايا ذات خلقٍ مشرعب
ترى العين ما تهوى وفيها زيادةٌ من الحسن إذ تبدو وملهىً لملعب

قال يونس: ما لها صوتٌ أحسن منه، وابن محرزٍ يغنيه وعنها أخذه »[1]

9) مجلس جميلة مع عبد الله بن جعفر:

[1] - نفسه، ج8، ص231.

«و حدثني أبي قال: حدثنا يونس قال: قال لي أبو عباد: أتيت جميلة يوما وكان لي موعدا ظننت أني سبقت الناس إليها، فإذا مجلسها غاص؛ فسألتها أن تعلمني شيئا؛ قالت لي: إن غيرك قد سبقك ولا يجمل تقديمك على من سواك. قلت: جعلت فداك! إلى متى تفرغين ممن سبقني! قالت: هو ذاك الحق يسعك ويسعهم. فبنما نحن كذلك إذ أقبل عبد الله بن جعفر وإنه لأول يوم رأيته وآخره وكنت صغيرا كيسا ، وكانت جميلة شديدة الفرح فقامت وقام الناس، فتلقته وقبلت رجليه ويديه، وجلس فس صدر المجلس على كوم لها وتحوق أصحابه حوله، وأشارت إلى من عندها بالغنصراف، وتفرق الناس، وغمزتني أن لا أبرح فأقمت . وقالت: يا سيدي وسيد آبائي وموالي، كيف نشطت إلى أن تنقل قدميك إلى أمتك؟ قال: يا جميل، قد علمت ما آليت على نفسك ألا تغني أحدا إلا في منزلك، وأحببت الاستماع وكان ذلك طريقا مادا فسيحا. قالت: جعلت فداك! فأنا أصير إليك وأكفر. قال: لا أكلفك ذلك، وبلغني أنك تغنين بيتين لامرئ القيس تجيدين الغناء فيهما، وكان الله أنقذ بهما جماعة من المسلمين من الموت. قالت: يا سيدي نعم! فاندفعت تغني بعودها، فما سمعت منها قبل ذلك ولا بعد إلى أن ماتت مثل ذلك الغناء؛ فسبح عبد الله بن جعفر والقوم معه.وهما:

ولما رأت أن الشريعة همتها *** وأن البياض من فرائصها دامي

تيممت العين التي عند ضارج *** يفيئ عليها الظل عرضمها طامي

فقال الراكب: من يقول هذا؟ قال: امرؤ القيس. قال: والله ما كذب؛ هذا ضارج عندكم، وأشار لهم إليه؛ فحبوا على الركب فإذا ماء عذب وإذا عليه العرمض والظل يفيء عليه، فشربوا منه ريهم وحملوا ما اكتفوا به حتى بلغوا الماء، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقالوا: يا رسول الله، أحيانا الله عز وجل ببيتين مت شعر امرئ القيس، وأنشدوه الشعر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها،

منسي في الآخرة خامل فيها، يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار. فكل استحسن الحديث. ونهض عبد الله بن جعفر ونهض القوم معه. فما رأيت مجلسا كان أحسن منه»[1]

10)مجلسها مع ابن سريج:

«قال ابن سلام حدثني جرير قال: زار ابن سريج جميلة ليسمع منها ويأخذ عنها. فلما قدم عليها أنزلته وأكرمته وسألته عن أخبار مكة فأخبرها. وبلغ معبداً الخبر. وكانت تطارحه وتسأله عن أخبار مكة فيخبرها. وكانت عندها جاريةٌ محسنةٌ لبقةٌ ظريفةٌ، فابتدأت تطارحها. فقال ابن سريج: سبحان الله! نحن كنا أحق بالابتداء. قالت جميلة: كل إنسانٍ في بيته أمير وليس للداخل أن يتأمر عليه. فقال ابن سريج: صدقت جعلت فداءك! وما أدري أيهما أحسن أدبك أم غناؤك! فقالت له: كف يا عبيد، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "احثوا في وجوه المداحين التراب". فسكت ابن سريج. وطارحت الجارية بشعر حاتم الطائي:

أتعرف آثار الديار توهما كخطك في رقٍّ كتاباً منمنما

أذاعت به الأرواح بعد أنيسها شهوراً وأياماً وحولاً مجرما

فأصبحن قد غيرن ظاهر تربه وغيرت الأنواء ما كان معلما

وغيرها طول التقادم والبلى فما أعرف الأطلال إلا توهما

قال: فحدثت أنه حضر ذلك المجلس جماعةٌ من حذاق أهل الغناء، فكلهم قال: مزامير داود! قال ابن سريج لها: أفأسمعك صوتاً لي في هذا الشعر؟ قالت: هاته، فغنى:

ديار التي قامت تريك وقد عفت وأقوت من الزوار كفاً ومعصما

تهادى عليها حليها ذات بهجة وكشحاً كطي السابرية أهضما

[1] - نفسه، ص229.

فبانت لطياتٍ لها وتبدلت به بدلاً مرت به الطير أشؤما

وعاذلتان هبتا بعد هجعةٍ تلومان متلافاً مفيداً ملوما

قالت جميلة: أحسنت يا عبيد، وقد غفرنا لك زلتك لحسن غنائك. قال معبد: جعلت فداءك! أفلا أسمعك أنا أيضاً لحناً علمته في هذا الشعر؟ قالت: هات وإني لأعلم أنك تحسن. فاندفع فغنى:

فقلت وقد طال العتاب عليهما وأوعدتاني أن تبينا وتصرما

ألا لا تلوماني على ما تقدما كفى بصروف الدهر للمرء محكما

تلومان لما غور النجم ضلةً فتًى لا يرى الإنفاق في الحق مغرما

قالت جميلة: ما عدوت الظن بك ولا تجاوزت الطريقة التي أنت عليها. قال: مالكٌ: أفلا أغنيك أنا أيضاً؟ قالت: ما علمتك إلا تجيد الغناء وتحسن، فهات. فاندفع فغنى في هذا الشعر:

يضيء لنا البيت الظليل خصاصه إذا هي ليلاً حاولت أن تبسما

إذا انقلبت فوق الحشية مرةً ترنم وسواس الحلي ترنما

ونحراً كفاثور اللجين يزينه توقد ياقوتٍ وشذرٍ منظما

كجمر الغضى هبت به بعد هجعةٍ من الليل أرواح الصبا فتنسما

فقالت: جميلٌ ما قلت وحسنٌ ما نظمت، وإن صوتك يا مالك لمما يزيد العقل قوةً والنفس طيباً والطبيعة سهولة، وما أحسب أن مجلسنا هذا إلا سيكون علماً وفي آخر الزمان متواصفاً، والخبر ليس كالمشاهدة، والواصف ليس كالمعاين وخاصة في الغناء»[1]

11)مجلسها مع ابن ربيعة والأحوص وابن أبي عتيق:

[1] - الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص 205- 206.

زارها ابن أبي عتيق وابن ربيعة والأحوص فغنتهم: وحدثني الحسن بن عتبة اللهبي قال حدثني من رأى ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص بن محمد الأنصاري وقد أتوا منزل جميلة فاستأذنوا عليها فأذنت لهم، فلما جلسوا سألت عمر وأحفت، فقال لها: إني قصدتك من مكة للسلام عليك. فقالت له: أهل الفضل أنت. قال: وقد أحببت أن تفرغي لنا نفسك اليوم وتخلي لنا مجلسك، قالت: أفعل. قال لها الأحوص: أحب ألا تغني إلا ما أسألك. قالت: ليس المجلس لك، والقوم شركاؤك فيه. قال: أجل. قال عمر: إن ترد أن تفعل ذلك بك يكن. قال الأحوص: كلا! قال عمر: فإني أرى أن نجعل الخيار إليها. قال ابن أبي عتيق: وفقك الله. فدعت بالعود وغنت:

تمشي الهوينى إذا مشت فضلاً مشي النزيف المخمور في الصعد

تظل من زور بيت جارتها واضعةً كفها على الكبد

يا من لقلبٍ متيمٍ سدمٍ عالٍ رهينٍ مكلمٍ كمد

أزجره وهو غير مزدجر عنها وطرفي مكحل السهد

فلقد سمعت للبيت زلزلةٌ وللدار همهمةٌ. فقال عمر: لله درك يا جميلة! ماذا أعطيت! أنت الغناء وآخره! ثم سكتت ساعة وأخذوا في الحديث، ثم أخذت العود وغنت:

شطت سعاد وأمسى البين قد أفدا وأورثوك سقاماً يصدع الكبدا

لا أستطيع لها هجراً ولا ترةً ولا تزال أحاديثي بها جددا

الغناء فيه لسياطٍ خفيف رملٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق. ولم يذكر حبش لحن جميلة. وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لحكم الوادي. وذكر الهشامي وابن خرداذبه أنه من ألحان عمر بن عبد العزيز بن مروان في سعاد وأن طريقته من الثقيل الثاني بالوسطى. وذكر إبراهيم أن لابن جامع فيه أيضاً صنعةً فاستخف القوم أجمعين، وصفقوا بأيديهم وفحصوا بأرجلهم وحركوا رؤوسهم، وقالوا: نحن فداؤك من السوء ووقاؤك من المكروه، ما أحسن ما غنيت وأجمل ما قلت! وأحضر الغداء فتغدى القوم بأنواع من الأطعمة الحارة والباردة ومن الفاكهة الرطبة واليابسة، ثم دعت بأنواعٍ من الأشربة. فقال عمر: لا أشرب، وقال ابن أبي عتيق مثل ذلك، فقال الأحوص: لكنني أشرب، وما جزاء جميلة أن يمتنع من شرابها! قال عمر: ليس ذلك كما ظننته. قالت جميلة: من شاء أن يحملني بنفسه ويخلط روحي بروحه شكرناه، ومن أبى ذلك عذرناه،

ولم يمنعه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه والأنس بمحادثته. قال ابن أبي عتيق: ما يحسن بنا إلا مساعدتك. قال عمر: لا أكون أخسكم، إفعلوا ما شئتم تجدوني سميعاً مطيعاً. فشرب القوم أجمعون. فغنت صوتاً بشعر لعمر:

ولقد قالت لجاراتٍ لها كالمها يلعبن في حجرتها

خذن عني الظل لا يتبعني ومضت تسعى إلى قبتها

لم تعانق رجلاً فيما مضى طفلةٌ غيداء في حلتها

لم يطش قط لها سهمٌ ومن ترمه لا ينج من رميتها

لم يذكر طريقة لحنها في هذا الصوت. وذكر الهشامي أن فيه لابن المكي رملا بالبنصر. وذكر علي بن يحيى أن فيه لابن سريج رملا بالوسطى فصاح عمر: ويلاه! ويلاه! ثلاثاً ثم عمد إلى جيب قميصه فشقه إلى أسفله فصار قباءً، ثم آب إلى عقله فندم واعتذر وقال: لم أملك من نفسي شيئاً. قال القوم: قد أصابنا كالذي أصابك وأغمي علينا، غير أنا فارقناك في تخريق الثياب. فدعت جميلة بثيابٍ فخلعتها على عمر، فقبلها ولبسها، وانصرف القوم إلى منازلهم. وكان عمر نازلاً على ابن أبي عتيق، فوجه عمر إلى جميلة بعشرة آلاف درهم بعشرة أثواب كانت معه، فقبلتها جميلة. وانصرف عمر إلى مكة جذلان مسروراً.

12)مجلس ريق وخشف في نقد الغناء:

« أخبرني الصولي قال: حدثنا الحسين بن يحي عن ريق : أنها اجتمعت هي و خشف الواضحية يوما، فتذاكرتا أحسن ما سمعتاه من المغنيات؛ فقالت ريق: شارية أحسنهن غناء ومتيم ، وقالت خشف: عريب وفريدة؛ ثم اجتمعتا على تساويهن ، وتقديم متيم في الصنعة ، وعريب في الغزارة والكثرة وشارية وفريدة في الطيب وإحكام الغناء »[1]

13)مجلس سكينة بنت الحسين في نقد الغناء:

[1] - الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص91.

« أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن سلام وأخبرنا وكيع قال حدثنا محمد بن اسماعيل عن محمد بن سلام عن جرير: أن سكينة بنت الحسين عليه السلام حجت فدخل إليها ابن سريج والغريض وقد استعار ابن سريج حلة لامرأة من قريش فلبسها؛ فقال لها ابن سريج: يا سيدتي، إني كنت صنعت صوتا وتنوقت فيه ، وخبئته لك في حريرة في درج مملوء مسكا فنازعيه هذا الفاسق، يعني الغريض فأردنا أن نتحاكم إليك فيه ،فأينا قدمته فيه تقدم؛ قالت: هاته فغناها

عوجي علينا ربة الهودج *** إنك إلا تفعلي تحرجي

قالت: هاته أنت يا غريض؛ فغناها إياه؛ فقالت لابن سريج: أعده، فأعاده، وقالت يا غريض، أعده، فأعاده؛ فقالت: ما أشبهكما إلا بالجديين: الحار والبارد لا يدرى أيهما أطيب. وقال إسحاق في خبره: ما أشبهكما إلا باللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحسان لا يدرى أيهما أحسن. »[1]

14)البغوم في مجلس نقدي:

«أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال حدثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر مصعب عن ذهيبة مولاة محمد بن مصعب بن الزبير قالت: كنت عند أمة الواحد أو أمة المجيد بنت عمر بن أبي ربيعة في الجنبذ الذي في بيت سكينة بنت خالد بن مصعب أنا وأبوها عمر وجاريتان له تغنيان، يقال لإحداهما البغوم، والأخرى أسماء. وكانت أمة المجيد بنت عمر تحت محمد بن مصعب بن الزبير. قالت: فقال عمر بن أبي ربيعة وهو معهم في الجنبذ هذه الأبيات. فلما انتهى إلى قوله:

وقد قلت ليلة الجزل لما *** أخضلت ريطتي السماء

[1] - الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص239.

خرجت البغوم ثم رجعت إليه فقالت: ما رأيت أكذب منك يا عمر! تزعم أنك بالجزل وأنت في جنبذ محمد بن مصعب، وتزعم أن السماء أخضلت ريطتك وليس في السماء قزعة؛ قال: هكذا يستقيم الشأن »[1]

15)مجلس أم جعفر في النقد

« ثم خرج إلى دار أم جعفر فقالت له أنشدني ما أنشدت أمير المؤمنين فأنشدها فقالت أين هذا من مدائحك في المهدي والرشيد فغضب وقال: إنما أنشدت أمير المؤمنين ما يستملح وأنا القائل فيه:

يا عمود الإسلام خير عمود *** والذي صيغ من حياء وجود .

والذي فيه ما يسلي ذوي *** أحزان عن كل هالك مفقود

والأمين المهذب الهاشم ***ي القرم محض الآباء محض الجدود

إن يوما أراك فيه ليوم*** طلعت شمسه بشمس السعود

فقالت له: الآن وفيت المديح حقه وأمرت له بعشرة آلاف درهم »[2]

16)من مجالس عائشة رضي الله عنها:

«دخل رجلان على عائشة رضي الله عنها فقالا: إن أبا هريرة يحدث أن الرسول قال: إنما الطيرة في المرأة والدار والدابة، فطارت شفقا، ثم قالت كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم من حدث بهذا عن رسول الله، إنما قال رسول الله: "كان أهل الجاهلية يقولون إنما الطيرة في المرأة والدار والدابة" ثم قرأت ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾ »[3]

[1] - الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص124.

[2] - الأصفهاني، الأغاني، ج20، ص11.

[3] - ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، ج1، ص146.

17)مجلس أم توصي ابنتها:

« أي بنية؛ إن الوصية لو تركت لفضل أدب، لتركت لذلك منك، ولكنها تذكرة لغافل؛ ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغني أبويها ، وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه. وسكن الناس خلقن للرجال، ولهن خلق الرجال.

أي بنية، إنك فارقت الجو الذي منه خَرَجْتِ، وخَلَّفْتِ العُشَّ الذي فيه دَرَجْتِ، إلى وَكْر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيبًا ومليكًا.

فكوني له أَمَةً يَكُنْ لكِ عبدًا وَشيكًا.

يا بنية، احملي عنى خصالاً عَشْرًا، تكن لك ذخرًا وذكْرًا:

الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة .والتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضع أنفه؛ فلا تقع عينُه منكِ على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح. والكحل أحسن الحسن الموجود، والماء أطيب الطيب المفقود .والتعهد لوقت طعامه، والْهُدُوُّ عنه عند منامه؛ فإن حرارةَ الجوعِ مَلْهَبة، وتنغيصَ النوم مبغضة .والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وِحشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسنُ التقدير، وفي العيال والحَشَم حسن التدبير . ولا تفشي له سرًّا، ولا تعصي له أمرًا؛ فإنك إن أفشيتِ سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أَوْغَرْتِ صدره. ثم اتقي مع ذلك الفرح إن كان تَرِحًا، والاكتئاب عنده إن كان فرحًا؛ فإن الخصلة الأولي من التَقصير، والثانية مِن التكدير.وكوني أشدَّ ما تكونين له إعظامًا؛ يكن أشدَّ ما يكون إكرامًا. وأشد ما تكونين له موافقة؛ يكن أطولَ ما تكونين له مرافقة.

واعلمي أنك لا تَصِلِين إلى ما تُحبين حتى تُؤْثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببتِ وكرهت، والله يَخير لك.»[1]

18)من مجالس عائشة رضي الله عنها:

[1] -أبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج3، ص142.

« ورأت عائشة في بيت امرأة أثر المغزل فقالت: أبشري بما لك عند الله عز وجل لو رأيتم بعض ما أعد الله لكم معاشر النساء لما أقررتم ليلا ولا نهارا، ما من امرأة غزلت لزوجها ولنفسها ولصبيانها إلا أعطاها الله عز وجل بكل طاقة نورا حتى ملأت مغزلها، فإذا ملأت مغزلها أعطاها الله عز وجل بيتا في الجنة أوسع من المشرق إلى المغرب ولها بكل ثوب مائة ألف وعشرين ألف مدينة، وما على ظهر الأرض تسبيح يعدل عند الله من صوت صرير يخرج من مغزل النساء حتى ينتهي إلى العرش له دوي كدوي النحل ويعدل عند الله عز وجل بمنزلة قول لا إله إلا الله عز وجل.بلغوا عني النساء ما أقول: ما من امرأة غزلت حتى كسبت نفسها إلا استغفر لها سبع سماوات وما فيهن من الملائكة... إلى أن قالت: أبشروا معاشر النساء ما لكن عند الله عز وجل بطاعتكن لبعولتكن وخدمتكن لأولادكن أنتم المساكين في الدنيا والسابقون إلى الجنة مع أرواح الأنبياء يغفر الله لكن كل ذنب عملتهن ما خلا الكبائر»[1]

ثالثا: المجالس السجعية:

13)مجلس نسوة في مفاضلة الفرس:

«حدثنا أبو بكر بين دريد قال: حدثني عمي عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال: اجتمع خمس جوار من العرب، فقلن: هلمن ننعت خيل آبائنا. فقالت الأولى: فرس أبي وردة، وما وردة؟ ذات كفل مزحلق، ومتن أخلق، وجوف أخوق، ونفس مروح وعين طروح .

وقالت الثانية: فرس أبي اللَّعَّاب، وما اللعاب؟ غيبة سحاب واضطرام غاب، مترص الأوصال، أشم القذال، ملاحك المحال،فارسه مجيد،وصيده عتيد، إن أقبل فظبي معاج، وإن أدبر فظليم هداج، وإن أحضر فعلج هراج.

[1] - محمد بدر معبدي، أدب النساء، ص107.

وقالت الثالثة: فرس أبي حذمه، وما حذمه؟ إن أقبلت فقناة مقومة، وإن أدبرت فأثفية ململمة، وإن أعرضت فذئبة معجرمة، أرساغها مترصة، وفصوصها ممعصه، جريها انثرار، وتقريبها إنكدار

وقالت الرابعة: فرس أبي خيفق وما خيفق؟ ذات ناهق معرق، وشدق أشدق، وأديم مملق، لها خلق أشدف، ودسيع منفنف، وتليل مسيف، وثابه زلوج، خيفانة رهوج، تقريبها إهماج، وحضرها ارتعاج.

وقالت الخامسة: فرس أبي هذلول، وما هذلول؟ طريده محبول، وطالبه مشكول؛ رقيق الملاغم، أمين المعاقم، عبل المحزم، مخد مرجم،منيف الحارك، أشم السنابك، مجدول الخصائل، سبط القلائل؛ غوج التليل، صلصال الصهيل، أديمه صاف، وسبسبه ضاف، وعفوه كاف»[1]

1) مجلس نسوة في وصف ما يحببن من الأزواج:

«حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنى عمى عن أبيه عن ابن الكلبى قال قالت عجوز من العرب لثلاث بنات لها: صفن ما تحببن من الأزواج، فقالت الكبرى: أريد أروع بساما، أحذ مجذاما، سيد ناديه، وثمال عافيه، ومحسب راجيه؛ فناؤه رحب، وقياده صعب. وقالت الوسطى: أريده عالي السناء مصمم المضاء؛ عظيم نار، متمم أيسار؛ يفيد ويبيد، ويبدىء ويعيد، هو فى الأهل صبىّ، وفى الجيش كمىّ، تستبعده الحليله، وتسوده الفضيله. وقالت الصغرى: أريده بازل عام، كالمهند الصمام؛ قرانه حبور، ولقاؤه سرور؛ إن ضم قضقض، وإن دسر أغمض، وإن أخل أحمض. قالت أمها: فض فوك! لقد فررت لى شرة الشباب جذعةً»

[1] - القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، الأمالي، الهيئة المصرية العلمية العامة للكتاب، دط، مصر، 1995،ج1، ص230.

14)مجلس أم زرع:

« جلست إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا.

فقالت الأولى: زوجي لحم جمل غث، على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل.

قالت الثانية: زوجي لا أبث خبره، إني أخاف ألا أذره، إن أذكره أذكر عجره وبجره.

قالت الثالثة: زوجي العشنق إن أنطق.. أطلق، وإن أسكت أعلق.

قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة

قالت الخامسة: زوجي!! إن زوجي إن دخل.. فهد وإن خرج..أسد، ولا يسأل عما عهد.

قالت السادسة: زوجيإن أكل.. لف، وإن شرب..اشتف، وإن اضطجع.. التف، ولا يولج الكف ليعلم البث.

قالت السابعة: زوجي عييـاء- أو غييـاء – طبقاء، كل داء له داء، شجك أو فلك، أو جمع كلا لك.

قالت الثامنة: زوجي المس مس أرنب، والريح ريح زرنب.

قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد، عظيم الرماد، طويل النجاد، قريب البيت من الناد.

قالت العاشرة: زوجي مالك وما ملك؟! مالك خير من مالك ذلك له إبل كثيرات المبارك، قليلات المسارح، إذا سمعن صوت المزهر.. أيقن أنهن هوالك.

قالت الحادية عشر: زوجي أبو زرع؟! أناس من حلي أذني، وملأ من لحم عضدي، وبجحني فبجحت إلى نفسي، وجدني في أهل غنيمة بشق، فجعلني في أهل صهيل وأطيط ودائس ومنق، فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبح، وأشرب فأتقنح.

أم أبي زرع فما أم أبي زرع؟! عكومها رداح، وبيتها فساح.

ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع، مضجعه كمسل شطبة، ويشبعه ذراع الجفرة.

بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع؟! طوع أبيها وطوع أمها، وملء كسائها، وغيظ جارتها.

جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع؟! لا تبث حديثنا تبثيثا ولا تنفث ميرتنا تنفيثا، ولا تملأ بيتنا تعشيشا.

قالت: خرج أبو زرع و الأوطاب تمخض، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين ، يلعبان من تحت خصرها برمانتين فطلقني فنكحت بعده رجلا سريا ركب شريا وأخذ خطيا، وأراح علي نعما ثريا، وأعطاني من رائحة زوجا، وقال: كلي أم زرع وميري أهلك فلو جمعت كل شيء أعطانيه ...ما بلغ أصغر آنية أبي زرع»[1]

مجالس هند بنت الخس الإيادية:

15)مجلس جمعة وهند ابنتا الخس في المفاضلات:

«...أن جمعة وهند ابنتا الخس وافتا سوق عكاظ فاجتمعتا بين يدي القلمس الكناني. فقال لهما: إني سائلكما لأعلم أيكما أبسط لسانا وأظهر بيانا وأحسن للصفة إتقانا، قالتا سلنا عما بدا لك فستجد عندنا عقولا زكية وألسنة قوية وصفة جليلة، قال القلمس: أي ذكور الخيل أحب إليك يا جمعة؟ قالت أحب المنسوب جده، الأسيل خده، السريع شده، الطويل مده، الشديد هده، الجميل قده.

ثم قالت هند: هذا فرس خليق إن طلب لم يلحق، وإن جورى لم يسبق، وإن بوهي لم يفق، وغيره أحب إلي منه،قال القلمس فقولي:

قالت: أحب الوثيق الخليق الكريم العرق، الكثير السبق، الشديد الذلق، يمر مر البرق.

قال القلمس:

فأي إناث الخيل أحب إليك يا جمعة؟ قالت: أحب كل حيية الفؤاد، سبوح جواد، سلسة القياد، شديدة الاعتماد، في الدفع والاشتداد، ذات هباب و ثماد.

قال القلمس كيف تسمعين يا هند؟

قالت: هذه فرس صاحبها خليق ألا يفوته أمر، ولا يهوله ذعر، إذا شاء كر وإذا هاب فر، وغيرها أحب إلي منها.

[1]- أحمد بن عبد الغني، حسن القرع على حديث أم زرع، ص43.

قال فقولي: أحب الشديد أسرها، البعيد صبرها، القليل فترها، الجميل قدرها، السريع مرها، المخوف كرها.

قال القلمس: كلتاكما محسنة. فأي ذكور الخيل أبغض إليك يا جمعة؟ قالت: أبغض كل بليد، وارم الوريد ذا ركال شديد لا ينجيك هاربا، ولا تظفر به طالبا، ولا يسترك شاهدا ولا غائبا.

قال القلمس: كيف تسمعين يا هند؟

قالت: هذا فرس إمساكه بلاء، وعلاجه عناء، وركوبه شفاء، وغيره أبغض إلي منه

قال فقولي: قالت هند أبغض السريع البهر البطيء الحصر السكيت الطفر، قال القلمس: كلتاكما محسنة، فأي النساء أحب إليك يا جمعة: قالت أحب الغريرة العذراء الرعبوب عيطاء ممكورة، اللفاء ذات الجمال والبهاء والستر والحياء، البضة الرخصة أنه فضة بيضاء

قال القلمس: كيف تسمعين يا هند

قالت: وصفت جارية هي حاجة الفتى ونهاية الرضى وغيرها أحب إلي منها

قال فقولي:

قال أحب إلي مشبعة الخلخال ذات شكل ودلال وظرف وبهاء وجمال.

قال القلمس: كلتاكما محسنة فأي النساء أبغض إليك يا جمعة.؟ قالت: أبغض كل سلفع بذية جاهلة غبية حريصة دنية، غير كريمة ولا سرية، ولا ستيرة ولا حبية، قال : كيف تسمعين يا هند؟ قالت: وصفت امرأة صاحبها خليق ألا تصلح حاله، ولا ينعم له بال ولا يثمر له وغيرها أبغض إلي منها قال فقولي: قالت: أبغض المتعجرفة الشوهاء، المنفوخة الكبداء المنفص الوقصاء الحمشة الزلاء التي إن ولدت لم تنجب، وإن زجرت لم تعتب، وإن تركت طفقت تصخب.

قال القلمس: كلتاكما محسنة، فأي الرجال أحب إليك يا جمعة ؟

قالت الحر النجيب، السري القريب، السمح الحسيب، الفطن الأريب، المصقع الخطيب، الشجاع المهيب.

قال القلمس: كيف تسمعين يا هند؟

قالت: وصفت رجلا شجاعا، سيدا جوادا ينهض إلى الخير صاعدا، ويسرك غائبا وشاهدا، وغيره أحب إلي منه، قال فقولي: قالت أحب الرحب الذراع، الطويل الباع، السخي النفاع، المنيع الدفاع، الدهمثي المطاع، البطل الشجاع الذي يحل باليفاع ويهين في الحمد المتاع.

16)مجلس هند بنت الخس في الوصف:

«وقال لها أبوها يوما: أي المال خير؟ قالت النخل الراسخات في الوحل، المطعمات في المحل، قال وأي شيء؟ قالت: الضأن قرية لا وباء بها، تنتجها رخالا وتحلبها علالا وتجز لها جفالا ولا أرى مثلها مالا، قال: فالإبل مالك تؤخرينها...»[1]

17)مجلسها في المفاضلة بين الأشخاص:

«أتى رجل هند بنت الخس الإيادية[2] يستشيرها في امرأة يتزوجها فقالت : أنظر، رمكاء جسيمة أو بيضاء وسيمة في بيت جد أو بيت حد أو بيت عز وقيل لها : أي النساء أفضل؟ قالت : التي إذا مشت أغبرت وإذا نطقت صرصرت متوركة جارية في بطنها جارية تتبعها جارية، قيل: فأي الغلمان أفضل؟ قالت: الأسوق الأعنق الذي إن شب كأنه أحمق، قيل فأي الغلمان أفسل؟ قالت: الأويقص القصير العضد العظيم الحاوية، الأغيبر الغشاء الذي يطيع أمه، ويعصي عمه»[3]

[1] - القالي، ذيل الأمالي والنوادر، ص119-120.

[2] - هند بنت الخس الإيادية شاعرة وخطيبة ذات فصاحة وبلاغة وحكمة من العصر الجاهلي.

[3] - القالي، الأمالي، ج2، ص285.

18)مجلسها في مفاضلات متنوعة:

« قال: أي المال خير؟ قالت: النخل الراسخات في الوحل المطعمات في المحل، قال وأي شيء؟ قالت: الضأن قرية لا وباء بها تنتجها رخالا وتحلبها علالا وتجزلها جفالا ولا أرى مثلها مالا، قال: فالإبل مالك تؤخرينها؟ قالت: هي أذكار الرجال، وإرقاء الدماء، ومهور النساء، قال: فأي الرجال خير؟ قال:

خير الرجال المرهقون كما *** خير تلاع البلاد أوطؤها

قال أيهم؟ قالت: الذي يسأل ولا يسأل، ويضيف ولا يضاف، ويصلح ولا يصلح، قال: فأي الرجال شر؟ قالت: الثطيط النطيط الذي معه سويط الذي يقول أدركوني من عبد بني فلان فإني قاتله أو قاتلي، قال: فأي النساء خير؟ قالت التي في بطنها غلام، ويجلس على وركها غلام، ويمشي وراءها غلام، قال فأي الجمال خير؟ قالت: السبحل الربحل، الراحلة الفحل قال: أرأيتك الجدع، قالت: لا يضرب، ولا يدع، قال: أرأيتك الثني قالت: يضرب وضرابه أنى قال: أرأيتك السدس، قالت: ذاك العرس»[1]

19)مجلس آخر في مفاضلات متنوعة:

« وقيل لها: أي الخيل أحب إليك؟ قالت : ذو الميعة الصنيع، السليط التليع، اليد الضليع الملهب السريع، فقيل لها أي الغيوث أحب إليك؟ قالت ذو الهيدب المنبعق، الأضخم المؤتلق، الصخب المنبثق، وقيل لها ما مائة من المعز؟ قالت: مويل يشف الفقر من وراءه مال الضعيف، وحرفة العاجز، قيل فما مائة من الضأن؟ قالت: قرية لا حمى بها، قيل: فما مائة من الإبل؟ قالت: بخ جمال ومال، ومنى الرجال، قيل: فما مائة من الخيل؟ قالت: طغى من كانت له ولا يوجد، قيل فما مائة من الحمير؟ قالت عازبة الليل لا لبن فيحلب ولا

[1]- القالي، ذيل الأمالي والنوادر، ص119- 120.

صوف فيجز، إن ربط عيرها أدلى وإن ترك ولى، وقيل لها: من اعظم الناس في عينك؟ قالت: من كانت لي إليه حاجة....»[1]

وقالت هند: أخبث الذئاب ذئب الغضا وأخبث الأفاعي أفعى الجدب، وأسرع الظباء الحلب وأشد الرجال الأعجف، وأجمل النساء الفخمة الأسيلة، وأقبح النساء الجهمة القفرة، وآكل الدواب الرغوب وأطيب اللحم عوذه، وأغلظ المواطئ الحصى على الصفا، وشر المال ملا يذكى ولا يزكى وخير المال سكة مأبورة أو مهرة مأمورة.»[2]

20)من مجالسها في عكاظ:

«أتت بنت الخس عكاظ، فأتاها رجل يمتحن عقلها ويمتحن جوابها، فقال لها: إني أريد أن أسألك، قالت: هات. قال: كاد، فقالت: المنتعل يكون راكبا. قال: كاد؛ قالت: الفقر يكون كفرا، قال: كاد، قالت: العروس تكون ملكا. قال: كاد، قالت النعامة تكون طائرا. قال: كاد، قالت: السرار يكون سحرا. ثم قالت للرجل: أسألك؟ قال: هاتي، قالت: عجبت، قال: للسباخ لاينبت كلؤها ولا يجف ثراها. قالت: عجبت، قال: للحجارة لا يكبرصغيرها ولا يهرم كبيرها، قالت: عجبت، قال:...»[3]

21)مقامة الافتخار بين العشر الجوار:

برزت يوما لخارج بلد فاس الأشهر، وانتهيت إلى واديها المعروف بوادي الجوهر ، فلم يكن غير بعيد، وإذا بمحفل يرتج بالغيد، وقد درا بينهن عتاب، بألفاظ تعجز عنها ألسنة الكتاب، بيضاء وسمرا، في مفاتنة كبرى، وكاملة وقصيرة في معاطاة كثيرة، وسمينة ورقيقة، في معاتبة حقيقة، وعربية وحضرية، في مجادلة قوية، وعجوز وصبية، في مخاصمة بذية، فبينما أنا أنظر في تلك الوجوه المشرقة والقدود المرونقة، إذا بجارية يغلب ضياء وجهها ضياء الشمس، فوقفت بين الصفوف وسلمت ببنانها الخمس، ثم تقدمت وقالت:

[1] - محمد بدر معبدي،أدب النساء، ص34.

[2] - المصدر نفسه.

[3] - ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج2، ص214.

الحمد لله الذي جعل البياض طراز كل جمال، وشرف أهله بالحياء والكمال وأعطاهم عزة لا تبيد، وصير السمر لهم عبيد، ألا وإن على قلبي جمرة، من معاتبتك ياذات السمرة أعندك يا سمراء ما عندي، وليس قدك قدي ولا خدك كخدي، جبيني ذو ابتهاج، وذوائبي كقطع الزاج، ورشح عرفي كمسك اذفر، يرشح من تحت البرد والمغفر، وثغري أقحوان، وديباج وجهي أرجوان، وان أسبلت شعري المضفور فظلام ليل على بياض كافور، ثم أنشدت:

قل للذي أزرى بأهل البياض *** ما أنت إلا باطل الاعتراض

فورد خدي أبدا زاهر*** في كل فصلفوق خدي رياض

يا حاسدي مت كمدا انما*** تجنى المنى من الخدود الغضاض

ثم سلمت بالبنان، وأمسكت العنان، فتقدمت السمراء وحطت اللثانم، عن وجه شهي الالتثام، وأبلغت في السلام، وقبلت تواضعا على رؤوس الأقدام، فوقفت كالغلام وأفصحت في الكلام، وقالت:

الحمد لله الذي خلق الانسان في أحسن تقويم وجعله أفض الحيوان، وفرق بين الصور والألسنة والألوان، وزين الأبيض بشعر كالغسق، وامتداد الحاجبين وسواد الحدق، وأجل ما يقف له العاشوقون اجلالا، ويرتجلون فيه الأشعار ارتجالا، مسكة الخال، وعقرب الدلال ثم التفتت إلى البيضاء وقالت: يا أشبه شيء بجبن الروم، أخرقتحجاب الأشروم، مازال طعامك قليل الملح، وجفنك كثير الرشح، ولبنك أذى، وعسلي أنا غذا، ولوني لون الخمر، وطعمي طعم التمر،ثمأنشدت:

الحمد لله ليس التبر كالورق*** قد أحسن الله في خلقي وفي خلقي

فالجسم مني نضار صيغ منظره*** بمسكة فغدا طيبا لمنتشق

يامن يعيرنا باللون إن لكم*** جهلا يقودإلى الطغيان والحمق

كم أسمر قلبه كافورة وله*** من السعادة نجم لا في الأفق

فلما فرغت من كلامها، وما أبدعته من حسن نظامها، تبرقعت بنقابها، وسلمت على الصفين، وقبلت أساريرالكفين، وإذا بجارية تتخطى الرقاب، بعد أن حطت النقاب عن ديباج صقيل، ورنت بطرف كحيل، ومالت بقد قويم وردف ثقيل، فسمعتها تقول: إليكم ياذوي العقول، فلعلكم تحكمون بيني وبين هذه القصيرة، فإنخا عمية البصيرة، تعيب الكمال، وهي الطبقة الثانية من الجمال، ثم قالت في الثناء على ذي الجلال وأجادت في المقال:

الحمد لله فالق الإصباح من بعد الغيوم، لا إله إلا هو الحي القيوم، وصلى الله وسلم على محمد نبيه الذي ارتضاه لنفسه حبيبا وخليلا، وأرسله لجميع خلقه نبيا ورسولا، ثم قالت: أين هذه التي تعيب ما لا يعاب، وتدخل نفسها في الأمور الصعاب، ولا تحجب عين الشمس بالغربال، والثعلب لا يقابل بالأشبال، يا هذه خطابك إلي من غير الواجب، ألم تسمعي أن العين ولو علت فوقها الحاجب، فإلى كم يازريعة ياجوج وماجوج، يكون فرسك معي للشر مسروج، ثم صالت وما اعتدت فأنشدت:

نحن قوم لنا بهاء البنود*** ولدينا تفاخر بالقدود

كل زين أزينه بكمالي*** وجمالي وغنج لحظي وجيدي

وإذا ما القصار قلدن حليا *** صار كالدر في نحور القرود

فلما أتمت كلامها، وأنهت نظامها، اذا بالقصيرة قد أقبلت تجر أذيالها وتواتر أقوالها، فولولت وصاحت، وأعلنت بما في ضميرها وباحت، ثم قعدت على أعلى مكان، وتكلمت بأفصح لسان، فقالت تخاطب الطويلة: يا شقيقة الزرافة، إلى كم تطيلين هذه الخرافة، يا ناقة العشير، وقصبة النشير، ويا كاملة الصاد، وقليلة القصاد، نحن أهل المعاني الرقاق وفتنة العشاق، وعلى منظرنا طلاوة، ورونق وحلاوة، فأرى لك من الرأي والتدبير أن تأخذي معي في التقصير، فان الله تعالى خلق الكامل والمتوسط والقصير، على أن القصر والكمال، انما هو في الأفعال، ثم قعدت على أعلى مكان، وتكلمت بأفصح لسان، فقالت:

الحمد لله الملك الكبير، الذي ليس له حاجب ولا وزير، وصلى الله وسلم على محمد نبيه وعلى آله ما هب نسيم وفاح عبير، ثم أنشدت:

غزلان الانس ذوو القصر*** وشفاء النفس مع البصر

فيعيش القلب بمنظرنا*** وتقر العين من النظر

وإذا ما الروض أتيت فلذ *** بقصار القد من الشجر

إياك النخل فإن لها*** طولا يهديك إلى الغرر

وبينما هي في طويل من الكلام وعريض، يتنازعان أبيات القريض، إذا بضجيج، كضجيج الناس في الحجيج، والناس قد تطاولت أعناقهم، وشخصت أحداقهم وإذا أنا بقلاع، يسوق مركبا موسوقا بالسلاع، فقلت ما هذه السفينة، فقيل لي هذه الجارية السمينة، فدار المفحل عليها كالحلقة، فقلت سبحان من لا يمل من خلقه، فحطت من القلق رداءها، وغاظت بأعكانها حسادها وأعداءها، وقد تكلل العرق على جبينها كدر الحباب، وفتنت بروض خدها ذوي الألباب ثم قالت:

الحمد لله باسط الرزق وسابغ النعم المتفرد في ديمومته بالقدم والصلاة على خيرته من خلقه سيد العرب والعجم، صلاة تنجي العبد يوم المزدحم، ثم اعتمدت بكفها على عطفها، ومالت كالبحر الزاخر، فقدمت المقادم وأخرت المواخر وقالت: أين هذه المسفولة الصوت، الواقفة بين ميدان الحياة وميدان الموت المنفوضة اللحم، التي حرم عليها كم حرم على بني إسرائيل الشحم، المنغصة العيش، الكثيرة الطيش، الضعيفة المخاخ، الشديدة الفخاخ، النحيلة من غير علة، الهزيلة من غير قلة، كفي يا مسقومة عني هذه الغرارة، واعلمي أن على جسمي من الزينة نضارة، أقتنص بها القلوب من غير حيلة ولا إدارة، ونهدي وأعكاني، يغنياني عن الشورة في أركاني، ثم أنشدت:

الحمد لله في سر وعلن *** حمدا يخلصني من ظلمة المحن

قد نلت ما أشتهي في الدهر من أرب*** في العقل والقلب مني ثم في البدن

ان البهاء يزين الخلق منظره *** كما تزان حلى الأشجار بالدمن

أرحت قلبي من هم ومن سهر *** وساعد السعد بالأفراح في زمني

يامن تعوذ بالتوبيخ كف فما *** يشبه العجف في الأنعام بالسمن

وذهبت لتجلس فما استقر بها القعود، إلا وجارية وقفت كأنها كوكب السعود، تبتهج باللطف والابتسام، وتضطرب كما يضطرب الحسام، وتبسم عن ثغر كاللئال، ريقه كالعذب البارد الزلال، ثم قالت: إلي إلي يامعشر العشاق فعلى مثلي تندب الأطلال ويجري الدم المراق، وحمد الله عز والجل بقولها:

الحمد لله الذي أودع الحكمة في النفووس الرقاق، باعث الخلق وناشرهم يوم التلاق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المخصوص بالحوض والشفاعة واللواء والبراق، ما حدا حاد وساق الركب إليه مشتاق، يامن حضر في مجلسنا، ولاذ بأنسنا، أسمعت مقالة هذه العاهة، وما ظهر منها من قلة النزاهة، هذه التي تفتح فمها مثل التمساح، وتبلع القرع وتخرجها صحاح، وان قرب منها الرجل لمقصد أو سول، غرق في بحر بسول، قلبها بالعلف هائم، كما تفعل البهائم. ثم أبرقت وأرعدت، وقالت فأنشدت:

يا عاهة ليس لها من خلاق *** هواك قد انساك يوم التلاق

والحشر والنشر وأهواله *** وخجلة العبد وخوف المساق

لو كان للقلب به فكرة *** لكان للجسم ضنى واحتراق

نحن رقاق في النفوس ولا *** يرق قلب الصب إلا وراق

ثم قالت: وما حيلتك أيتها العاة إذا جاوزت الأربعين، وأتتك العلل بجيش ظاهر غير كمين، وقد تدلت منك الحواصل، وهجرك الصديق والماوصل، وتكمشت منك الحلاقم، وتفرقت على أعظائك البلاغم، وتعطلت منك القوائم، فلا تتحركين إلا بعجلة ودعائم وأنشدت:

إذا رق الحسام قضى وأمضى *** وخط بحده جيد النفاق

وان رق الزجاج وراق فيه *** رقيق الخمر لذ لكل راق

فتبصره نحيلا في نحيل *** ويعظم فعله عند المذاق

ثم إني سمعت صوتا يصيح، يقول بلسان فصيح:

مهلا رويدا يا جميع من حضر *** حتى أقول بين بدو وحضر

من هن ربات الخدود الناضرة *** ذات الخيام أو نساء الحاضرة

نحن جوار من بنات البادية *** ملامح الحسن علينا بادية

فان بدت منكن لي مكلمة *** انا التي أردها مكلمة

ثم حطت اللثام، عن وجه يشبه البدر ليلة التمام وقالت:

الحمد لله الذي أمره بين الكاف والنون، الحاضر الناظر القاهر الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون، وصلى الله على النبي الذي نور الأفئدة فأبصرت البصائر وقرت العيون، وأنشدت:

قد مال الحسن إلى العرب *** نحن الأقمار بلا كذب

فلنا أرج ولنا غنج *** ولنا دعج بالسحر حبي

ولنا كرم ولنا همم ***ولنا ذمم للمكتئب

ولقاصدنا فينا أرب*** فيما يرجوه من الأربعاء

قد شرف محتدنا وكفى *** أن المختار من العرب

صل مادمت عليه تفز *** يوم الاهوال من الكرب

ثم قالت: نحن ربات القلوب، ومنتهى غاية كل مطلوب، جمالنا أبدع جمال ولساننا أفصح لسان، فالعربية بهذا البيان قمر في شكل انسان. وسكتت فإذا بجارية حضرية، ذات جمال فائق وهمية سنية، نادتها: كفي عن الجدال، ودعي هذا الاحتيال، فإن من بالمعاطاة يلوذ، كمن يدخل بجهله في زقاق غير منفوذ، إياك أن تذكري في هذا المحفل نسبا أو قبيل، وان أردت أن تفتحي للحرب بابا فأنا على السبيل واعلمي أن رعيان الجمال، لا يفتخرون بحسن ولا بجمال، ثم قالت:

الحمد لله الذي فضل على البادية الحاضرة، وأعطانا في الدنيا وأراحنا على الطريق الآخرة، وخصنا بأحسن الملابس وأيمن المواطن، وامن قلوبنا في الظاهر والباطن، ووشحنا بالحلى والحلل، وأسكننا في القصور والدور في ظل الحجب والكلل،واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

شريك له عدة للقائه يوم تكون النفوس حاضرة، والوجوه الناضرة إلى ربها ناظرة، وصلى اللهعلى محمد وعلى آله وأصحابه وأصهاره، وأزواجه وحزبه وأنصاره، وقالت: ما أعطيت الهمة السنية، إلا للجارية الحضرية، خدي مورد، ونحري مفند، ولا يرى صدري العابدالزاهد إلا تنهد، ثم أنشدت:

ألا انما الحسن حسن الحضر *** علينا ومنا وفينا ظهر

فان كنت يا هذه نجمة *** بأعلى السماء فإني قمر

بسحر الجفون وغنج العيون *** أسل القلوب كسل الشعر

ومن ليل شعري ظلام المسا *** ومن وجنتي الصباح الأغر

فلما أتمت الحضرية الأبيات، وقد أفصحت في المبادئ والغايات، اذا بهزة عظيمة في المحفل، كاد يرجع أعلاه منها أسفل، فأتت عجوز قد استبكت مع صبية، وبينهما معاطاة ومجادلة قوية، والصبية تنادي وتقول: كثر الحمق وقلت العقول، يا قوم اعدلوا بيني وبين هذه العجوز، بكلام يتعقل ويجوز، فقالت العجوز: ياهذه الزمي الوقار، وكفي النقار، فأنا أفصح منك وأعلم، وأسبق وأقدم، ولا أحق بالتعظيم، ممن له الحق القديم، ثم قالت:

الحمد لله راحم الشيب، وساتر العيب، وجامع الناس ليوم لا شك فيه ولا ريب. أنا من ذوات العهود والمواثيق، أجمع بين المعشوق والعاشق، وأزوج العرائس، وأقبل النفائس، وأشرف المجالس، ولا تجري السفنة إلا بمحاولة الرائس، ألجم الرجل بالشكيمة، وأرده في الأركان يدور كالبهيمة، على أنني أقضي له المئارب والأوطار ويجد عندي كل سلعة ولا توجد عند العطار، وأرفع المؤن والوظائف، ولا أطالبه بشيء من التكالف، وأقنع منه بالزبيبة، وأكون له تارة محدثة وتارة طبيبة، فانظري أيتها الصبية من يكون لك عون، ولا تمشي على أثري فتغرقي كما غرق فرعون، فاني أكثر منك بحثا عن المناسب، ولي معرفة وذهن ثاقب، وإن شئت مناظرتي ومناضلتي ففكري في العواقب ثم أنشدت:

أمنت الدهر يا ابنة الزواني *** وصار لك الها نصب العيان

فكم طفل قضى في خفض عيش *** وأخلف ظنه بعد الأمان

اله العرش عمرني وأبقى *** سعودي ثم ساعدني زماني

جررت الذيل في زمن افتخار *** ونزهت الجفون بمهرجان

وإني اليوم من ستين عاما *** ولكني أعد من الحسان

فيوم في المجالس باتعاظ *** ويوم في المحافل والمغاني

(قال الكاتب) وكانت العجوز مخضوبة البنان، مسوكة الفم وليس لها أسنان، مصبوغة الحاجب والسالف، ثم انشدت، فأجادت فيما قصدت:

إذا جف لين الين يحلو مذاقه *** وأحلى مذاقا في الثمار العجائز

عجزت وليس القلب مني عاجز *** وإني لمن قد رام حربي مبارز

فطعمي ذكي طيب النشر عاطر *** وانسان عيني للمحبين غامز

ثم قالت: وان أردت ياهذه المجون والرقاعة، فأنا والله ربة الصناعة وأستاذة الجماعة، وإذا بالصبية قد أتت تدرج درج القطا على الأقدام، وتبدت فأقبلت اقبال العام، ووردت ورد الغنى على أهل الإعدام، وهي تزعم بنفسها كما يزعم البطل المقدام، إذا ساعدته الأيام، ترمق بلحظ نائم وتفعل بأشفارها في قلوب العاشقين ما تفعله الصوارم، ثم نادت: أيتها العجوز الشمطا، يامن كشفت بعيبها عن نفسها الغطا، أما قنعت يا عجوز ، يا نشوز ، أما كفاك، سد الله بالشوك فاك، هيهاتهيهات يا عجوز، يا بنت الدروز، أن يكون لك بعد الهرم طلق، أو يكون الجديد مثل الخلق، أما رأيت شعري الفاحم، وثغري الباسم، وغصني الناعم، ثم حطت النقاب، فأخرجت الشمس من تحت السحاب، وقد سلمت على القوم فأفصت، وقالت فأوضحت:

الحمد لله الذي غرس ريحانة الشباب، في قلوب ذوي الألباب، ثم قالت، وللعجوز أشارت:

ويحك لو كنت تبكين على ما مضى، لكان لك أقرب إلى الرضى وأنشدتك

نور الشباب له عز وسلطان *** وللسعادة أرجاء وأوطان

وللمحاسن أوصاف تقوم بها *** وللحقائق آيات وبرهان

روض الشباب تبدت فيه أربعة*** ورد وزهر ونسرين وريحان

من قال أن زمان الشيب يشبهه *** عهد الشباب فذاك القول بهتان

ياتي العجوز ندبي ما قد مضى أسفا *** ترحلت عنك أوقات وازمان

وأنتم يا أهيل الحسن كلكم *** بيني وبينكم في الحرب ميدلن

فلما فرغت الصبية من النظام، أقبلت الجواري والعجوز عليهن من أمام، فقالت لها : بورك فيك من صبية، وفي ألفاظك الزكية، وسأقول بينكن مقالة انصاف يقتضيها الحق وجميل الاوصاف، أما البيضاء وذات السمرة، فتلك فانيدة وهذه تمرة، وزينة الدنيا ذهب ونقرة، ثم قالت للكاملة والقصيرة، مسألتكما عندي يسيرة، اذا كانت الصورة الحسناء كاملة، فهي من النعم الشاملة، وعلى هذا فالقصيرة الذراع، لا يمتد لها في مجال الفخر باع، فإن القصر مذلة، بسبب هذه العلة، فتأدبي مع ذات الكمال، فإنها أبهى منك وأمتع للرجال، ولو كنت بالسوية معها في الجمال، ثم قالت للسمينة والرقيقة، تالله لا أخفي عنكما من معاني الحسن حقيقة، فالسمينة رياض وجنان، والرقيقة روح وريحان، ثم قالت للبدوية والضرية، سأفصل بينكما بحكم الإنصاف في هذه القضية، أما القول الصحيح فكل واحدة منكما في زيها أملح مليح، فالعربية تصلح للحضر والسفر، والحضرية لا تصلح إلا للحضر، وأما أنا والصبية، فحجتها واضحة وحجتي غير جلية، لأنها أبرع مني في الجمال، وأنفع للرجال، وأما العجوز مثلي فقد هرمت بمضايقة الآجال، فما لأحد فيها مجال ثم انصرف القوم، وارتفع العتاب واللوم.»[1]

من مجالس الجواري في المفاضلة: (قصص ألف ليلة وليلة)

وفي الليلة السادسة والسبعين بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن الرجل اليمني قالت له جواريه: سمعاً وطاعة، ثم قامت أولاهن وهي البيضاء وأشارت إلى السوداء وقالت لها: ويحك يا سوداء، قد ورد أن البياض قال أنا النور اللامع أنا البدر الطالع لوني ظاهر وفي حسني قال الشاعر:

بيضاء مصقولة الخدين ناعمة كأنها لؤلؤة في الحسن مكنون

[1] - عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج3، ص

فقدها ألف يزهو ومبسمها ميم وحاجبها من فوقه نون

كأن ألحاظها نبل وحاجبها قوس على أنه بالموت مقرون

بالخد والقد إن تبدو فوجنتها ورد وآس وريحان ونسرين

والغصن يعهد في البستان مغرسة وغصن قدك كم فيه بساتين

فلوني مثل النهار الهني والزهر الجني والكوكب الدري، وقد قال الله في كتابه العزيز لنبيه موسى عليه السلام: وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء، وقال الله تعالى: وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون، فلوني آية وجمالي غاية وحسني نهاية وعلى مثلي يحسن الملبوس وإليه تميل النفوس، وفي البياض فضائل كثيرة منها أن الثلج ينزل من السماء وقد ورد أن أحسن الألوان البياض، ويفتخر المسلمون بالعمائم البيض، ولو ذهبت أذكر ما فيه من المديح لطال الشرح ولكن ما قل وكفى خير مما كثر وما وفى، وسوف أبتدي بذمك يا سوداء يا لون المداد وهباب الحداد ووجه الغراب المفرق بين الأحباب، وفي المثل يقول القائل: كيف يوجد أسود عاقل.

فقال لها سيدها: اجلسي ففي هذا القدر كفاية فقد أسرفت، ثم أشار إلى السوداء فقامت وأشارت إلى البيضاء وقالت: أما علمت أنه ورد في القرآن المنزل على نبي الله المرسل قوله تعالى: والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى، ولولا أن الليل أجل لما أقسم الله به وقدمه على النهار وقبلته أولو البصائر والأبصار، أما علمت أن السواد زينة الشباب، فإذا نزل المشيب ذهبت اللذات أوقات المات ولو لم يكن أجل الأشياء ما جعله الله في حبة القلب والناظر، وام أحسن قول الشاعر:

لم أعشق السمر إلا من حيازتهم لون الشباب وحب القلب والحدق

ولا سلوت بياض البيض عن غلط إني من المشيب والأكفان في فرق

وقول الآخر:

السمر دون البيض هم أولى بعشقي وأحق

السمر في لون اللمى والبيض في لون البهق

وقول الآخر:

سوداء بيضاء الفعال كأنها مثل العيون تحص بالأضواء

أنا إن جننت بحبها لا تعجبوا أصل الجنون يكون بالسوداء

فكأن لوني في الدياجي غيهب لولاه ما قمر أتى بضياء

وأيضاً فلا يحسن اجتماع الأحباب إلا بالليل فيكفيك هذا الفضل والنيل فما ستر الأحباب عن الواشين واللوام مثل سواد الظلام، ولا خوفهم من الإفتضاح مثل بياض الصبح، فكم للسواد من مآثر وما أحسن قول الشاعر:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي

وقول الآخر:

وكم ليلة بات الحبيب مؤانسي وقد سترتنا من دجاه ذوائب

فلما بدا نور الصباح أخافني فقلت له إن المجوس كواذب

ولو ذهبت أذكر في السواد من المدح لطال الشرح ولكن ما قل وكفى خير مما كثر وما وفى وأما أنت يا بيضاء فلونك لون البرص ووصالك من الغصص وقد ورد أن البرد والزمهرير في جهنم لعذاب أهل النكير ومن فضيلة السواد أن منه المواد الذي يكتب به كلام الله ولولا سواد المسك والعنبرما كان الطيب يحمل للملوك ولا يذكر وكم من للسواد من مفاخر وما أحسن قول الشاعر:

ألم تر أن المسك يعظم قدره وإن بياض الجير حمل بدرهم

وغن بياض العين يقبح بالفتى وإن سواد العين يرمي بأسهم

فقال لها سيدها: اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم أشار إلى السمينة فقامت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة السابعة والسبعين بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن اليمني سيد الجواري أشار إلى الجارية السمينة فقامت وأشارت بيدها إلى الهزيلة وكشفت سيقانها

ومعاصمها وكشفت عن بطنها فبانت طياته وظهر تدوير سرتها ثم لبست قميصاً رفيعاً فبان منه جميع بدنها وقالت: الحمد لله الذي خلقني فأحسن صورتي وسمنني وشبهني بالأغصان وزاد من حسني وبهجتي فله الحمد على ما أولاني وشرفني في كتابه العزيز فقال تعالى: وجاء بعجل سمين وجعلني كالبستان المشتمل على خوخ ورمان واهل المدن يشتهونالطير السمين فيأكلون منه ولا يحبون طيراً هزيلاً وبنو آدم يشتهون اللحم السمين ويأكلونه وكم للسمن من مفاخر وما أحسن قول الشاعر:

ودع حبيبك إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

كأن مشيتها في بيت جارتها مشي السمينة عيب ولا ملل

وما رأيت أحداً يقف على الجزار إلا ويطلب منه اللحم السمين وقالت الحكماء اللذة في ثلاثة أشياء أكل اللحم والركوب على اللحم ودخول اللحم في اللحم وأما أنت يا رفيعة فسيقانك كسيقان العصفور ومحراك التنور وأنت خشبة المسلوب ولحم المعيوب وليس فيك شيء يسر الخاطر كما قال فيك الشاعر:

أعوذ بالله من أشياء تحوجني إلى مضاجعة كالدلك بالمسد

في كل عضو لها قرن يناطحني عند المنام فأمسي وهي الجلد

فقال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم أشار إلى الهزيلة فقامت كأنها غصن بان أو قضيب خيزران أو عود ريحان وقالت: الحمد لله الذي خلقني فأحسنني وجعل وصلي غاية المطلوب وشبهني بالغصن الذي تميل إليه القلوب فإن قمت خفيفة وإن جلست جلست ظريفة فأنا خفيفة الروح عند المزاح طيبة النفس من الإرتياح وما رأيت أحداً يصف حبيبه فقال حبيب قدر الفيل ولا مثل الجبل العريض الطويل وإنما حبيبي له قد أهيف وقوام مهفهف فاليسير من الطعام يكفيني والقليل من الماء يرويني نفسي خفيف ومزاجي ظريف فأنا أنشط من العصفور وأخف حركة من الزرزور ووصلي منية الراغب ونزهة الطالب وأنا ملية القوام حسنة الإبتسام كأني غصن بان أو قضيب خيزران أو عود ريحان وليس لي في الجمال مماثل كما قال في الشاعر:

شبهت قدك بالقضيب وجعلت شكلك من نصيبي

وغدوت خلفك هائماً خوفاً عليك من الرقيب

وفي مثلي تهيم العشاق ويتوله المشتاق وإن جذبني حبيبي انجذبت إليه وإن استمالني ملت له لا عليه وها أنت يا سمينة البدن فإن أكلك أكل للفيل ولا يشبعك كثير ولا قليل وعند الإجتماع لا يستريح معك خليل ولا يوجد لراحته معك سبيل فكبر بطنك يمنعه من جماعك وعند التمكن من فرجك يمنعه من غلظ أفخاذك أي شيء في غلظك من الملاحة أو في فظاظتك من اللطف والسماحة ولا يليق باللحم السمين غير الذبح وليس فيه شيء من موجبات المدح إن مازحك أحد غضبت وإن لاعبك حزنت فإن غنجت شخرت وإن مشيت لهثت وإن أكلت ما شبعت وأنت أثقل من الجبال وأقبح من الخيال والوبال مالك حركة ولا فيك بركة وليس لك شغل إلا الأكل والنوم وإن بلت شرشرت وإن تغوطت بطبطت كأنك زق منفوخ أو فيل ممسوخ إن دخلت بيت الخلاء تريدين من يغسل لك فرجك وينتف من فوقه شعرك وهذا غاية الكسل وعنوانه الخبل وبالجملة ليس فيك شيء من المفاخر وقد قال الشاعر:

ثقيلة مثل زق البول منتفخ أو راكبها كعواميد من الجبل

إذا مشت في بلاد العرب أو خطرت سرى إلى الشرق ما تبدى من الهبل

فقال لها سيدها: احلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم أشار إلى الصفراء فقامت على قدميها وحمدت الله تعالى واتت عليه بالصلاة والسلام على خيار خلقه لديه ثم أشارت بيدها إلى السمراء وقالت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثامنة والسبعين بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية الصفراء قامت على قدميها فحمدت الله تعالى وأثنت عليه ثم أشارت بيدها إلى السمراء وقالت لها: أنا المنعوت في القرآن ووصف لوني الرحمن وفضله على سائر الألوان بقوله تعالى في كتابه المبين صفراء فاقع لونها تسر الناظرين فلوني آية وجمالي غاية وحسني نهاية لأن لوني لون الدينار ولون النجوم والأقمار ولون التفاح وشكلي شكل الملاح ولون الزعفران يزهو على سائر الألوان فشكلي غريب ولوني عجيب وأنا ناعمة البدن غالية الثمن وقد حويت من كل معنى حسن ولوني في الوجود مثل الذهب الإبريز وكم من مآثر وفي مثلي قال الشاعر:

لها اصفرار كلون الشمس مبتهج وكالدنانير في حسن من النظر

ما الزعفران تحاكي بعض بهجتها كلا ومنظرها يعلو من القمر

وسوف أبتدي بذمك يا سمراء اللون فإنك في لون الجاموس تشمئز عند رؤيتك النفوس إن كان لون في شيء فهو مذموم وإن كان في طعام فهو مسموم فلونك لون الذباب وفيه بشاعة الكلاب وهو محير بين الألوان ومن علامات الأحزان وما سمعت قط بذهب أسمر ولا در ولا جوهر إن دخلت الخلاء يتغير لونك وإن خرجت ازددت قبحاً على قبحك فلا أنت سوداء فتعرفي ولا أنت بيضاء فتوصفي وليس لك شيء من المآثر كما قال فيك الشاعر:

لون الهباب لون غبرتها كالتراب تدهس في أقدام قصاد

فلما نظرت لها بالعين أرمقتها إلا تزايد من همي وأنكادي

فقال لها سيدها: اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست، ثم أشار إلى السمراء وكانت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبهاء وكمال. لها جسم ناعم وشعر فاحم معتدلة القد موردة الخد ذات طرف كحيل وخد أسيل ووجه مليح ولسان فصيح وخصر نحيل وردف ثقيل فقالت: الحمد لله الذي خلقني لا سمينة مذمومة ولا هزيلة مهضومة ولا بيضاء كالبرق ولا صفراء كالمغص ولا سوداء بلون الهباب بل جعل لوني معشوقاً لأولي الألباب وسائر الشعراء يمدحون السمر بكل لسان ويفضلون ألوانهم على سائر الألوان، فأسمر اللون حميد الخصال، ولله در من قال:

وفي السمر معنى لو علمت بيانه لما نظرت عيناك بيضاً ولا حمرا

لياقة ألفاظ وغنج لواحظ يعلمن هاروت الكهانة والسحرا

فشكلي مليح وقدي رجيح ولوني ترغب فيه الملوك ويعشقه كل غني وصعلوك، مليحة ظريفة ناعمة البدن غالية الثمن وقد كملت في الملاحة والأدب والفصاحة مظاهري ولساني فصيح ومزاجي خفيف ولعبي ظريف وأما أنت فمثل ملوخية باب اللوق صفراء وكلها عروق فتعساً لك يا قذرة الرواس ويا صدأ النحاس وطلعة البوم وطعام الزقوم، ففضجيجك يضيق النفوس مقبور في الأرماس وليس لك في الحسن مآثر وفي مثلك قال الشاعر:

عليها اصفرار زاد من غير علة يضيق له صدري وتوجعني رأسي

إذا لم تتب نفسي فإنني أذلها بلثم محياها فتقلع أضراسي

فلما فرغت من شعرها قال لها سيدها: اجلسي ففي هذا القدر كفاية، ثم بعد ذلك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة التاسعة والسبعين بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما فرغت من شعرها قال لها سيدها: اجلسي ففي هذا القدر كفاية، ثم بعد ذلك أصلح بينهن وألبسهن الخلع السنية ونقطهن بنفيس الجواهر البرية والبحرية فما رأيت يا أمير المؤمنين في مكان ولا زمان أحسن من هؤلاء الجواري الحسان. فلما سمع المأمون هذه الحكاية من محمد البصري أقبل عليه وقال له: يا محمد هل تعرف لهؤلاء الجواري وسيدهن محلاً وهل يمكنك أن تشتريهن لنا من سيدهن فقال له محمد: يا أمير المؤمنين قد بلغني أن سيدهن مغرم بهن ولا يمكنه مفارقتهن، فقال المأمون: خذ معك إلى سيدهن في في كل جارية عشرة آلاف دينار فيكون مبلغ ذلك الثمن ستين ألف دينار فاحملها صحبتك وتوجه إلى منزله واشترهن منه.

فأخذ محمد البصري منه ذلك القدر وتوجه، فلما وصل إلى سيد الجواري أخبره بأن أمير المؤمنين يريد اشتراءهن منه بذلك المبلغ فسمح ببيعهن لأجل خاطر أمير المؤمنين وأرسلهن إليه، فلما وصلت الجواري إلى أمير المؤمنين هيأ لهن مجلساً لطيفاً يجلس فيه معهن وينادمنه وقد تعجب من حسنهن وجمالهن واختلاف ألوانهن وحسن كلامهن وقد استمر على ذلك مدة من الزمان، ثم إن سيدهن الأول الذي باعهن لما لم يكن له صبر على فراقهن أرسل كتاباً إلى أمير المؤمنين المأمون يشكو فيه ما عنده من الصبابات ومن ضمنه هذه الأبيات:

سلبتني ست ملاح حسان فعلى الستة الملاح سلامي

1) «لا عتاب على الجندل: يضرب في الأمر إذا وقع لا مرد له.

وأصله ما حدثوا عن أن إحدى ملكات سبأ، وفد إليها قوم يخطبونها فقالت: ليصف كل رجل منكم نفسه، وليصدق، وليوجز. لأتقدم إن تقدمت، أو أدع إن تركت على علم. فتكلم رجل منهم يقال له مدرك، فقال: إن أبي كان في العز الباذخ، والحسب الشامخ. وأنا شرس الخليقة، غير رعديد عند الحقيقة، قالت: (لا عتاب على جندل) فأرسلتها مثلا. ثم تكلم آخر منهم يقال له ضبيس ابن شرس. فقال: أنا في مال أثيث، وخلق غير خبيث، وحسب غير عثيث، أحذو الفعل بالفعل، وأجزى القرض بالفرض، فقالت: (لا يسرك غائبا، من لا يسرك شاهدا) فأرسلتها مثلا.ثم تكلم آخر منهم يقال له شماس بن عباس فقال: أنا شماس بن عباس، معروف بالندى والباس، حسن الخلق في سجية، والعدل في قضية، مالي غير محظور على القل والكثر، وبالي غير محجوب على العسر واليسر، قالت: الخير متبع، والشر محذور، فأرسلتها مثلا . ثم قالت: اسمع يا مدرك، وأنت يا ضبيس: لن يستقيم معكما معاشرة لعشير حتى يكون فيكما لين العريكة. وأما أنت ياشماس فقد حللت مني محل الأهزع من الكنانة، والواسطة من القلادة، لدماثة خلقك، وكرم طباعك، ثم اسع بخير أو دع فأرسلتها مثلا وتزوجت شماسا»[1]

[1]- محمد بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، ص87.

تراجم النساء الواردة ذكرهن في البحث

تراجم النساء الوارد ذكرهن في البحث:

1- **أروى بنت عبد المطلب:** أروى بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية، عمة رسول الله، أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وهي إحدى فضليات النساء في الجاهلية والإسلام.

2- **أسماء بنت أبي بكر:** أسماء بنت عبد الله بن أبي قحافة، وزوجها الزبير بن العوام،وتكنى بأم عبد الله، لقبت بذات النطاقين، أسلمت في السنوات الأولى من بعثة الرسول.

3- **ألفة يوسف:** أستاذة محاضرة بكلية الآداب بمنوبة – تونس من مؤلفاتها:

- تعدد المعنى في القرآن أطروحة دكتوراه صدرت كتابا
- حيرة مسلمة صدر
- شوق قراءة في أركان الإسلام صدر
- المساجلة بين فقه اللغة واللسانيات...

4- **البغوم:** مغنية من مغنيات الدولة الأموية قال فيها عمر بن أبي ربيعة:

صرمت حبلك البغوم وصدت*** عنك في غير ريبة أسماء

5- **بلقيس ملكة سبأ:** أشهر الملكات في الجاهلية وكان لها عرش عظيم في اليمن، وفي القرآن الكريم ذكر لها ولملكها، نادى بها قومها ملكة عليهم لما رأو فيها من القوةوحسن التدبير والبلاء، اتصلت بالنبي سليمان وأسلمت بعد ذلك.

6- **أم البنين بنت عبد العزيز:** من ربات الفصاحة والبلاغة قرعت بجوابها حجة الحجاج وأفحمته بكلام مبين، ويروى أن وضاح اليمن شبب بها صريحا في حجها فقتل بسبب ذلك، كما كانت النساء يجتمعن عندها فيتحدثن عندها وهي قائمة تصلي، ثم تنصرف إليهن فتقول: أحب حديثكن، فإذا أقمت في صلاتي لهوت عنكن ونسيتكن.

7- **تماضر بنت عمرو بن الشريد(الخنساء):** شاعرة مضرية أدركت الإسلام وأسلمت، كانت تقول المقطعات من الشعر أول أمرها فلما قتل شقيقها معاوية، ثم أخوها لأبيها صخر حزنت عليهما حزنا شديدا ففاض شعرها حزنا عليهما، وعمرت طويلا، وحضت أولادها بعد أت اعتنقت الإسلام على الإسهام في معركة القادسية، فاستشهدوا فيها جميعا، ولما بلغها الخبر قالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم.

8- **جليلة بنت مرة:** جليلة بنت مرة الشيبانية شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية.

9- **جمعة بنت الخس الإيادية:** شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية لها كلام طويل مع القلمس الكناني.

10- **جميلة مولاة بني بهز:** ينظر الصفحة 62-63 من البحث

11- **حفصة بنت عمر بن الخطاب** : بنت أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب تزوجها النبي بعد انقضاء من زوجها، وروي أن مولدها كان قبل البعثة بخمس سنين، توفيت رضي الله عنها سنة إحدى وأربعين عام المجاعة.

12- **خشف الواضحية:** مغنية من مغنيات العصر العباسي قد عاصرت عريب المغنية.

13- **الخيزران:** ينظر الصفحة 50 من البحث.

14- **رابعة العدوية:** ينظر الصفحة 148 من البحث.

15- **ريق:** مغنية من أشهر المغنيات في العصر العباسي، فقد جعل إبراهيم بن المهدي لما أشرف على الموت يتذكر شغفه بالغناء وما سلف له فيه ويتندم عليه فقال له بعض من حضر: فتب ةأحرق دفاتر الغناء، فحرك رأسه ساعة ثم قال: يا مجانين فهبني أحرقت دفاتر الغناء كلها ريق ايش أعمل بها أقتلها وهي تحفظ الدفاتر كلها.

16- **الزباء:** ملكة تدمر كانت في أول أمرها مشيرة لزوجها ثم وصية على ولدها، وفي كلا الأمرين كانت الوحي الملهم واليد الطولى جمعت بين الجمال وعذوبة المنطق وشدة البأس في الحروب، وهي من شهيرات نساء العرب، وأجلهن خلقا، وأحزمهن

أمرا، وأبعدهن نظرا، وصفها المؤرخ الروماني (تربيلوس) بأنها أجمل ملكة عرفها التاريخ.

17- **سكينة**: ينظر الصفحة 59 من البحث.

18- **شارية:** مغنية مولدة من مولدات البصرة كانت من أحسن الناس غناء اشترتها امرأة هاشمية بصرية من ولد جعفر بن سليمان فأدبتها وعلمتها الغناء ثم اشتراها إبراهيم بن المهدي فأخذت غناءه كله أو أكثره.

19- ظبية : مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب.

20- **عائشة بنت أبي بكر:** ينظر الصفحة 52- 53 من البحث.

21- **عائشة بنت طلحة:** عائشة بنت طلحة بن عبد الله بن عثمان التيمية من أندر نساء عصرها حسنا وجمالا وهيأة ومتناة وعفة وأدبا كانت لا تحتجب عن الرجال فتجلس وتأذن لهم بالدخول عليها، فقد حدث ابن اسحاق عن أبيه فقال: دخلت على عائشة بنت طلحة وكانت لا تحتجب من الرجل تجلس وتأذن كما يأذن الرجل، فعاتبها مصعب في ذلك فقالت: إن الله تبارك وتعالى وسمني بميسم جمال أحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضلي عليهم فما كنت لأستره ووالله ما في وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد

22- **عريب:** مغنية محسنة ذات فصاحة وبلاغة محسن وجمال ولدت سنة 181ه فكانت لعبد الله بن اسماعيل ثم بيعت وخرج بها مولاها إلى البصرة فأدبها وعلمها الخط والنحو والشعر والغناء فبرعت في ذلك كله فأصبحت مغنية محسنة وشاعرة صالحة الشعر ومليحة الخط والمذهب في الكلام.

23- **عزة الميلاء:** مغنية من أقدم من غنى الغناء الموقع من النساء بالحجاز ومن أحسن من ضرب بعود، فكانت مطبوعة على الغناء لايعييها أداؤه ولا صفته ولا تأليفه.

24- عفيراء: كاهنة من كواهن العصر الجاهلي.

25- **عمرة:** عمرة بنت الصامت من فواضل نساء عصرها تكلم حسان بن ثابت بكلام أغضب عمرة فعيرته بأخواله وفخرت عليه بالأوس فغضي لهم فطلقها فأصابها من ذلك ندم.

26- **فاطمة:** بنت يزيد بن معاوية.

27- **فاطمة المرنيسي:** أكاديمية مغربية من مواليد مدينة فاس المغربية سنة 1940م،كتبت جل مؤلفاتها عن الإسلام وقضايا المرأة منها:

- أحلام النساء الحريم
- الحريم السياسي
- سلطانات منسيات
- الخوف من الحداثة

28- **فريدة:** مغنية من العصر العباسي.

29- **لبابة:** هي لبابة بنت عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، من ربات الحسن والجمال رآها عمر بن أبي ربيعة تطوف بالبيت فكاد عقله يطير وشبب بها.

30- **ليلى الأخيلية:** ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب بن معاوية من بني عامر بن صعصعة شاعرة شهيرة من شواعر العصر الأموي، مدحت فيه خلفاءها وأمراءها، وكان توبة يهواها ويقول فيها شعرا.

31- **متيم:** مغنية من المغنيات المجيدات في العصر العباسي كانت مولدة من مولدات البصرة نشأت وتأدبت وأخذت الغناء عن إسحاق ابن إبراهيم الموصلي وعن أبيه. وقالت الشعر ليس مما يستجاد ولكنه يستحسن من مثلها.

32- **مزنة:** زوجة الخليفة مروان بن محمد أتت الخيزران باكية بعد سقوط الخلافة الأموية وقيام الدولة العباسية.

33- **الملاءة بنت زرارة:** من فواضل نساء العصر الأموي شبب بها الفرزدق بقوله:

كم للملاءة من طيف يؤرقني *** إذا تجرثم هذا الليل واعتكرا

وقد قالت في عمر بن أبي ربيعة كلمة خالدة.

34- **نزهون الغرناطية**: شاعرة وأديبة من شواعر وأديبات غرناطة في القرن الخامس للهجرة كانت خفيفة الروح والطبع حافظة للشعر عارفة بضرب الأمثال مع جمال فائق وحسن رائق، فأولع الوزير أبوبكر بن سعيد بمحاضراتها ومذاكرتها ومراسلتها.

35- **نوال السعداوي:** كاتبة مصرية عالجت في مؤلفاتها قضايا المرأة في المجتمع العربي، من مؤلفاتها:

- المرأة والجنس
- مذكرات طبيبة
- أوراق حياتي
- توأم السلطة والجنس
- دراسات عن المرأة والرجل

36- **هند بنت الخس**: شاعرة من شواعر العرب وأديبة من أديباته، يضرب بها المثل في الحكمة، قال عنها الجاحظ وعن أختها جمعة: من أهل الدهاء ومن أهل اللسن واللقن، والجواب العجيب، والكلام الصحيح، والأمثال السائرة والمخارج العجيبة.

37- **هند بنت عتبة:** أم معاوية بن أبي سفيان، من ربات الحسن والجمال والرأي والعقل والفصاحة والبلاغة والأدب والشعر والفروسية وعزة النفس كانت عند الفاكهة بن المغيرة المخزومي، ثم تزوجت ابن أبي سفيان.

38- **زينب:** بنت سعيد بن العاص.

ببيلوغرافيا البحث:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا: المصادر الدراسة

- إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، دار الكتب العلمية،ط1، لبنان،2002. أحمد عبد الغني التميمي الخليلي، حسن القرع على حديث أم زرع، دار المنهاج، د ط، د ب، د ت.
- الأصفهاني أبو الفرج، الأغاني، دار الثقافة، ط4، بيروت، دت.
- ابن حجة الأموي، خزانة الأدب دار القاموس الحديث، لبنان ، ج1
- ابن سعد،أبو عبد الله محمد بن منيع، الطبقات الكبرى، دار صادر ، بيروت، 1985.
- ابن عبد ربه أحمد بن محمد:
  - العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت،1983
  - طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وغرائب وأخبار وأسرار، تح: محمد سليم إبراهيم، مكتبة القرآن، د ط، القاهرة د ت.
- عبيد بن أبي نفيع الشعبي، أخبار النساء في أعلام النبلاء، دد، دط، 1413،هـ
- عطار فريد الدين، تذكرة الأولياء، دار سيناترا، دط، تونس، دت.
- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم:
  - الأمالي، الهيئة المصرية العلمية العامة للكتاب، دط، مصر، 1995.
  - ذيل الأمالي والنوادر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، مصر، 1976.

- ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، مصر، 1963م.
- المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، دط، بيروت، 1408هـ- 1988م، ج4،

ثانيا: المراجع

1- الكتب:

-أ-

- إبراهيم الحيدري وإشكالية الجنس عند العرب، دار الساقي، ط1، بيروت، 2003.
- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، ط 4،د ب، 1983.
- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار الشرق العربي للطباعة والنشر، دط، بيروت، دت.
- أحمد فتحي رمضان الحياني، الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالاتها البلاغية، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2014.
- أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مطبعة السعادة، ط19، مصر، 1962.
- أم إسراء بنت عرفة بيومي، نساء لها تاريخ، دار المعرفة، ط1، لبنان، 2002.
- آنا ماري شيمل، روحي أنثى، الأنوثة في الإسلام، تر: لميس فايد، دار الكتب خان، ط1، مصر، 2016.
- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، دط، دب، 1991.

-ب-

- باسمة كيال، تطور المرأة عبر التاريخ، عز الدين للطباعة والنشر، دط، بيروت، 1981.

- بدر الجابري، السجع العربي بين النسقية النوعية والنظرة البلاغية، كنوز المعرفة، ط1، عمان، 2017.
- أبوبكر العزاوي،اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، دط، الدار البيضاء، 2006.

-ت-

- تون فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات،تر: سعيد حسن البحيري،دار القاهرة للكتاب، ط1، مصر، 2001.

-ج-

- الجاحظ عثمان بن بحر ، البيان والتبين، دار ومكتبة الهلال، دط، دب، دت.
- جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الباحثين، دار سيناترا، دط، تونس، 2010.
- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، مطبعة الفجالة الجديدة،ط1، القاهرة، 1969.
- جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة، ط1، عمان، 2016.
- جورج يول التداولية، تر: قصي العتابي ،الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1،بيروت، 2010.

-ح-

- ابن حزم أبو محمد علي، طوق الحمامة في الألفة والألاف، مكتبة عرفة، دط، دمشق، دت.
- الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2014.
- حسين مناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2007.

-خ-

- الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمان، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت، 2003.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار ابن الهيثم، ط1، القاهرة، 1426هـ ، 2005م.
- خليل محمد العودة، صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1988، ص82.

-د-

- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف،ط1، الجزائر،2008.

-ر-

- الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، ط5، لبنان، 1999.
- ابن رشد أبو الوليد ، الضروري في صناعة النحو، تح: منصور علي عبد السميع، الصحوة للنشر والتوزيع، ط1، 2010.
- ابن رشيق القيرواني أبو الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر،2007، ج1
- رفقة رعد، النقد الثقافي والنسوية محاولة في تأسيسات فلسفية خارج النسق الذكوري، الفلسفة والنسوية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2013.
- رياض القرشي، النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، دار حضرموت للطباعة والنشر، ط1، اليمن، 2008.

-س-

- سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية دراسة ومعجم نقدي، تر: أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر2002.

- سعيد يقطين:
  - الأدب والمؤسسة والسلطة، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 2002.
  - السرد العربي مفاهيم وتجليات ، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2012.
- السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت، 1983.

-ش-

- شوقي ضيف:
  - تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف ط7، مصر،دت.
  - تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، ط1، مصر، دت.
  - الشعر والغناء في المدينة ومكة، دار المعارف، ط 4، القاهرة، د ت.

-ص-

- الصادق النيهوم، الحديث عن المرأة والديانات، تالة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 2002.

-ط-

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:
  - مختصر تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تع: محمد علي الصابوني، صالح أحمد رضا، مكتبة الرحاب، ط2، 1987، الجزائر.
  - ، تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري، بيت الأفكارالدولية، دط، الأردن، دت.
- طه عبد الرحمن:
  - اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1998.

- تجديد المنهج في تقويم التراث،المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء،دت.

-ع-

- عائشة عبد الرحمان:
  - سكينة بنت الحسين، الجزائر عاصة الثقافة العربية،دط، الجزائر،2007.
  - نساء النبي، دار الهلال ، ط5، دب، 1971.
- عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال القديمة مقاربة سردية تداولية، كنوز المعرفة،ط1، الأردن، 2016.
- العباس بن بكار الضبي، أخبار الوافدات من النساء على معاوية، تح:سكينة الشهابي، مؤسسة الرسالة،ط1، بيروت، 1983.
- عبد السلام الجعافرة، مناهج اللغة وطرق تدريسها، مكتبة المجتمع العربي، دط، عمان، 2011.
- عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية،دط، بيروت،دت.
- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر،1434هـ، 2013.
- عبد الله البهلول، الحجاج الجدلي خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي،دد، ط1،دب، 2013
- عبد الله الغذامي:
  - ثقافة الوهم مقاربة حول المرأة والجسد واللغة، المركز الثقافي العربي، ، ط4، الدار البيضاء،2014،
  - المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، ط5، الدار البيضاء، 2015.
- عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي القديم، دد، دط، دب، دت.

- عبد الله محمد الغزالي، المنجز السردي العربي القديم، مكتبة آفاق، ط1، الكويت، 2011.
- عصام قصبجي، أصول النقد العربي القديم، منشورات جامعة حلب، دط، دب، 1991.
- عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة،دط، بيروت، دت.
- العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية ـ الخطابة في القرن الأول نموذجاـ، أفريقيا الشرق، ط2، الدار البيضاء،دت.

-ف-

- فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، ط2، الأردن، 2007م- 1427هـ.
- فاطمة المرنيسي، السلطانات المنسيات نساء رئيسات دولة في الإسلام، تر: جميل معلى وعبد الهادي عباس، دار الحصاد للنشر والتوزيع،دط، دمشق، دت.
- أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، دط،القاهرة، 1908.
- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع،ط1، سورية، دت.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: أبو الوفا نصر الهويني، دار الكتب العلمية،ط2، لبنان، 1971.

-ك-

- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف،ط5، القاهرة،1983.

- كريستيان بلانتان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري عبد الله صولة، دار سيناترا، دط، تونس، 2010.
- كمال بوناب، المرأة العربية وأسطورة اللعنة الأبدية: أسباب التطبيع ومتطلبات الممانعة، ضمن كتاب المرأة العربية بين فكي الهيمنة الذكورية والتدين، المركز الديمقراطي العربي، ط1، برلين ألمانيا، 2019.
- ابن كثير الحافظ، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ط8، بيروت، 1990.

-ل-

- لؤي حمزة، سرد الأمثال، اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، 2003.
- ليليان هيرلانديز وآخرون، دليل القارئ إلى الأدب العالمي، تر: محمد الجورا، دار الحقائق، ط1، بيروت،دت.

-م-

- محمد بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، منتزم للطباعة والنشر،دط، القاهرة، دت.
- محمد الجزار، القيم في تشكيل السلوك الإنساني، مركز الكتاب للنشر، ط1، القاهرة، 2008.
- محمد بن عبد البر النميري، بهجة المَجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تح: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، دط، لبنان، دت.
- محمد عبد الهادي الطرابلسي، تحاليل أسلوبية، دار الجنوب، دط، تونس، 1992.
- محمد عجاج الخطيب، الوجيز في علوم الحديث ونصوصه، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، دط، الجزائر، 1989.
- محمد سراج الدين، الهجاء في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، دط، بيروت، دت.

- محمد سيف الاسلام بوفلاقة، سيميائية الخطاب السردي العماني، دار الجنان للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2017.
- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية في القرن الأول نموذجا، أفريقيا الشرق،ط2، الدار البيضاء،2002.
- محمد مرتاض، قراءة جديدة للنثر العربي القديم من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر،دت
- محمد مشبال، البلاغة والسرد جدل التصوير والحجاج في بلاغة الجاحظ ، مطبعة الخليج العربي، دط، المغرب،2010.
- محمد مفتاح، دينامية النص تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، 2006.
- محمد الهادي الطرابلسي، تحاليل أسلوبية، دار الجنوب، دط، تونس، 1992.
- محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية) دراسة النشأة والمفاهيم والمبادئ، مكتبة الآداب، دط، القاهرة، دت.
- المرزباني أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، دار الكتب العلمية ط1، بيروت، 1995.
- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة،ط1، بيروت، 2005.
- مصطفى عبد الرحمان إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة، د ط، د ب، 1998.
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ، لسان العرب، دار صادر، ط 8، بيروت، 2014.

- نادرة سنوسي، الذاكرة الذكورية للفلاسفة الغربيين ضد قابلية المرأة للتفكير، الفلسفة والنسوية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2013.
- نبيل أيوب، النقد النصي وتحليل الخطاب نظريات ومقاربات، مكتبة لبنان، ط1، لبنان، 2011.
- نعيمة شومان، المرأة منذ العصر الحجري والمرأة في الإسلام، دار الفرابي، ط1، بيروت، 2011.
- نور الدين أجعيط، تداولية الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012.
- نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة، ط1، الجزائر، دت.

-هـ-

- هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، منشورات الاختلاف،ط1، الجزائر، 1434هـ،201

-و-

- وحيد الدين خان، المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية، تر: سيد رئيس أحمد الندوي، دار الصحوة للنشر، ط1، 1994.

-ي-

- يحي وهيب الجبوري:
  - مجالس العلماء والأدباء والخلفاء مرآة للحضارة العربية الإسلامية،دار الغرب الإسلامي ط1، دب، 2006.
  - النساء الحاكمات من الجواري والملكات، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 2010

2- المجلات والملتقيات:

- أنفال جاسم الكندري، محمد أحمد الخطيب، المرأة في الخطاب المسيحي القديم والمعاصر، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، م28، ع2، غزة، ص258. ص165.
- الرحموني بومنقاش، البناء التداولي للممارسة التفسيرية/ قراءة في إمكانات التحقق، مجلة جيل الدراسات الفكرية والأدبية، ع5، الجزائر، فبراير 2015.
- سالم بن لباد، رمز المرأة في الأسطورة الأمازيغية الجزائرية – أسطورة أنزار نموذجا-، مجلة معارف، البويرة ع12، جوان 2017، ص295.
- عصام واصل، النسوية والنسائية، مجلة فكر العربية، جمعية مدرسي اللغة العربية للتنمية والثقافة،ع2، الدار البيضاء، ماي2016.
- مسعودة لعريط، إشكالات الأدب النسائي، الملتقى الدولي الثامن للرواية عبد الحميد بن هدوقة، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، 2004.
- نبيلة إبراهيم، لغة القص في التراث العربي القديم، مجلة فصول، م2،ع2، يناير ، فبراير، مارس، مصر، 1982.
- وسمية عبد المحسن المنصور، المرأة المحاورة - قراءة في التراث-، مجلة عالم الفكر، م34، ع2، الكويت، أكتوبر- ديسمبر2005.

الملخص:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن الإبداعات النسائية في الأدب العربي القديم؛ حيث تُعالج حواراتها في إطار المجالس النسائية وقد قُسِمت هذه المجالس إلى ثلاثة أنواع:

المجالس النثرية، والمجالس الشعرية، والمجالس السجعية، وقاربنا هذه الخطابات بآليات المنهج التداولي والحجاجي في ثلاث فصول؛ عالجنا في الفصل الأول مصطلحات ومفاهيم الدراسة، وفي الفصل الثاني تطرقنا إلى الخطاب التداولي وما ينجر عنه من دراسة المقامات التواصلية، وأطراف الحوار، والاستلزام الحواري والأفعال الكلامية، أما الفصل الأخير قدمنا فيه تحليلا لخطاب الحجاج القيمي المضموني والجمالي الفني. وخرجنا في الأخير بنتائج الدراسة التي تبين مميزات الخطابات النسائية وتنوعها الشعري والنثري والسجعي.

THE OUTLINE:

This study aims to identify women's creativity in the ancient Arabic literature, as it analyzes their dialogues at the level of women's councils, which were divided into three types:

There are prosaic, poetic and Saj' councils. We have compared between these forms of speech through mechanisms of deliberative and argumentative methods in the three chapters of our research. In the first chapter, we tackled terminologies and concepts pertaining to our study. In the second chapter, we tackled the deliberative speech and the communicative studies that are related to it, as well as members of the dialogue, its requirements and eloquent verbs. In the last chapter, we presented analysis of valued, implicational, beautiful and artistic arguments of speech, and ended up by the conclusions of the study, which demonstrate the features of women's speeches, their poetic, prosaic and Saj' varieties.